قلائد العقيان للفتح بن خاقان رحمه الله تعالى

م



هذا ما كتبه لمصنف هذا الكتاب معاصره الاستاذ أبو محمد عبد الله ابن محمد ابن السيد البطليوسي

تأملت فسح الله لسيدي وولي في أمد بقائه كتابه الذي شرع في انشائه فرأيته كتابا سينجد ويغور ويبلغ حيث لا تبلغ البدور وتبين به الدرى والمناسم وتغتدى له غرر في أوجه ومناسم فقد أسجد الله الكلام لكلامك وجعل النيرات طوع أقلامك فأنت تهدي بنجومها وتردي برجومها فالنثرة من نثرك والشعرى من شعرك والبلغاء لك معترفون وبين يديك متصرفون وليس يباريك مبار ولا يجاريك الى الغاية مجار الا وقف حسيرا وسبقت ودعى أخيرا وتقدمت لا عدمت شفوفا ولا برح مكانك بالآمال محفوفا بعزة الله

« (وهذا مختصر ترجمة المصنف المذكورة في وفيات الاعيان لابن خلكان) »

أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله بن خاقان القيسي الاصل له عدة تصانيف منها قلائد العقيان جمع فيه من شعراء المغرب طائفة كثيرة وتكلم على ترجمة كل واحد منهم بأعذب عبارة وله أيضا كتاب مطمح الانفس ثلاث نسخ كبير ووسيط وصغير وهو كتاب كثير الفوائد وكلامه في هذه الكتب يدل على فضله وغزارة مادته توفي قتيلا سنة خمس وثلاثين وقيل تسع وعشرين وخمسمائة بمدينة مراكش في الفندق يقال ان الذي أشار بقتله أمير المسلمين أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين أخو أبي اسحق ابراهيم الذي ألف له أبو نصر كتاب قلائد العقيان وقد ذكره في خطبة الكتاب اه

طبع هذا الكتاب على ذمة المعتمد على ربه الأعظم حضرة الشيخ محمد صالح
ابن المرحوم الشيخ محمد أكرم المكي بلدا الحنفي مذهبا الماتريدي عقيدة
النقشبندي طريقة غفر الله له ولوالديه وأحسن إليهما وإليه

(فهرسة قلائد العقيان)

صحيفة

صحيفه

صحيفة

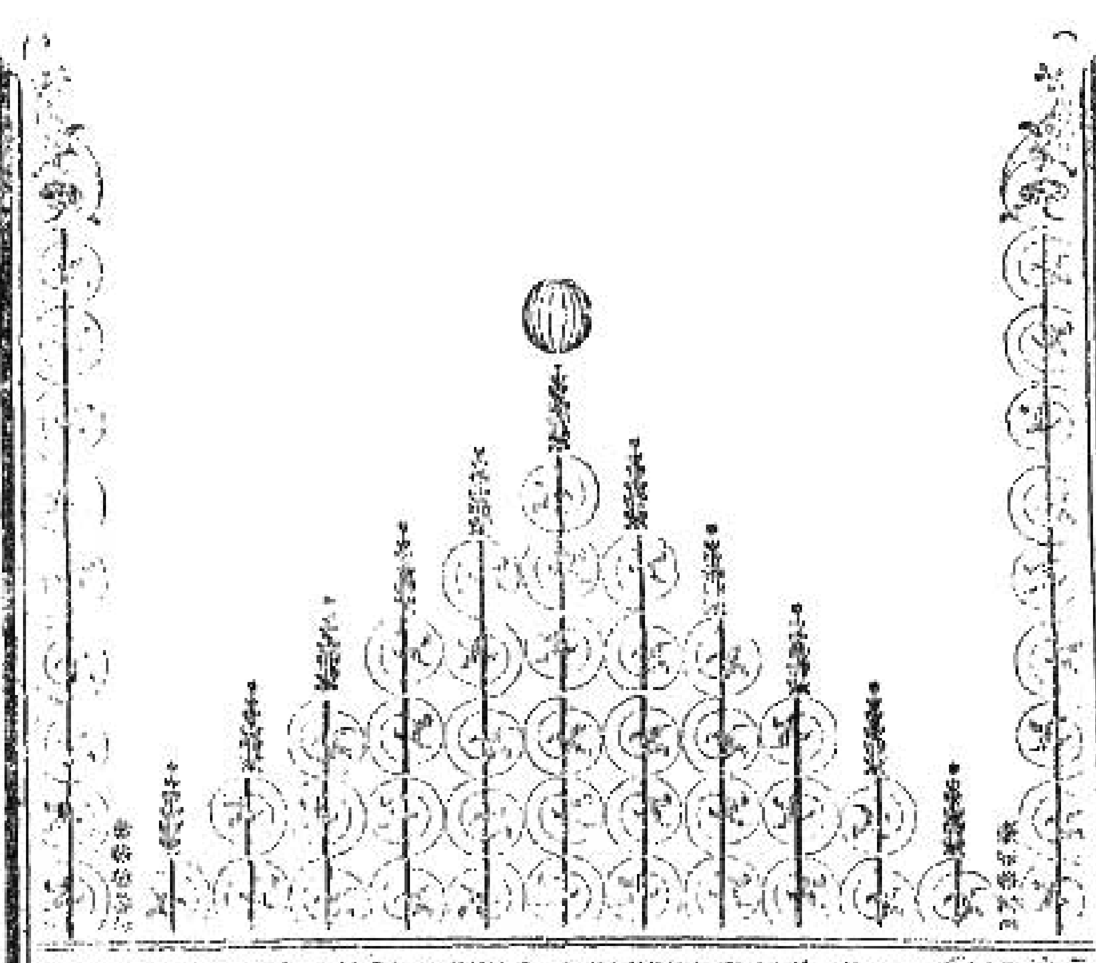
قلائد العقيان للفتح بن
خاقان رحمه الله
تعالى
م

هذا ما كتب به لمصنف هذا الكتاب معاصره الاستاذ أبو محمد عبد الله
ابن محمد ابن السيد البطليوسى

تأملت ضحى الله لسيدى وولي فى أمد بقائه كتابه الذى شرع فى انشائه فرأيته
كتابا سينجد ويغور ويبلغ حيث لا تبلغ البدور وتبين به الذرى والمناسم وتغتدى
له غرر فى أوجه ومناسم فقد أمجد الله الكلام لكلامك وجعل النيرات طوع
أقلامك فأنت تهدى بنجومها وتردى برجومها فالنثرة من نثرك والشعرى
من شعرك والبلغاء لك معترفون وبين يديك متصرفون وليس يباريك مبار ولا
يجاريك الى الغاية مجار الا وقف حسيرا وسبقت ودعى أخيرا وتقدمت لا عدمت
شفوفا ولا برح مكانك بالآمال محفوفا بعزة الله

(وهذا مختصر ترجمة المصنف المذكورة فى وفيات الاعيان لابن خلكان)

أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله بن خاقان القيسى الاصل له عدة تصانيف منها قلائد
العقيان جمع فيه من شعراء المغرب طائفة كثيرة وتكلم على ترجمة كل واحد منهم
بأعذب عبارة وله أيضا كتاب مطمح الانفس ثلاث نسخ كبير ووسيط وصغير وهو
كتاب كثير الفوائد وكلامه فى هذه الكتب يدل على فضله وغزارة مادته توفى قتيلا سنة
خمس وثلاثين وقيل تسع وعشرين وخمسمائة بمدينة مراكش فى الفندق يقال ان
الذى أشار بقتله أمير المسلمين أبو الحسن على بن يوسف بن تاشفين أخو أبى اسحق
ابراهيم الذى ألف له أبو نصر كتاب قلائد العقيان وقد ذكره فى خطبة الكتاب اه



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى راض لنا البيان حتى انقاد فى أعنتنا وشاد مثواه فى أجنتنا وذلل لنا من الفصاحة ما تصعب فلكاه وأوضح لنا من مشكلاتها ما تشعب فسلكناه فصار لنا الكلام عبدا يجيب اذا ناديناه وسهما يصيب الغرض اذا رميناه وصلى الله على سيدنا محمد الذى بعثه بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا

(وبعد) فان الادب أجمل ما اتحفته الهمة وعرفته هذه الامة فانه مطلق اللسان من عقال ومنطق الانسان بصواب المقال وله من النثر والنظم نجمان صارت القلوب لهما فلكا والخواطر منسكا ومازالت صدور الملوك لهما محلا ولباتهم بهما تتحلى ومجتمعاتهم ميدان مجالهما ومكان رويتهما وارتجالهما ترشف فيها ثغورهما ويقطف لديها نورهما وكان الندى يقيمهما فيثران بالابداع ويسفران عن محاسن كالصبح عند الانصداع ثم تقاص ذلك البرد الضافى وتكدر ورد الامل الصافى وزهد فى اقتناء المعارف وعريت الهمم عن تلك المطارف ورمت المحاسن أغراض المطالب فما أصابت

وهمت البدائع فلم توقع لها الرغائب حين صابت وكلت الخواطر وأقشعت
سحائبها المواطر فأصبح الادب قد دجت مطالعه وخوى مطالعه ولما رأيت
عنانه في يد الامتهان وميدانه قد عطل من الرهان وبواتره قد صدئت في أغمادها
وشعله قد قذيت برمادها تداركت منه الذماء الباقي وتلافيت له نفسا قد بلغت
التراقي وانتخبت منه لمعا كالسيوف المرهفة والسقوف المفوفة قد ثقفت
تثقيف القداح وأبرزت كالناهد الرداح وانتقيت من توليده المخترع
وتجديده المبتدع لحا يهزلها الزمان عطفه انتشاء وتروق كالنجوم طلعت عشاء
وضممتها الى صوان يحفظها وديوان يديمها العيون فتلحظها لتعلم أن بالاوان
اقتنانا برت له العوائق بنانا وتبيانا فأبقت منه أثر الاعيانا ورجالا لم تفسح
لابداعهم مجالا فتلقفت محاسنهم نقابها وتوارت كالاراقم في أنقابها
فأظهرت ماخفي من أخبارهم ودلت على مراتبهم في المعارف واقدارهم
واستنبت في انتقاء من أثبت وانتخبت ما جلبت وثقفت ما صنفت حتى أتى
وكأن البدر في لبته ونسيم المسك من هبته تجنح اليه الافكار جنوح الطير
الى الاوكار وتكلف به الخواطر كلف المعطس بالنسيم العاطر ولم يزل تخص
الادب وهو متوار وزنده غير وار وجده عاثر ومنهجه داثر الى أن أراد الله
اعتلاء اسمه واحياء رسمه وانارة أفقه واعادة رونقه فبعث من الامير الاجل
أبي اسحق ابراهيم بن يوسف بن تاشفين ملكا عليا غدا للمجد حليا وهمى على
الامة وسميا ووليا ألبس الدنيا جمالا وجدد لاهلها آمالا ناهيك به من ملك عالى
ناظم لاشتات المعالى أصبح الدين منبسطا في نواحيه مقتبطا بمناحيه واليم
فرقا من جوده مفترقا في أغواره ونجوده والباس مزدهيا بمضائه مكتفيا
باقتضائه والحزم مستبصرا بنازعه مقتصرا على أجازعه يحمي الحقيقة
ويرمي الى أغراض النعمان بن الشقيقة لو جاوره كليب ما طرق حماه أو استجار
به أحد من الدهر لحماه أو كان بجفر الهباءة ما اشتفى قيس سيفه ولاقضى وطرا
من حمل وحذيفة أو كان بوادي الاخرم لطاف به ربيعة وأجرم أو استنجده
الكندي ماشكي الملامة أو كان حاضر بسطام ما توسد على الالاءة تهابه
النفوس اذا رمقته أبصارها وتلجأ اليه الرياح اذا أرهقها اعصارها لو دعا
الاسد الورد لاجاب أو أومأ الى الليل البهيم لانجاب أو قعدت بين يديه الاطواد

تحرك سكونها أو عصته الطير ما أوتها وكونها مع عفاف كف حتى عن الطيف وحكى المحرمين بالخيف وندى خرق العوائد وأورق عوده فى يد الرائد وسجايا تنجلى بها الظلماء كأن مزاجها عسل وماء ولما أنارت به تلك الآفاق وعاد به كساد الفضل الى النفاق رأيت أن أخدم مجلسه العالى بزف الكتاب اليه وأشرف محاسنه بمثوله بين يديه فوسمته باسمه وكسوته نور وسمه وجلبت العلق الى مميزه وأجريت الجواد فى ميدان محرزه وأطلعت شمس النبل فى أفقها وأتيت ببضاعة الفضل الى منفقها والله ولى التوفيق فيما قصدت والكافى من الخطا فى الذى سردت فعليه كان معولى وبه حسن تأولى لا اله الا هو رب العرش العظيم

القسم الاول فى محاسن الرؤساء وابنائهم ودرج انموذجات من مستعذب انبائهم

(المعتمد على الله أبو القاسم محمد بن عباد)

ملك قمع العدا وجمع البأس والندى وطلع على الدنيا بدر هدى لم يتعطل يوما كفه ولا بنانه آونة يراعه وآونة سنانه وكانت أيامه مواسم وثغور بره بواسم ولياليه كلها دررا وللزمان أحجالا وغررا لم يغفلها من سمات عوارف ولم يضحها من ظل إيناس وارف ولا عطلها من مأثرة بقى أثرها باديا ولقى معتفيه منها الى الفضل هاديا وكانت حضرته مطمحا للهمم ومسرحا لآمال الامم وموقفا لكل كمى ومقذفا لذى أنف حمى لم تخل من وفد ولم يصح جوها من انسجام رفد فاجتمع تحت لوائه من جماهير الكماة ومشاهير الحماة أعداد يغص بهم الفضا وأنجاد يزهى بهم النفوذ والمضا وطلع فى سمائه كل نجم متقد وكل ذى فهم منتقد فأصبحت حضرته ميدانا لرهان الاذهان وغاية لرمى هدف البيان ومضمارا لاحراز خصل فى كل معنى وفصل فلم يرتسم فى زمامه الا بطل نجد ولم يتسق فى نظامه الا ذكاء ومجد فأصبح عصره أجمل عصر وغدا مصره أجل مصر تسفح فيه ديم الكرم وتفصح فيه ألسنة السيف والقلم وتفضح الرضا فى وصفه أيام ذى سلم وكان قومه وبنوه لتلك الحلبة زينا ولتلك الجملة عينا

ان ركبوا اخلت الارض فلكا يحمل نجوما وان وهبوا رأيت الغمام سجوما وان أقدموا أحجم عنترة العبسي وان فخروا أقصر غرابة الاوسي ثم انحرفت الايام فألوت باشراقه وأذوت يانع ايراقه فلم يدفع الرمح ولا الحسام ولم تنفع تلك المنن الجسام فتملك بعد الملك وحط من فلكه الى الفلك فأصبح خائفا تعدوه الرياح وناهضا يزجيه البكا والنياح قد نعبت عليه أياديه وارتجت جوانب ناديه وأضحت منازله قد بان عنها الانس والحبور وألوت ببهجتها الصبا والدبور فبكت العيون عليه دما وعاد موجود الحياة عدما وصار أحرار الدهر فيه خدما فسحقا للدنيا ما رعت حقوقه ولا أبقت شروقه فكم أحيا ما البنيا وأبدا ها رانقة بجتليها وهي الايام لاتقي من تجنبها ولا تبقي على مواليها اذرت آثار جلق وأخمدت نار المحلق وذللت عزة عاد بن شداد وهدت القصر ذا الشرفات من سنداد ونعت بؤس النعمان وأكنت غدرها له في طلب الامان وقد أثبت من نظمه العذب الجني الرائق السنا الفائق اللفظ والمعنى ما تمرح بالنفوس والقلوب وتأرج به مسرى الصبا والجنوب وذكرت أثناءه من مآثره المخترعة ومفاخره ومشاهده المستبدعة ومحاضره ما يهون الدنيا وزخرفها ويبين تقلبها وتصرفها (أخبرني ذو الوزارتين) أبو بكر بن القصيرة أنه كان بغرفة القصر المكرم مقيا لرسوم المعتمد وحدوده ومنشئا لمخاطباته وعهوده في اليوم الذي خرج فيه ابن عمار الى شلب معه متفقدا لاعمالها مسددا أغراض عمالها اذ طلع اليه الوزير الاجل أبو بكر بن زيدون منشرح المحيا متضح العليا يتهلل بشرا ويتخيل أنه المسك نشرا وقال لما خرج ابن عمار الى شلب دار المعتمد مهيامه القديم وكانه وتجدد له معلقه بها وتأنقه فانه عمرها في ظل صباه وفرع بها هضاب السرور وربا وبرد عمره قشيب وشبابه غض لم يرعه مشيب أيام ولاه المعتضد بالله أمرها وأدارت عليه الغرارة خمرها فقال مرتجلا وابن عمار بالانحياز له مجلا (طويل)

ألا حي أوطاني بشلب أبا بكر * وسلهن هل عهد الوصال كما أدري
وسلم على قصر الشراجيب عن فتى * له أبدا شوق الى ذلك القصر
منازل آساد وبيض نواعم * فناهيك من غيل وناهيك من خدر
وكم ليلة قد بت أنعم جنحها * بمخصبة الارداف مجدبة الخصر

سنداد اسم نهر ومنه قول أسود بن يعفر * أهل الخورنق والسدير وبارق * والقصر ذي الشرفات من سنداد * اه قاله الجوهري

وبيض وسمر فاعلات بمهجتي * فعال الصفاح البيض والاسل السمر
وليل بسيط النهر لهوا قطعته * بذات سوار مثل منعطف البدر
نضت بردها عن غصن بان منعم * نضير كما انشق الكمام عن الزهر

(وأخبرني ذخر الدولة بن المعتضد) أنه دخل عليه في ليلة قد ثنى السرور منامها وامتطى الحبور غاربها وسنامها وراع الانس فؤادها وستر بياض الاماني سوادها وغازل نسيم الروض زوارها وعوادها ونور السرج قد قلص اذيالها ومحا من لجين الارض نبالها والمجلس مكتس بالعال وصوت المثاني والمثالث عال والبدر قد كمل والصف بضوئه القصر واشتمل وتزين بسناه وتجمل فقال (كامل)

ولقد شربت الراح يسطع نورها * والليل قد مد الظلام رداء
حتى تبدى البدر في جوزائه * ملكا تناهى بهجة وبهاء
لما أراد تنزها في غربه * جعل المظلة فوقه الجوزاء
وتناهضت زهر النجوم يحفه * لألاؤها فاستكمل الالاء
وترى الكواكب كالمواكب حوله * رفعت ثرياها عليه لواء
وحكيته في الارض بين مواكب * وكواعب جمعت سنا وسناء
ان نشرت تلك الدروع حنادسا * ملأت لنا هذى الكؤس ضياء
واذا تغنت هذه في مزهر * لم تأل تلك على التريك غناء

(وأخبرني أبو بكر بن عيسى الداني) المعروف بابن اللبانة أنه استدعاه ليلة الى مجلس قد كساه الروض وشيه وامتثل الدهر أمره فيه ونهيه فسقاه الساقي وحياه وسفر له الانس عن مونق محياه فقام للمعتمد مادحا وعلى دوحة تلك النعماء صادحا فاستجاد قوله وأفاض عليه طوله فصدر وقد امتلأت يداه وغمره جوده ونداه فلما حل بمنزله وافاه رسوله بقطيع وكاس من بلار وقد أترع بصرف العقار ومعهما (كامل)

جاءتك ليلا في ثياب نهار * من نورها وغلالة البلار
كالمشترى قد لف من مريخه * اذ لفه في الماء جذوة نار
لطف الجمود لذا وذا فتألفا * لم يلق ضد ضده بنفار
يتحير الراؤن في نعتيهما * أصفاء ماء أم صفاء دراري

(وأخبرني ابن اقبال الدولة بن مجاهد) أنه كان عنده في يوم قد نشر من غيمه رداء قد وأسكب من قطره ماء ورد وأبدى من برقه لسان نار وأظهر من قوس قزحه حنايا آس حفت بنرجس وجلنار والروض قد نفث رياه وبث الشكر لسقياه فكتب الى الطبيب أبي محمد المصري (خفيف)

أيها الصاحب الذي فارقت عيني ونفسي منه السنا والسناء

نحن في المجلس الذي يهب الرا * حة والسمع والغنى والغناء

نتعاطى التي تسمى من اللذة والرقة الهوى والهواء

فأته تلف راحة ومحيا * قد أعدا لك الحيا والحياء

فوافاه وأنى مجلسه قد أتلعت أباريقه أجيادها وأقامت به خيل السرور طرادها وأعطته الاماني انطباعها وانقيادها وأهدت الدنيا ليومه مواسمها وأعيادها وخلعت عليه الشمس شعاعها ونشرت فيه الحدائق أيناعها فأديرت الراح وتعوطيت الاقداح وخامر النفوس الابتهاج والارتياح وأظهر المعتضد من إيناسه ما استرق به نفوس جلاسه ثم دعا بكبير فشربه كالشمس غربت في ثبير وعندما تناوله قام المصري ينشد أبياتاً تمثلها (بسيط)

اشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً * بشاذ مهر ودع غمدان لليمن

فأنت أولى بتاج الملك تلبسه * من هوذة بن علي وابن ذي يزن

فطرب حتى زحف من مجلسه وأسرف في تأنسه وأمر فخلعت عليه ثياب لا تصلح الا للخلفاء وأدناه حتى أجلسه مجلس الاكفاء وأمر له بدنانير عدداً وملأ بالمواهب منه يداً وكان مجلس ذي الوزارتين أبي الوليد بن زيدون منحطاً عن مجلسه في القعود لانفاذ أوامر أبيه المعتضد فكتب اليه (رمل)

أيها المنحط عني مجلساً * وله في النفس أعلى مجلس

بفؤادي لك حب يقتضي * أن ترى تحمل فوق الارؤس

فكتب اليه ابن زيدون مراجعاً (رمل)

أسقيط الطل فوق النرجس * أم نسيم الروض تحت الحندس

أم قريض جاءني من ملك * مالك بالبر رق الانفس

يا جمال الموكب الغادي اذا * سار فيه يا بهاء المجلس

شرفت بكر المعالي خطبة * بك فانعم بسرور المعرس

وارتشف معسول ثغر أشنب * تجتنيه من مجاج ألعس
واغتبق بالسعد في دست المنى * بصبح الصنع دهاق الاكؤس
فاعتراض الدهر فيما شئته * مرتقٍ في صدره لم ينبجس

(وله في غلام) رآه يوم العروبة من ثنيات الوغى طالعا وللأبطال قارعا وفي الدماء والقنا ولم يتجرع كؤس المنايا سائغا وهو ظبي قد فارق كناسه وعاد أسدا صارت القنا أخياسه ومن كتائب العجاج قد مزقه اشراقه وقلوب الدارعين قد شككتها أحداقه (كامل)

أبصرت طرفك بين مشتجر القنا * فبدا لطرفي أنه فلك
أوليس وجهك فوقه قمرا * يجلى بنير نوره الحلك

وله فيه (متقارب)

ولما اقتحمت الوغى دارعا * وقنعت وجهك بالمغفر
حسبنا محياك شمس الضحا * عليها سحاب من العنبر

(وتوجه اليه الوزير أبو الاصبغ بن أرقم) رسولا عن المعتصم ومعه الوزير أبو عبيد البكري والقاضي أبو بكر ابن صاحب الاحباس فلما دنا من حضرته واقترب وبات منها على قرب معتقدا حلولها بجر غده أو ضحاه معتمدا مشاهدة فطر ذلك اليوم أو أضحاه بادر بالاعلام وكتب اليه على عادة الاعلام شعرا منه (بسيط)

يا ملكا عظمته العرب والعجم * وواحدا وهو في أثوابه أمم
انا وردنا للنوال الاقطار مظلمة * والبدر يجلى اذا ما انحت الظلم

فكتب اليه رحمه الله (بسيط)

أهلا بكم صحبتكم نحوي الديم * ان كان لم يتجه لي بكم حلم
حثوا المطي ولولا جهله * فلن تضلوا ومن بشرى لكم علم
لانتم القوم ان خطوا يجد قلم * وان يقولوا يصب فصل الخطاب فم
لاعي ان رقوا كتبا ولا حصر * اذ يقتدون ولا جور اذا حكموا
أقدم أبا الاصبغ المودود تلق فتى * هش المودة لا يزرى به سأم
هذا فؤادي قد طار السرور به * ان كنت تنقلك الوخادة الرسم
سأكتم الليل ما ألقاه من بعد * وأسأل الصبح عنكم حين يبتسم

(وأخبرني ذخر الدولة) أنه استدعاه في ليلة قد ألبسها البدر رداءه * وأوقد فيها

أضواءه وهو على البحيرة الكبرى والنجوم قد انعكست فيها فخالها زهرا وقابلتها الجوزة فخالت فيها نهرا وقد أرجت نوافح الند وماست معاطف الرند وحسد النسيم الروض فوشى بأسراره وأفشى أحاديث آسه وعراره ومشى مختالا بين لبات النور وأزراره وهو وجم ودمعه منسجم وزفراته تترجم عن غرام وتجمجم عن تعذر مرام فلما نظر إليه استدناه وقربه وشكا إليه من الهجران ما استغربه وأنشد (متقارب)

أيا نفس لا تجزعي واصبري * وإلا فإن الهوى متلف
حبيب جفاك وقلب عصاك * ولاح لحاك ولا ينصف
شجون منعن الجفون الكرى * وعوضنها أدمعا تذرف

فانصرف ولم يعلمه بقصته ولا كشف له عن غصته (وأخبرني) أنه دخل عليه في دار المزينة والزهر يحسد إشراق مجالسه والدر يحكي اتساق أنسه وقد رددت الطير شدوها وجددت طربها وشجوها والغصون قد التحفت بسندسها والأزهار تحيي بطيب تنفسها والنسيم يلم بها فتضعه بين أجفانها وتودعه أحاديث أذرها وبانها وبين يديه فتى من فتيانه يتثنى تثني القضيب ويحمل الكأس في راحة أبهى من الكف الخضيب وقد توشح وكأن الثريا وشاحه وأنار فكأن الصبح من محياه كان اتضاحه فكلما ناوله الكأس خامره سروره وتخيل أن الشمس تهديه نوره فقال المعتمد (منسرح)

لله ساق مهفهف غنج * قام ليسقي فجاء بالعجب
أهدى لنا من لطيف حكمته * في جامد الماء ذائب الذهب

ولما وصل لورقة استدعى ذا الوزارتين القائد أبا الحسن بن اليسع ليلته تلك في وقت لم يخف فيه زائر من مراقب ولم يبد فيه غير نجم ثاقب فوصل وما للأمن إلى فؤاده من وصول وهو يتخيل أن الجو صوارم ونصول بعد ان وصى بما خلف وودع من تخلف فلما مثل بين يديه أنسه وأزال توجسه وقال خرجت من إشبيلية وفي النفس غرام طويته بين ضلوعي وكفكفت فيه غرب دموعي بفتاة هي الشمس أو كالشمس أخالها ولا يحول قلبها ولا خلخالها وقد قلت في يوم وداعها عند تفطر كبدي وانصداعها (طويل)

ولما التقينا للوداع غدية * وقد خفقت في ساحة القصر رايات

بكينا دما حتى كأن عيوننا * بجرى الدموع الحمر منها جراحات

وقد زارتني هذه الليلة في مضجعي وأبرأتني من توجعي ومكنتني من رضابها وفتنتني بدلالها وخضابها فقلت (طويل)

أباح لطيفي طيفها الخد والنهدا * فعض به تفاحة واجتنى وردا
ولو قدرت زارت على حال يقظة * ولكن حجاب البين ما بيننا مدا
أما وجدت عنا الشجون معرجا * ولا وجدت منا خطوب النوى بدا
سقى الله صوب القطر أم عبيدة * كما قد سقت قلبي على حره بردا
هي الظبي جيدا والغزالة مقلة * وروض الربا عرفا وغصن النقا قدا

فكثر استجادته وأكثر استعادته فأمر له بخمسمائة دينار وولاه لورقة من حينه (وأخبرني الوزير الفقيه أبو الحسن بن سراج) أنه حضر مع الوزراء والكتاب بالزهراء في يوم غفل عنه الدهر فلم يرمقه بطرف ولم يطرقه بصرف أرخت به المسرات مهدها وأبرزت له الآمال خدها وأرشفت فيه لماها وأباحت للزائرين حماها وما زالوا ينتقلون من قصر الى قصر ويتبدلون الغصون بجنى وهصر ويتوقلون في تلك الغرفات ويتعاطون الكؤس بين تلك الشرفات حتى استقروا بالروض من بعد ما قضوا من تلك الآثار أوطارا وأوقروا بالاعتبار قطارا فحلوا منه في درانك ربيع مفوفة بالأزهار مطرزة بالجداول والأنهار والغصون تختال في أدواحها وتنثني في أكف أرواحها وآثار الديار قد أشرفت عليهم كثكالى ينحن على خرابها وانقراض أطرابها والوهى بمشيدها لاعب وعلى كل جدار غراب ناعب وقد محت الحوادث ضياءها وقلصت ظلالها وأفياءها وطالما أشرقت بالخلائف وابتهجت وفاحت من شذاهم وأرجت أيام نزلوا خلالها وتفيؤا ظلالها وعمروا حدائقها وجناتها ونبهوا الآمال من سناتها وراعوا الليوث في آجامها وأخجلوا الغيوث عند انسجامها فأضحت ولها بالتداعي تلفع واعتجار ولم يبق من آثارها الا نؤى وأحجار وقد هوت قبابها وهرم شبابها وقد يلين الحديد ويبلى على طيه الجديد فبينماهم يتعاطونها صغارا وكبارا ويديرونها انسا واعتبارا اذا برسول المعتمد قد وافاهم برقعة فيها (خفيف)

حسد القصر فيكم الزهراء * ولعمري وعمركم ما أساء

قد طلعتم بها شموساً صباحاً * فاطلعوا عندنا بدوراً مساء

فصاروا الى قصر البستان بباب العطارين فألفوا مجلسا قد حار فيه الوصف واحتشد به اللهو والقصف وتوقدت نجوم مدامه وتأودت قدود خدامه وأربى على الخورنق والسدير وأبدى صفحة البدر من أزرار المدير فأقاموا ليلتهم ما طرقهم نوم ولا عداهم عن طيب اللذات سوم وكانت قرطبة منتهى أمله وكان روم أمرها أشهى عمله وما زال يخطبها بمداخلة أهلها ومواصلة واليها اذ لم يكن في منازلها قائد ولم يكن لها الا حيل ومكائد لاستمساكهم بدعوة خلفائها وأنفتهم من طموس رسم الخلافة وعفائها وحين اتفق له تملكها وأطلعه فلكها وحصل في قطب دارتها ووصل الى تدبير رياستها وادارتها قال (بسيط)

من للملوك بشأو الاصيد البطل * هيهات جاءتكم مهدية الدول
خطبت قرطبة الحسناء اذ منعت * من جاء يخطبها بالبيض والاسل
وكم غدت عاطلا حتى عرضت لها * فأصبحت في سرى الحلي والحلل
عرس الملوك لنا في قصرها عرس * كل الملوك به في مأتم الوجل
فراقبوا عن قريب لا أبا لكم * هجوم ليث بدرع البأس مشتمل

ولما انتظمت في سلكه واتسمت بملكه أعطى ابنه الظافر زمامها وولاه نقضها وابرامها فأفاض فيها نداه وزاد على أمده ومداه وجللها بكثرة حبائه واشتغل باعبائها عن فنائه ولم يزل فيها آمرا وناهيا غافلا عن المكر ساهيا حسن ظن بأهلها اعتقده واغترار بهم ما رواه ولا انتقده وهيهات كم من ملك كفنوه في دمائه ودفنوه بذمائه وكم من عرش ثلوه وعزيز أذلوه الى ان ثار فيها ابن عكاشة ليلا وجر اليها حربا وويلا فبرز الظافر منفردا من كماته عاريا من حماته وسيفه في يمينه وهاديه في الظلماء نور جبينه فانه كان غلاما [illegible] الشباب بأنداثه وألحفه الحسن بردائه فدافعهم أكثر ليله وقد منع منه تلاحق رجله وخيله حتى أمكنتهم منه عثرة لم يقل لها لعا ولا استقل منها ولا سعى فترك ملتحفا بالظلماء معفرا في وسط الحماء تحرسه الكواكب بعد المواكب ويستره الحندس بعد السندس فمر بمصرعه سحرا أحد أئمة الجامع المغلسين وقد ذهب ما كان عليه ومضى وهو أعرى من الحسام المنتضى فخلع رداءه عن منكبيه ونضاه وستره به

سترا أقنع المجد وأرضاه وأصبح لا يعلم رب تلك الصنيعة ولا يعرف فتشكر له يده الرفيعة ثم كان المعتمد اذا تذكر صرعته وسعر الجوى لوعته رفع بالعويل نداءه وأنشد ولم أدر من ألقى عليه رداءه * ولما كان من الغد حز رأسه ورفع على سن رمح وهو يشرق كنار على علم ويرشق نفس كل ناظر بألم فلما رمقته الابصار وتحققته الحماة والانصار رموا أسلحتهم وسووا للفرار أجنحتهم فمنهم من اختار فراره وجلاه ومنهم من أتت به الى حينه رجلاه وشغل المعتمد عن رثائه بطلب ثاره ونصب الحبائل لوقوع ابن عكاشة وعثاره وعدل عن تأبينه الى البحث عن مفرقه وجبينه فلم تحفظ له فيه قافية ولا كلمة للوعته شافية الا الاشارة اليه في تأبين أخويه المأمون والراضي المقتولين في أول النائرة والفتنة الثائرة التي ينتهي بنا القول الى سرد خبرها ونص عبرها فانه قال (طويل)

يقولون صبرا لا سبيل الى الصبر * سأبكي وأبكي ما تطاول من عمري
نرى زهرها في مأتم كل ليلة * يخمشن لهفا وسطه صفحة البدر
ينحن على نجمين أثكلن ذا وذا * ويا صبر ما للقلب في الصبر من عذر
مدى الدهر فليبك الغمام مصابه * بصنويه يعذر في البكاء مدى الدهر
بعين سحاب واكف قطر دمعها * على كل قبر حل فيه أخو القطر
وبرق ذكي النار حتى كأنما * يسعر مما في فؤادي من الجمر
هوى الكوكبان الفتح ثم شقيقه * يزيد فهل بعد الكواكب من صبر
أفتح لقد فتحت لي باب رحمة * كما بيزيد الله قد زاد في أجري
هوى بكما المقدار عني ولم أمت * وأدعى وفيا قد نكصت الى الغدر
توليتما والسن بعد صغيرة * ولم تلبث الايام ان صغرت قدري
فلو عدتما لاخترتما العود في الثرى * اذا أنتما أبصرتماني في الاسر
يعيد على سمعي الحديد نشيده * ثقيلا فتبكي العين بالحس والنقر
معي الاخوات الهالكات عليكما * وأمكما الثكلى المضرمة الصدر
فتبكي بدمع ليس للقطر مثله * ويزجرها التقوى فتصغي الى الزجر
أبا خالد أورثتني البث خالدا * أبا النصر مذ ودعت ودعني نصري
وقبلكما ما أودع القلب حسرة * تجدد طول الدهر ثكل أبي عمرو

وكان المعتصم بن صمادح قد اختص بأمير المسلمين رحمه الله أيام جوازه الجزيرة الى

حماية الاندلس حين فغر العدو عليها فاها وأسال دموع أهلها دما وملأ نفوسهم رعبا وأخذ كل سفينة غصبا فقل الله بغربه وحكم فيه طعنه وضربه فما سعدت نجومه ولا قعدت عن شياطينه رجومه في يوم عروبة لم يكن فيه جمع الا في المدى ولم تركع فيه الا رؤس العدا ولم يبطل فيه الا ذابل وحسام ولم يصل فيه الابطل مقدام وهو يوم شق الاسلام بعدما أشفى واقتص من أيام الروم واستوفى وكان للمعتمد رحمه الله فيه ظهور وغناء مشهور جلا مشكل عجاجه وجلا الروم عن غيطانه وفجاجه بعدما لق حرّه وشق أمره وكلم العدو يده وثلم عدده وتخاذل فيه رؤساء الاندلس فلم يعمل لهم فيه سنان ولم يكحل جفونهم من قتامه عنان والمعتمد يلقى أسنتهم بلباته وتثنى الذوابل ولا يثنى من عنانه وفي ذلك يقول ابن عبادة (وافر)

وقالوا كفه جرحت فقلنا * أعاديه تواقعها الجراح
وما أثر الجراحة ما رأيتم * فتوهنها المناصل والرماح
ولكن فاض سيل البأس منها * ففيها في مجاريه انسياح
وقد صحت وسحت بالاماني * وفاض الجود منها والسماح
رأى منه أبو يعقوب فيها * عقابا لا يهاض له جناح
فقال لك الملك القدح المعلى * اذا ضربت بعنصرك القداح

وفي ذلك يقول عبد الجليل ويشير الى أمير المسلمين وحسن بلائه وما أظهر المعتمد من اخلاصه وولائه وأول القصيدة (وافر)

أظن خطوبها قالت سلام * فلم يعبس لها منك ابتسام

ومنها

فثار الى الطعان حليف صدق * تثور به الحفيظة والذمام
غناء في حمير وتحت لخم * وتلك وشائج فيها التحام
نهوض للعلا ثم احتفاء في * وفي آذيه الطامي عرام
فهيل به كثيب الكفر هيلا * وكل رفيقة منها ركام
وأصبح فوق ظهر الارض أرضا * كأن وهادها منهم اكام
عديد لا يشارفه حساب * ولا يحوى جماعته زمام
تألفت الوحوش عليه شتى * فما نقص الشراب ولا الطعام

فان يحجو العين فلا كبر * ولكن مثل ما تحجو اللئام
فيا ادفنش يا مغرور مهلا * تجنبت المشيخة يا غلام
ستسألك النساء ولا الرجال * فحدث ما وراءك يا عصام
وراقبها بأرضك طالعات * كما تهدى صواعقها الغمام
أقمت لذا الوغى سوقا فخذها * مناجزة وهون ما تسام
فان شئت اللجين فثم سام * وان شئت النضار فثم حام
جلالك فوق ما يعطيك وهم * وفعلك فوق ما يسع الكلام
وأنت النعمة البيضاء فاسلم * لنا وليطرد فيك التمام

ومازال ابن عمار يتصنع اليه بكل معنى يغرب ويفسد ما بينه وبين المعتمد ويخرب ويؤرش بينهما ويضرب فلما علم بقبح سعيه وعلم حقيقة بغيه كتب اليه (كامل)

يا من تعرض لي يريد مساءتي * لا تعرضن فقد نصحت لمندم
من غره مني خلائق سهلة * فالسم تحت لبان مس الارقم

ومن منازعه الشريفة ومقاطعه المنيفة وشيمه الملكية وهممه الفلكية أن ابن زيدون الذي كان وزير أبيه الذي أظهر صولته ودبر دولته وأدجى ضحاها وأدار بالمكاره رحاها وأغراه بأعدائه وزين له الايقاع بعماله ووزرائه فغدا شجا في صدورهم ونكدا في سرورهم فلما هيل التراب على المعتضد وأفضى أمره الى المعتمد ثاروا الى طلب ابن زيدون وسعوا وبرواق البغي له وراشوا وأغروه بنكبته وأروه الرشاد في هدم رتبته وأرادوه بالذي أرادهم وكادوه كما كادهم فرموا الى المعتمد برقعة فيها (كامل)

يا أيها الملك العلي الاعظم * اقطع وريدي كل باغ ينئم
واحسم بسيفك داء كل منافق * يبدي الجميل وضد ذلك يكتم
لا تحقرن من الكلام قليله * ان الكلام لهسيوف تكلم
والملك يحمي ما لكه عن لفظة * تسري فتجلى عن دواء تعظم
فضلا عن الكلم الذي قد أصبحت * غوغاؤنا جهرا به تتكلم
فالله يعلم ان كل مؤمل * منا على حذر وخوف منهم
فالدمع من أجفاننا متهلل * والنار في أحشائنا تتضرم

ولقد علمت وان تبصرك الهدى * فلانت أهدى فى الامور وأعلم
ان الملوك تخاف من أبنائها * فتحل من مهجاتهم ما يحرم
ولذاك قيل الملك أعقم لم يزل * فيه الولى يثير حربا تضرم
فاحسم دواعى كل شر دونه * فالداء يسرى ان غدا لا يحسم
كم سقط زند قد غدا حتى غدا * بركان نار كل شىء يحطم
وكذلك السيل الجحاف فانما * أولاه طل ثم وبل يسجم
والمال يخرج أهله عن حدهم * فافهم فانك بالبواطن أفهم
واذكر صنيع أبيك أول مرة * فى كل منهم فانك تعلم
لم يبق منهم من توقع شره * فصفت له الدنيا ولذ المطعم
فعلى م تنكل عن صنيع مثله * ولانت أمضى فى الخطوب وأشهم
وجنانك الثبت الذى لا ينثنى * وحسامك العضب الذى لا يكهم
والمال أوسع والعوالى جمة * والجد أشمخ والصريمة ضيغم
لا تتركن للناس موضع تهمة * واحزم فمثلك فى العظائم يحزم
قد قال شاعر كندة فيما مضى * بيتا على مر الليالى يعلم
لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى * حتى يراق على جوانبه الدم
فاجعل قدرتك التى تعتادها * فى كل من يبغى ورأيك أحكم
واسلم على الايام المكن زينها * وجمالها والدهر دونك مأتم
لا زلت بالنصر العزيز مهنأ * والدين عن محمود سعيك يبسم
وغدت على الاعداء منك رزية * لا تستقل بها وخطب صيلم
ووقيت مكروه الحوادث واغتدت * طير السعود بأيكهم تترنم

فلما قرأها المعتمد عف عما أرادوه وكف ألسنة الذين كادوه بمراجعة حلت من بغيهم ما انعقد وزأرت عليهم زئير الليث على النقد دلت على تحققه بالرياسة وتسنمه لذرى النفاسة وتقلده لائمة العدل المعرضين عن الوشاة الرافضين للبغاة العارفين بمعانى السعايات وأسبابها النابذين لاصحابها وأربابها فأجمل حلى الملوك التصامم عن سماع القدح فى ولى والتعاظم عن الوضع لعلى والمعرض لمن بغى والزجر لمن نعب بمكروه أو رغا والمراجعة (كامل)

كذبت مناكم صرحوا أو جمجموا * الدين أمتن والسجية أكرم

خنتم ورمتم أن أخون وربما * حاولتم أن يستخف يلملم
وأردتم تضييق صدر لم يضق * والسمر في ثغر النحور تحطم
وزحفتم بمحالكم لمجرب * ما زال يثبت للمحال فيهزم
أني رجوتم غدر من جربتم * منه الوفاء وظلم من لا يظلم
أنا ذلكم لا البغي يثمر غرسه * عندي ولا مبني الصنيعة يهدم
كفوا وإلا فارقبوا لي بطشة * يلقى السفيه بمثلها فيحلم

فلما بلغ ابن زيدون ما راجعهم به وتحقق حسن مذهبه وعلم أن مخيلاتهم قد أخفقت وسعاياتهم ما نفقت وسهامهم تهزعت ومكائدهم تبددت وتوزعت قال يمدحه ويعرض بهم (كامل)

الدهر إن أسأل فصيح أعجم * يعطي اعتباري ما جهلت فأعلم
وإذا الفتى فقد الحوادث قدرها * ساوى لديه الشهد منها العلقم
وإذا انظرت فلا اغترار يشتفي * كنه المآل ولا توقي يعصم
كم قاعد يحظى تعجل حظه * من جاهد يصل الدروب فيحرم
وأرى المساعي كالسيوف تبادرت * شأو المضاء فكهن ومصمم
ولكم تسامى بالرفيع نصابه * خطرا فناصبه الوضيع الألأم
وأشد فاجئة الدواهي محسن * يسعى فيعلقه الجريرة مجرم
تلقى الحسود أصم عن جرس الرقى * ولقد يصيخ إلى الرقاة الأرقم
قل للبغاة المبغضين قسيم * ستزون من تصميمه تلك الأسهم
أسررتم فرأى نجي غيوبكم * شيحان ملوم عليها ملهم
وعبأتم للفسق ظفر سعاية * لم يعدكم إذ رده وهو مقلم
ونبذتم التقوى وراء ظهوركم * فغدا نقيضكم التقي المسلم
ما كان حلم محمد ليصده * عن عهده دغل الضمير مذمم
ملك تطلع للخواطر غرة * زهراء زين بها الزمان الأدهم
يغشى النواظر من جهير روائه * خلق يرى ملء الصدور مطهم
وسنا جبين يستبين شعاعه * يغني عن القمرين من يتوسم
خلق تود الشمس لو صيغت له * تاجا ترصع جانبيه الأنجم
فضحت محاسنه الرياض بكا الحيا * وهمى عليها فاغتدت تتبسم

فالغدر يبعد والتواضع يدنى * والبشر يشمس والندى يتغيم
جذلان فى يوم الوغا متهلل * وبها اليها والردى متجهم
بأس كما سال الهزبر بزائه * جود كما جاش الخضم الخضرم
نفسى فداؤك ايها الملك الذى * كل الملوك له لا يسلم
سدت الجميع فليس منهم منكر * ان صرت فوقهم الذى لا ينام
لا غرو أن الجد فى حكم الحجى * من أن يضاف اليك منه أعظم
ما ان يرى كخصالك الزهر التى * منها على زهر الكواكب ميسم
المجد الزاكى السرى والسودد السامى الذوائب والفخار الاعظم
والحلم يرجع عضبه والعلم بز * خر بحره وأخو الذكا تتضرم
دع ذكر صخر وابن صخر بعده * أنت الحليم وغيرك المتحلم
لك عفو شهم لا يضيع حزامة * ولئن بطشت فبطش من لا يظلم
ان الكمال شرحت معنى لفظه * ولكان وهو المشكل المستبهم
الله قد أرضاه منك تحرج * ثقف وعقد فى التقى مستحكم
لما اعتمدت عليه كان بنصره * دأبا يؤيدك الذى لا يسلم
فتى أؤدى فرض أنعمك التى * وبلت كما يبل السحاب المسجم
أعطيتنى من السعادة رتبة * عليا منكب عزها لا يزحم
وتركت حاسدى عليك وكلهم * شاكى حشى يدوى وأنف يرغم
نصح العدا فى زعمهم فوقتهم * والغش فى بعض النصائح مدغم
وثناهم بث قناة انابه * خلقا يصلب متنها اذ يعجم
وزهاهم تقلم الهراء فكلهم * نظم عقود السحر منه تنظم
أشرعت منه الى الغواة أسنة * نفذت وقد نبو الطرير اللهذم
فرق عوت فزأرت زأرة زاجر * راع الكلاب بها الهزبر الضيغم
ياليت شعرى هل يعود سفيههم * ام قد جاء النجح ذاك الاكيم
لى منك فليذب الحسود تلظيا * لطف المكانة والمحل الاكرم
وشغوف حظ ليس يفتأ يجتلى * غض الشباب وكل غض يهرم
لم تاف صاغيتى لديك مضاعة * كلا ولا حق اصطناعى الاقدم
بل أوسعت حفظا وصدق رعاية * ذمم موثقة العرى لا تفصم

فليغرق الارض ندى كفه منجد * مستى تناقله الجحافل متهم
عطر هو المسك السطيع بطيب فى * شم العقول اريجه المتنسم
فاذا غصون المكرمات تهدلت * كان الهديل ثناءها المترنم
الفخر تغر عن حباضك باسم * والمجد برد من وفائك معلم
فاسلم لمدى الدنيا فانت جمالها * وتسوغ النعمى فانك منعم

ولما ثل عرش الخلافة وخوى نجمها وهوى ركن الامامة وطمس رسمها وصار الملك دعوى وعادت العافية بلوى استنسر البغاث وعمت الاضغاث واستأسد الظبى فى كناسه وثار كل أحد فى ناسه وخلت المنابر من رقاتها وفقدت الجمع متقى أوقاتها وكان باديس بن حبوس بغرناطة عاثيا فى فريقه عادلا عن سنن العدل وطريقه يجترئ على الله غير مراقب ويجرى الى ما شاء غير ملتفت للعواقب قد حجب سنانه لسانه وسبقت اساءته احسانه ناهيك من رجل لم يبت من ذنب على ندم ولا شرب الماء الا من قليب دم أحزم من كاد ومكر وأجرم من راح وابتكر وما زال متقدا فى مناحيه متفقدا لنواحيه لا يرام بريث ولا عجل ولا يبيت لجاره الا على وجل الى ان وكل أمره الى أحد اليهود واستكفاه وجرى فى ميدان لهوه حتى استوفاه وامره اضيع من مصباح الصباح وهمه فى غبوق واصطباح وبلاده مراد للفاتك وستره فى يد الهاتك فسقط الخبر على المعتضد بالله ملقح الحرب ومنتج الطعن والضرب الذى صاد الطير تحت أجنحة العقبان وأخذ الفريسة من فم الثعبان فمد الى مالقة بهمه وسنانه ورد اليها طرفه وعنانه وصمم اليها تصميم ساور الى الخضر وعزم عليها عزيمة رسول الله صلى الله عليه وسلم على النضير ووجه اليها جيشه المتزاحم الافواج المتلاطم الامواج وعليه سبنه المستقل وحتفه المحتل ابنه المعتد سهام الاعادى وحسام الاسد العادى فلما أطل عليها اعطته صفقتها وأمطته صهوتها الا قصبتها فانها امتنعت بطائفة من السودان المغاربة لم يرضوا افتتاحها ولا أمضوا انكاحها وفى أثناء امتناعهم وخلال مجادلاتهم ودفاعهم طيروا الى باديس من ذلك خبرا أصحاه من نشوته وحمله على صبوته فأخرج من حينه كتيبته التى كانت ترمى بالزبد ولا تنثنى عن القنا القصد وعليها ابن النايه قائد جنده ومورى زنده وقد كان اشار على المعتضد رابره بتنفيس الممتنعين ولووه عن

مساورتهم وثنوه عن مراوحتهم ومباكرتهم وصدوه من نزالهم وأطمعوه في استنزالهم وانما كان ذلك أبقى على الاقارب واتقى على أولئك المغارب فعدل عن انتهاز فرصتهم وابراغ غصتهم الى الاستراحة من تعبه والاناخة على لهوه ولعبه وتفرق أصحابه في ارتياد القينات وطراد اللذات فأمسى الا وقد غشيه ليلها وسال عليه سيلها وأصحابه بين صريع رحيق ومنادى من مكان سحيق فخاب سعيه وفال رأيه ونجا برأس طمرة ولجام وأوى الى أحد المعاقل أعرى من الحسام فحقد المعتضد عليه بتغيبه لاهل القصبة واصاخته الى تلك العصبة وضربه بالعصى ونكاله تنكيل القصى فكتب اليه (بسيط مخلع)

مولاي أشكو اليك داء * أصبح قلبي به جريحا
سخطك قد زادني سقاما * فابعث الى الرضا مسيحا

فعفا عنه وصفح وعبق له عرف رضاه ونفح وقد كان قبل كتب اليه حين أمره بالمقام بالموضع الذي نحا اليه مسجونا بسلمه ويعرض له بالبربر ويستعطفه مما حصل فيه (بسيط)

سكن فؤادك لا تذهب به الفكر * ماذا يعيد عليك البث والحذر
فان يكن قدر قد عاق عن وطر * فلا مرد لما يأتي به القدر
وان تكن خيبة في الدهر واحدة * فكم غزوت ومن أشياعك الظفر
يا فارسا تحذر الابطال صولته * صن حد عبدك فهو الصارم الذكر
قد أخلقتني صروف أنت تعلمها * وغال مورد آمالي بها كدر
فالنفس جازعة والعين دامعة * والصوت منخفض والطرف منكسر
قد حلت لونا وما بالجسم من سقم * وشبت رأسا ولم يبلغني الكبر
لم يأت عبدك ذنبا يستحق به * عتبا وها هو قد ناداك يعتذر
ما الذنب الا على قوم ذوي دغل * وفى لهم عندك المألوف اذ غدروا
قوم نصيحتهم غش وحبهم * بغض ونفعهم ان صرفوا ضرر
يميز البغض في الالفاظ ان نطقوا * ويعرف الحقد في الالحاظ ان نظروا

ولما بدت الفتنة وسال سيلها وانسحب على بهجة الهدنة ذيلها نازل المرابطون قرطبة وفيها ابنه المأمون وكان أشهر ملوك أوانه خبرا وأيمنهم طيرا ما اشتغل

بمعاطاة المدامة ولا توغل للعصيان شعب ندامة فأقاموا عليها شهورا وأرخوا من محاصرتها والتضييق عليها ستورا يساورونها مساورة الاراقم ويباكرونها بداء من الحصار فاقم والمأمون قد أوجس في نفسه خيفة وتوقع منهم داهية مطيفة فنقل ماله وأهله الى المدور بعد أن حصنه وملأه بالعدد وشحنه وأقام بقصر قرطبة مضطربا ولأول نبأة منهم خائفا مرتقبا الى أن صبحوه يوما بعدة كانت بينهم وبين أهلها في تسنم أسوارها وتقحم انجادها وأغوارها فوقفوا هاربين وتشوفوا راهبين وأهلها يدعون بشعارهم ويتبعون أهواء مردتهم ودعارهم وكلهم يبدي تلومه واحجامه ويعتقده ولا يرى اقتحامه الى ان استسهلوا استصعابه وتوغلوا شعابه وصمموا الى القصر وقد علموا قعود الجماعة عن الحماية له والنصر فلما أحس بهم المأمون خرج بعدة قليل وحد فليل وقد رتبت له بطريقه رصائد ونصبت له فيها مصايد علق فيها زمامه ورشق اليه منها حمامه فانقضوا عليه انقضاض الجارح وانصبوا اليه انصباب الطير الى المسارح فلم يكن له فيها ابن يعرج ولا وجد للخلاص بابا يفرج فقطع رأسه وحيز وخيض به النهر وأجيز ولما استقر بالحلة رفع على سنان رمح وطيف به في جوانبها وأخيف به قلب مجانبها وبقي جسده على الارض مطروحا كأنه لم يكن للملك روحا ولا اختال في عراصه فحكى غصنا مروحا وذلك بتقدير العليم ثم انتقلوا الى رندة احد معاقل الاندلس الممتنعة وقواعدها السامية المرتفعة تطارد منها على بعد ملتقاها ردتو النجوم من ذراها عيون لانصبابها دوي كالرعد القاصف والرياح العواصف ثم تكون واديا يلتوي بجوانبها التواء الشجاع ويزيدها في التوعر والامتناع وقد تجوفت نواحيها وأقطارها وتكونت فيها أباتها وأوطارها لا يتعذر لها مطلب ولا يتصور فيها عدو الا علقه ناب أو مخلب فأناخوا منها على بعد وأقاموا من الرجاء بها على غير وعد وفيها ابنه الراضي لم يحفل بأناختهم بازائه ولا عدها من أرزائه لامتناعه عن منازلتهم وارتفاعه عن مطاولتهم الى أن انقضى في أمر اشبيلية ما انقضى وأفضى أمر ابيه الى ما أفضى فحمل على مخاطبة ولده لينزل عن صياصيه ويمكنهم من نواصيه فنزل بزابيه وابقاه على أرماق ذويه بعد ان عاقدهم مستوثقا وأخذ عليهم عهدا من الله وموثقا فلما وصل اليهم وحصل في أيديهم مالوا به عن الحسن

وجرعوه الردى واقطعوه الثرى حين أودى وفي ذلك يقول المعتمد بن عباد وقد رأى قرية باكية بشجنها نائحة بفننها على سكنها وأمامها وكر فيه طائران يردّدان نغما ويغرّدان رحمة وترنما (طويل)

بكت أن رأت إلفين ضمهما وكر * مساء وقد أخنى على إلفها الدهر

وناحت فباحت واستراحت بسرها * وما نطقت حرفا يبوح به سر

فمالي لا أبكي أم القلب صخرة * وكم صخرة في الارض يجري بها نهر

بكت واحدا لم يشجها غير فقده * وأبكي لآلاف عديدهم كثر

بني صغيرا وخليل موافق * يمزق ذا قفر ويغرق ذا بحر

ونجمان زين للزمان احتواهما * بقرطبة النكداء أو رندة القبر

غدرت اذا ان ضن جفني بقطرة * وان لومت نفسي فصاحبها الصبر

فقل للنجوم الزهر تبكيهم معي * لمثلهما فلتحزن الانجم الزهر

ولما تم في الملك أمده وأراد الله أن تخرّ عمده وتنقرض أيامه وتتقوض عن عراص الملك خيامه نازلته جيوش أمير المسلمين ومحلاته وظاهرته فساطيطه ومظلاته بعد ما نثرت حصونه وقلاعه وسعرت بالنكاية جوارحه وأضلاعه وأخذت عليه الفروج والمضايق وثنت اليه الموانع والعوائق وطرقته طوارقها بالاضرار وأمطرته كل ديمة مدرار وهو ساه بروض ونسيم لاه براح ومحيا وسيم زاه بفتاة تنادمه نام عن هدم أنس هو هادمه لايصيخ الى نبأة سمعه ولا ينيخ الا على لهو يفرق جموعه جمعه قد ولي المدامة ملامه وثنى الى ركنها طوافه واستلامه وتلك الجيوش تجوس خلاله وتقلص ظلاله. وحين اشتد حصاره وعجزت عن المدافعة أنصاره ودلس عليه ولاته وكثرت ادواؤه وعلاته فتح باب الفرج وقد لفح شواظ الهرج فدخلت عليه من المرابطين زمرة واشتعلت لهم من التغلب جمرة تأجج اضطرامها وسهل بها ايقاد البقية واضرامها وعند ما سقط الخبر عليه خرج حاسرا من مفاضته سابحا كالمهر قبل رياضته فلحق أوائلهم عند الباب المذكور وقد انتشروا في جنباته وظهروا على البلد من أكثر جهاته وسيفه في يده يتلظ الطلا والهام وبعد بانفراج ذلك الابهام فرماه أحد الداخلين برمح تخطاه وجاوز مطاه فبادره بضربة أذهبت نفسه وأغربت شمسه ولقي ثانيا فضربه وقصمه وخاض حشى ذلك الداخل وحسمه فأجلوا عنه

وولوا فرارا منه فأمر بالباب فسد وبني منه ما هد ثم انصرف وقد اراح نفسه وشفاها وأبعد الله عنها الملامة ونفاها وفي ذلك يقول عندما خلع واودع من المكروه ما أودع (كامل مجزوء)

ان يسلب القوم العدا * ملكي وتسلمني الجموع
فالقلب بين ضلوعه * لم تسلم القلب الضلوع
قد رمت يوم نزالهم * أن لا تحصنني الدروع
وبرزت ليس سوى القميـ * ـص على الحشى شيء دفوع
أجلي تأخر لم يكن * بهواي ذلي والخضوع
ما سرت قط الى القتا * ل وكان من أملي الرجوع
شيم الأُلى أنا منهم * والاصل تتبعه الفروع

وما زالت عقارب تلك الدواخل تدب وريحها العاصفة تهب وضلوعها تحنق وتحقد ونفس الغدر تتقد حتى دخل البلد من واديه وبدت من المكروه بواديه وكر عليه الدهر بعوائده وعواديه وهو مستمسك بعرى لذاته منغمس في نهاية لذاته ملقى بين جواريه مغتر بودائع ملكه وعواريه التي استرجعت منه في يومه وتنبه لفواتها من نومه ولما انتشر الداخلون في البلد واوهنوا القوى والجلد خرج والموت يسعر في ألحاظه ويتصور من ألفاظه وحسامه يعد بمضائه ويتوقد عند انتضائه فلقيهم في رحبة القصر وقد ضاق بهم فضاؤها وتضعضعت من رجتهم أعضاؤها فحمل فيهم حملة صيرتهم فرقا وملأتهم فرقا وما زال يوالي عليهم الكر حتى أوردهم النهر وما بهم جواد وأودعهم حشاه كأنهم له فؤاد ثم انصرف وقد أيقن بانتهاب ماله وذهاب ملكه وارتحاله وعاد الى قصره واستمسك به يومه وليلته مانعا لحوزته دافعا للذل عن عزته وقد عزم على أقطع أمر وقال بيدي لا بيد عمرو ثم صرفه تقاه عما كان نواه فنزل من القصر بالقسر الى قبضة الاسر فقيد للحين وحان له يوم شر ما ظن أنه يحين ولما قيدت قدماه وبعدت عنه رقة الكبل ورحماه قال يخاطبه (طويل)

اليك فلو كانت قيودك أشعلت * تضرم منها كل كف ومعصم
مخافة من كل الرجال بسيبه * ومن سيفه في جنة أو جهنم

ولما آلمه عضه ولازمه كسره ورضه وأوهاه ثقله وأعياه نقله قال (متقارب)

تبدلت من عز ظل البنود * بذل الحديد وثقل القيود
وكان حديدي سنانا ذليقا * وعضبا رقيقا صقيل الحدود
فقد صار ذاك وذا أدهما * يعض بساقي عض الاسود

ثم جمع هو وأهله وحملتهم الجوارى المنشآت وضمتهم جوانحها كأنهم أموات بعد ما ضاق عنهم القصر وراق منهم العصر والناس قد حشروا بضفتى الوادى وبكوا بدموع كالغوادى فساروا والنوح يحدوهم والبوح بالوعة لا يعدوهم وفى ذلك يقول ابن اللبانة (بسيط)

تبكى السماء بمزن رائح غاد * على البهاليل من أبناء عباد
على الجبال التى هدت قواعدها * وكانت الارض منهم ذات أوتاد
عريسة دخلتها النائبات على * أساود لهم فيها وآساد
وكعبة كانت الآمال تخدمها * فاليوم لا عاكف فيها ولا باد
يا ضيف أقفر بيت المكرمات فخذ * فى ضم رحلك واجمع فضلة الزاد
ويا مؤمل واديهم ليسكنه * خف القطين وجف الزرع بالوادى
وأنت يا فارس الخيل التى جعلت * تختال فى عدد منهم واعداد
ألق السلاح وخل المشرفى فقد * أصبحت فى لهوات الضيغم العادى
لما دنا الوقت لم تخلف له عدة * وكل شىء لميقات وميعاد
ان يخلعوا فبنو العباس قد خلعوا * وقد خلت قبل حمص أرض بغداد
حموا حريمهم حتى اذا غلبوا * سيقوا على نسق فى حبل مقتاد
وانزلوا عن متون الشهب واحتملوا * فويق دهم لتلك الخيل انداد
وعيث فى كل طوق من دروعهم * فصيغ منهن اغلال لاجياد
نسيت الا غداة النهر كونهم * فى المنشآت كأموات بالحاد
والناس قد ملؤا العبرين واعتبروا * من لؤلؤ طافيات فوق أزباد
حط القناع فلم تستر مخدرة * ومزقت أوجه تمزيق أبراد
حان الوداع فضجت كل صارخة * وصارخ من مفداة ومن فاد
سارت سفائنهم والنوح يصحبها * كأنها ابل يحدو بها الحادى
كم سال فى الماء من دمع وكم حملت * تلك القطائع من قطعات أكباد

ولما انتقل من بلاده وأعرى من طارفه وتلاده وحمل فى السفين وأحل فى العدوة

محل المؤمن تندبه منابره واعواده ولايدنو منه زواره ولاعواده بقى آسفا تتصعد زفراته وتطرد اطراد المذانب عبراته لايخلو بعواده ولايرى الاعرينا بدلا من تلك المكانس ولما لم يجد سلوا ولم يؤمل دنوا ولم ير وجه مسرة مجلوا تذكر منازله فشاقته وتصور بهجتها فراقته وتخيل استيحاش أوطانه واجهاش قصره الى قطانه واظلام جوه من أقماره وخلوه من حراسه وسماره فقال (بسيط)

بكى المبارك فى اثر ابن عباد * بكى على اثر غزلان وآساد
بكت ثرياه لاغمت كواكبها * بمثل نوء الثريا الرائح الغادى
بكى الوحيد بكى الزاهى وقبته * والنهر والتاج كل ذله باد
ماء السماء على أبنائه درر * يالجة البحر دومى ذات أزباد

وفى ذلك يقول ابن اللبانة (بسيط)

استودع الله أرضا عندما وضحت * بشائر الصبح فيها بدلت حلكا
كان المؤيد بستانا بساحتها * يجنى النعيم وفى عليائها فلكا
فى أمره لملوك الدهر معتبر * فليس يغتر ذو ملك بما ملكا
نبكيه من جبل خرت قواعده * فكل من كان فى بطحائه هلكا
ما سد موضعه للرزق سدبه * طوبى لمن كان يدرى أية سلكا

وكان الحصن الزاهر من أجمل المواضع لديه وأبهاها وأحبها اليه وأشهاها لاطلاله على النهر واشرافه على القصر وجماله فى العيون واشتماله بالشجر والزيتون وكان له به من الطرب والعيش المزرى بحلاوة الضرب مالم يكن بحلب لبنى حمدان ولا لسيف بن ذى يزن فى رأس غمدان وكان كثيرا مايديربه راحه ويجعل فيه انشراحه فلما امتد اليه الزمان بعدوانه وسد عليه أبواب سلوانه لم يعن الا به ولم يتمن الا الحلول لديه فقال (طويل)

غريب بأرض المغربين أسير * سيبكى عليه منبر وسرير
وتندبه البيض الصوارم والقنا * وينهل دمع بينهن غزير
مضى زمن والملك مستأنس به * وأصبح منه اليوم وهو نفور
برأى من الدهر المضلل فاسد * متى صلحت للصالحين دهور
أذل بنى ماء السماء زمانهم * وذل بنى ماء السماء كبير

فيا ليت

فياليت شعرى هل أبيتن ليلة * أمامى وخلفى روضة وغدير
بمنبتة الزيتون مورثة العلا * يغنى حمام أو تردد طيور
بزاهرها السامى الذرى جاده الحيا * تشير الثريا نحونا ونشير
ويلحظنا الزاهى وسعد سعوده * غيورين والصب المحب غيور
تراه عسيرا أو يسيرا مناله * ألا كل ما شاء الاله يسير

وأول عيد أخذه باغمات وهو سارح وما غير الشجون له سارح ولا زى الا حالة الحول واستحالة المأمول فدخل عليه من بنيه من يسلم عليه ويهنيه وفيهم بناته وعليهن أطمار كأنها كسوف وهن أقمار يبكين عند التسايل ويبدين الخشوع بعد التخايل والضياع قد غير صورهن وحير نظرهن واقدامهن حافية وآثار نعيمهن عافية فقال (بسيط)

فيما مضى كنت بالاعياد مسرورا * فساءك العيد فى اغمات ماسورا
ترى بناتك فى الاطمار جائعة * يغزلن للناس ما يملكن قطميرا
برزن نحوك للتسليم خاشعة * أبصارهن حسيرات مكاسيرا
يطأن فى الطين والاقدام حافية * كأنها لم تطأ مسكا وكافورا
لاخد الا تشكى الجدب ظاهره * وليس الا مع الانفاس ممطورا
أفطرت فى العيد لا عادت اساءته * فكان فطرك للاكباد تفطيرا
قد كان دهرك ان تأمره ممتثلا * فردك الدهر منهيا ومأمورا
من بات بعدك فى ملك يسر به * فانما بات بالاحلام مغرورا

وأقام بالعدوة برهة لا يروع له سرب وان لم يكن آمنا ولا يثور له كرب وان كان فى ضلوعه كامنا الى أن ثار أحد بنيه بأركش معقلا كان مجاورا الاشبيلية مجاورة الانامل للراح ظاهرا على بسائط وبطاح لا يمكن معه عيش ولا يتمكن من منازلته جيش فغدا بالمكاره على أهلها وراح وضيق عليهم المتسع من جهاتها والبراح فسار نحوه الامير ابن أبى بكر رحمة الله عليه قبل أن يرتد طرف استقامته اليه فوجده وشره قد تشمر وضره قد تنمر وجمره متسعر وأمره متوعر فنزل عدوته وحل للعزم حبوته وتدارك داءه قبل اعضاله ونازله وما أعد آلات نضاله وانحشرت اليه الجيوش من كل قطر وأفرغ فى مسالكه كل قطر فبقى محصور الايشذ له الاسهم ولا ينفذ عنه الانفس أو وهم وامتسك

شهوراحتى غرضه أحد الرماة فرماه بسهم أصماه فهوى فى مطلعه وخر قتيلا فى موضعه فدفن الى جانب سريره وأمن عاقبة تغييره وبقى أهله ممتنعين مع طائفة من وزرائه حتى اشتد عليهم الحصر وارتد عنهم النصر وعمهم الجوع وأغب أجفانهم الهجوع فنزلت منهم طائفة متهافتة ورقت بأنفاس خافتة فتبعهم من بقى ورغب فى التنعم من شقى فوصلوا الى قبضة الممات ووصلوا فى غصة الممات فرعتهم الحيف ونقعهم السيف ولما زأر الشبل خيفت ثورة الاسد ولم يرج صلاح الشكل والبعض قد فسد فاعتقل المعتمد خلال تلك الحال وأثنائها وأحل ساحة الخطوب وفناءها وحين أركبوه أساودا وأوردوه حزنا بات له معاودا قال (كامل)

غنتك أغماتية الالحان * ثقلت على الارواح والابدان
قد كان كالثعبان رمحك فى الوغى * فغدا عليك القيد كالثعبان
متعددا يحميك كل تعدد * متعطفا لا رحمة للعانى
قلبى الى الرحمن يشكو بثه * ما خاب من يشكو الى الرحمن
يا سائلا عن شأنه ومكانه * ما كان أغنى شأنه عن شانى
هاتيك قبته وذلك قصره * من بعد أى مقاصر وقيان

ولما فقد من يجالسه وبعد عنه من كان يؤانسه وتمادى كربه ولم تسالمه حربه قال (طويل)

تؤمل للنفس الشجية فرحة * وتأبى الخطوب السود الا تماديا
لياليك فى زاهيك أصفى صحبتها * كما صحبت قبل الملوك اللياليا
نعيم وبؤس ذا لذلك ناسخ * وبعدهما نسخ المنايا الامانيا

ولما امتدت فى الثقاف مدته واشتدت عليه قسوة الكبل وشدته وأقلقته همومه وأطبقته غمومه وتوالت عليه الشجون وطالت لياليه الجون قال (بسيط)

أنباء أسرك قد طبقن آفاقا * بل قد عممن جهات الارض اقلاقا
سارت من الغرب لا تطوى لها قدم * حتى أتت شرقها تنعاك اشراقا
فأحرق الفجع أكبادا وأفئدة * وأغرق الدمع آماقا وأحداقا
قد ضاق صدر المعالى اذ نعيت لها * وقيل ان عليك القيد قد ضاقا

انى غلبت وكنت الدهر ذا غلب * للغالبين وللسباق سباقا
قل الخطوب أذلتنى طوارقها * وكان عزمى للاعداء طراقا
متى رأيت صروف الدهر تاركة * اذا انبرت لذوى الاخطار أرماقا

(وقال لى من اثق به) لما ثار ابنه حيث ثار وأثار من حقد امير المسلمين عليه ما أثار جزع جزعا مفرطا وعلم أنه قد صار فى انشوطة الشر متورطا وجعل يتشكى من فعله ويتظلم ويتوجع منه ويتألم ويقول عرض بى للمحن ورضى لى أن أمتحن والله ما أبى الا الانكشاف من أكنافه بعدى ويخيفه بعدى ثم أطرق ورفع رأسه وقد تملك أسرته وظللته مسرته ورأيته قد استجمع وتشوف الى السماء وتطلع فعلمت أن قد رجا عودة الى سلطانه وأوبة الى أوطانه فما كان الا مقدار ما انتداح دائرة أو تلتفت مقلة حائرة حتى قال (متقارب)

كذا يهلك السيف فى جفنه * اذا هز كف طويل الحنين
كذا يعطش الرمح لم أعتقله * ولم تروه من نجيع يمين
كذا يمنع الطرف علك الشكيم * مرتقبا غمرة فى كمين
كأن الفوارس فيه ليوث * تراعى فرائسها فى عرين
ألا شرف يرحم المشرفى * مما به من سمات الوتين
الا كرم ينعش السمهرى * وينقذه من كل داء دفين
الا حنة لابن محنية * شديد الحنين ضعيف الانين
يؤمل من صدرها ضمة * تبوؤه صدر كف معين

وكانت طائفة من أهل فاس قد عاثوا فيها وفسقوا وانتظموا فى سلك الطغيان واتسقوا ومنعوا اجفون أهلها السنات وأخذوا البنين من حجور أمهاتهم والبنات وتلقبوا بالامارة وأركبوا الهوى نفوسهم الامارة حتى كادت تقفر على أيديهم وتدثر رسومها بافراط تعديهم الى أن تدارك أمير المسلمين رحمه الله أمرهم واطفأ جمرهم وأوجعهم ضربا وأقطعهم ما شاء حزنا وكربا وسجنهم باغمات وضمتهم جوانح الملمات والمعتمد اذ ذاك معتقل هناك وكان فيهم طائفة شعرية مذنبة أو بريه فرغبوا الى سجانهم أن يسرحوا الى المعتمد من أشجانهم فخلى ما بينهم وبينه وغمض لهم فى ذلك عينه فكان المعتمد رحمه الله يتسلى بمجالستهم ويجد أثر مؤانستهم ويسترح اليهم بجواه ويبوح لهم بسره

وبحواه الى أن شفع فيهم والنقلة وامن وثاقهم وانفرج لهم مبهم أغلاقهم وبقى المعتمد فى محبسه يشتكى من ضيق الكبل ويبكى بدمع كالوبل فدخلوا عليه مودعين ومن بينه متوجعين فقال (طويل)

أما لانسكاب الدمع فى الخد راحة * لقد آن أن يفنى و يفنى به الخد
هبوا دعوة يا آل فاس لمبتل * بما منه قد عافاكم الصمد الفرد
تخلصتم من سجن أغمات والتوت * على قيود لم يحن فكها بعد
من الدهم أما خلقها فأساود * تلوى وأما الايد والبطش فالاسد
فهنئتم النعمى ودامت لكاكم * سعادته ان كان قد خانني سعد
خرجتم جماعات وخلفت واحدا * ولله فى أمرى وأمركم الحمد

ومر عليه فى موضع اعتقاله سرب قطا لم يعلق لها جناح ولا تعلق بها من الايام جناح ولا عاقها عن أفراخها الاشراك ولا اعوزها البشام ولا الاراك وهى تمرح فى الجو وتسرح فى مواقع النو فتنكد عما هو فيه من الوثاق وما دون أحبته من الرقباء والاغلاق وما يقاسيه من كبله ويعانيه من وجده وخبله وفكر فى بنته وافتقارهن الى نعيم عهدنه وحبور حضرنه وشهدنه فقال (طويل)

بكيت الى سرب القطا اذ مررن بى * سوارح لا سجن يعوق ولا كبل
ولم تك والله المعيد حسادة * ولكن حنينا ان شكلى لها شكل
فاسرح فلا شمل صديع ولا الحشى * وجيع ولا عينان يبكيهما ثكل
وما ذاك مما يعتريه وانما * وصفت الذى فى جبلة الخلق من قبل
هنيئا لها ان لم يفرق جميعها * ولا ذاق منها البعد عن أهله أهل
وان لم تبت مثلى تطير قلوبها * اذا اهتز باب السجن أو صلصل القفل
لنفسى الى لقيا الحمام تشوف * سواى يحب العيش فى ساقه كبل
الاعصم الله القطا فى فراخها * فان فراخى خانها الماء والظل

وفى هذه الحال زاره الاديب أبو بكر بن اللبانة المتقدم الذكر وهو أحد شعراء دولته المرتضعين درها المتجعين درها وكان المعتمد رحمه الله يميزه بالشفوف والاحسان ويجوزه فى فرسان هذا الشان فلما رآه وحلقات الكبل قد عضت بساقيه عض الاسود والتوت عليه التواء الاساود السود وهو لا يطيق اعمال قدم ولا يريق دمعا الا ممزوجا بدم بعد ما عهده فوق منبر وسرير ووسط جنة وحرير

تخفق عليه الالوية وتشرق منه الاندية وتكف الامطار من راحته وتشرف الاقدار بحلول ساحته ويرتاع الدهر من أوامره ونواهيه ويقصر النسر أن يقاربه أو يضاهيه ندبه بكل مقال يلهب الاكباد وينزفيها لوعة الحرث بن عباد أبدع من أناشيد معبد وأصدع للكبد من مراثى اربد أو بكاء ذى الرمة بالمربد سلك فيها للاختفاء طريقا لاحبا وغدا فيها لذيول الوفاء ساحبا فمن ذلك قوله (بسيط)

لكل شئ من الاشياء ميقات * وللمنى من مناياهن غايات
والدهر فى صبغة الحرباء منغمس * ألوان حالته فيها استحالات
ونحن من لعب الشطرنج فى يده * وربما قمرت بالبيدق الشاة
انفض يديك من الدنيا وساكنها * فالارض قد أقفرت والناس قد ماتوا
وقل لعالمها السفلى قد كتمت * سريرة العالم العلوى أغمات
طوت مظلتها لا بل مذلتها * من لم تزل فوقه للعز رايات
من كان بين الندى والبأس أنصله * هندية وعطاياه هنيدات
رماه من حيث لم تستره سابغة * دهر مصيباته نبل مصيبات
وكان ملء عيان العين تبصره * وللأمانى فى مرآه مرآت
أنكرت الا التواآت القيود به * وكيف تنكر فى الروضات حيات
غلطت بين همايين عقدن له * وبينها فاذا الانواع اشتات
وقلت هن ذؤابات فكم عكست * من رأسه نحو رجليه الذؤابات
حسبتها من قناه أو أعنته * اذابها لثقاف الجد آلات
دروه ليثا فخافوا منه عادية * عذرتهم فلعدوى الليث عادات
منه المهابات فى الارواح آخذة * وان تكن أخذت منه المهابات
لو كان يفرج عنه بعض آونة * قامت بدعوته حتى الجمادات
بحر محيط عهدناه يجى له * كنقطة الدارة السبع المحيطات
وبدر سبع وسبع تستضيء به السبع الاقاليم والسبع السموات
به وان كان أخفاه السرار سنا * قبل الصباح به تجلى الدجنات
لهفى على آل عباد فانهم * أهلة مالها فى الافق هالات
تمسكت بعرى اللذات ذاتهم * يا بئس ما جنيت للذات لذات

راح الحيا وغدا منهم بمنزلة * كانت لنا بكر فيها وروحات
أرض كان على أقطارها مرحا * قدأ وقدتم من فى الاذهان أنبات
وفوق شاطئ واديها رياض ربا * قد ظللتها من الانشام دوحات
كأن واديها سلك بلبتها * وغاية الحسن أسلاك ولبات
ثم شربت بحبريه على صور * كانت لها فى قبل الراح سورات
وكنت أورق فى أيكاته ورقا * تهوى ولى من قريض الشعر أصوات
وكم جريت بشطى طعنته الى * محاسن للهوى فيهن وقفات
وربما كنت أسمو للخليج به * وفى الخليج لاهل الراح راحات
وبالغروسات لاجفت منابتها * من النعيم غروسات جنيات
معاهد ليت أنى قبل فرقتها * قدمت والتاركوها ليتهم ماتوا
فجئت منها باخوان ذوى ثقة * والارض فيها من الاخوان آفات
وافيت فى آخر الصحراء طائفة * لغاتهم فى كتاب الله لغات
رغد من العيش مالى أرتقبه ولى * عند ابن أغلب أكناف بسيطات
ان لم يكن عنده كونى فلاسعة * للرزق عندى ولا للانس ساعات
هو المراد ولكن دونه خلج * رخاوة عندها بيض معلات
وان تكن رجس من فوق مذهبه * فليس تغرب فى وجهى الملمات
هنالك ارى من النعمى الى كنف * فيه ظلال وأمواه وجنات
بين الحصار وبين المرتضى عمر * ذاك الحصار من المحذور منجاة
هل يذكر المسجد المعمور شرجبه * أو العهود على الذكرى قديمات
عندى رسالات شوق عنده فعسى * مع الرياح لو افيه رسالات

ولم تزل كبده تتوقد بالزفرات وخلده يتردد بين النكبات والعثرات ونفسه تتقسم بالاشجان والحسرات الى أن شفته منيته وجاءته بها أمنيته فدفن باغمات وأريح من تلك الازمات وعطلت المآثر من حلاها وأقفرت المفاخر من علاها ورفعت مكارم الاخلاق وكسدت نفائس الاعلاق وصار أمره عبرة فى عصره وصاب أبدا عبرة فى مصره وبعد ايام وافاه أبو بكر بن عبد الصمد شاعره المتصل به المتوصل الى الغنى بسببه فلما كان يوم العيد وانتشر الناس ضحا وظهر كل متوار وضحا قام على قبره عند انفصالهم من مصلاهم واختيالهم بزينتهم

وحلاهم وقال بعد أن طاف بقبره والتزمه وخرّ على تربه ولثمه (كامل)

ملك الملوك أسامع فأنادى * أم قد عدتك عن السماع عواد
لما خلت منك القصور ولم تكن * فيها كما قد كنت فى الاعياد
أقبلت فى هذا الثرى لك خاضعا * وتخذت قبرك موضع الانشاد
قد كنت أحسب أن تبدد أدمعى * نيران حزن أضرمت بفؤادى
فاذا بدمعى كلما أجريته * زادت على حرارة الاكباد
فالعين فى التسكاب والتهتان والاحشاء فى الاحراق والايقاد
يا أيها القمر المنير أهكذا * يمحى ضياء النير الوقاد
أفقدت عينى مذ فقدت انارة * لحجابها فى ظلمة وسواد
ما كان ظنى قبل موتك أن أرى * قبرا يضم شوامخ الاطواد
الهضبة الشماء تحت ضريحه * والبحر ذو التيار والازباد
عهدى بملكك وهو طلق ضاحك * متهلل الصفحات للقصاد
والمال ذو شمل مذاد والندى * يحمى وشمل الملك غير مذاد
أيام تخفق حول رأسك الرايات فو * ق كتائب الرؤساء والاجناد
والامر أمرك والزمان مبشر * بممالك قد أذعنت وبلاد
والخيل تمرح والفوارس تنثنى * بين الصوارم والقنا المياد

وهى قصيدة أطال انشادها وبنى بها اللواعج وشادها فانحشر الناس اليه وأحفلوا وبكوا البكاء وأعولوا وأقاموا أكثر نهارهم مطيفين به طواف الحجيج مديمين البكاء والعجيج ثم انصرفوا وقد نزفوا ماء عيونهم وأقرحوا مآقيهم بفيض شئونهم وهذه نهاية كل عيش وغاية كل ملك وجيش والايام لا تدع حيا ولا تألو كل نشر طيا تطرق رزاياها كل سمع وتفرق مناياها كل جمع وتصمى كل ذى أمر ونهى وترمى كل مشيد بوهى ومن قبله طوت النعمان بن الشقيقة ولوت مجازها فى تلك الحقيقة

(ابنه الراضى بالله أبو خالد يزيد بن محمد رحمه الله)

ملك تفرع من دوحة سناء أصلها ثابت وفرعها فى السماء وتحدر من سلالة أكابر ورقاة أسرة ومنابر وتصرف أثناء شبيبته بين دراسة معارف وافاضة عوارف وكلف بالعلم حتى صار ملهج لسانه وروضة أجفانه لا يستريح منه الا الى متن سائل

الغرة ميمون الاسرة يسابق به الرياح ويحاسن بغرته البدر اللياح عريق في السناء عتيق الاقتناء سريع الوخد والارقال من آل أعوج ووليد العقال الى أن ولاه أبوه الجزيرة الخضراء ونم البهاونة الغراء فانتقل من متن الجواد الى ذروة الاعواد وأقلع عن الدراسة الى تدبير الرياسة ومازال يدبرها بجوده ونماه ويورد الآمل فيها أمواهه حتى غدت عراقها وامتلأت اشراقها الى أن اتفق في الجزيرة ما اتفق وخاب فيها الرجاء وأخفق فاستطالت بجهتها وسالت عليها من الحوادث لجتها فانتقل الى رندة معتقل أشب ومنزل للسماء منتسب وأقام فيها رهين حصار ومهين حماة وأنصار واقتيت ريحه كل اعصار حتى رمته سهام الخطوب عن قسيها وأمكنت منه يدي مسيها فحواه رمسه وطواه عن غده أمسه حسبما بسطنا القول فيه فيما مر من أخبار أبيه (وكان المعتمد) رحمه الله تعالى كثيرا ما رميه بملامه ويصميه بسهامه وربما استلطفه بمقال أفصح من دمع المحزون وأملح من روض الحزون فانه كان ينظم من بدائع القول لآلي وعقودا تسل من النفوس ضغائن وحقودا وقد أثبت من كلامه في بث آلامه واستجادة عذله وملامه ما تستبدعه وتحله النفس وتودعه فمن ذلك ما قاله وقد أنهض جماعة من اخوته وأقعده وأدناهم وأبعده (وافر)

أعيذك أن يكون بنا خمول * ويطلع غيرنا ولنا أفول
حنانك ان يكن جرمي قبيحا * فان الصفح عن جرمي جميل
ألست بفرعك الزاكي وماذا * يرجى الفرع خانته الاصول

(وأخبرني المعتد بالله) ان المعتمد أباه وجهه الى شلب واليا وكانت ملعب شبابه ومألف أحبابه التي عمر نجودها غلاما وتذكر عهودها أحلاما فقال يخاطب ابن عمار وقد توجه اليها (طويل)

ألا حي أوطاني بشلب أبا بكر * وسلهن هل عهد الوصال كما أدري
وسلم على قصر الشراجيب عن فتى * له أبدا شوق الى ذلك القصر

وقصر الشراجيب هذا متناه في البهاء والاشراف مباه لزوراء العراق ركضت فيه جياد راحاته وأومضت بروق أمانيه في ساحاته وجرى الدهر مطيعا بين بكوره وروحاته أيام لم تحل عنه تمائمه ولا خلت من أزاهر الشباب كمائمه وكان يعتدها مجنى آماله ومنتهى أعماله يميل الى جهة جنباتها وطيب نفحاتها وهباتها

والتفاف

والتفاف خمائلها وتقلدها بنهرها مكان حمائلها وفيها يقول ابن اللبانة (طويل)

أما علم المعتد بالله أنني * بحضرته في جنة شقها نهر
وما هو نهر أعشب النبت حوله * ولكنه سيف حمائله خضر

ولما صدر عنها وقد حسنت آثاره في تدبيرها وانسدلت رعايته على صغيرها وكبيرها نزل المعتمد عليه مشرفا لاوليته ومعرفا بسمو قدره لديه ورتبته وأقام يومه عنده مستريحا وجرى في ميدان الانس بطلا مشيحا وكان واجدا على الراضى فجلت الحميا أفقه ومحت غيظه عليه وحنقه وصورته له عين حنوه وذكرته بعده فجنح الى دنوه وبينما استدعى ووافى مالت بالمعتمد نشوته وأغفى فألفاه صريعا في منتداه طريحا في منتهى مداه فأقام تجاهه يرتقب انتباهه وفي أثناء ذلك صنع شعرا أتقنه وجوده فلما استيقظ أنشده (متقارب)

ألآن تعود حياة الامل * ويدنو شفاء فؤاد معل
ويورق للعز غصن ذوى * ويطلع للسعد نجم أفل
فقد ومدتني سحاب الرضا * بوابلها حين جادت بطل
أيا ملكا أمره نافذ * فمن شاء عز ومن شاء ذل
دعوت فطار بقلبي السرور * اليك وان كان منك الوجل
كما يستطير لحب الوغى * اليها وفيها الظبا والاسل
ولا غرو أن كان منك اغتفار * وان كان منا جميعا زلل
فمثلك وهو الذي لم يزل * يعود بحلم على من جهل

ومرت عليه هوادج وقباب فيها حبائب كن له وأحباب ألفهن أيام خلافته من دولة وجال معهن في ميدان المنى أعظم جولة ثم انتزعوا منه بعده وأودعوا الهوادج من بعده ووجهوا هداياه الى العدوة وأموابها الملك قريش بدار الندوة فقال (بسيط)

مروا بنا أصلا من غير ميعاد * فأوقدوا نار شوقي أي ايقاد
وذكروني أياما لهوت بهم * فيها ففازوا بابشاري وامجادي
لا غرو أن زاد في وجدي مرورهم * فرؤية الماء تذكي غلة الصادي

ولما وصل المعتمد لورقة أعلم أن العدو قد جيش اليها واحتشد ونهد نحوها وقصد

ليتركها خاوية على عروشها طاوية الجوانح على وحوشها فتعرض له المعتمد دون بغيته وطلع له من ثنيته وأمر الراضي بالخروج اليه في عسكر يجرده لمحاربته وأعده لمصادمته ومضاربته فأظهر التمارض والتشكي وأكثر التقاعس والتلكي فرارا من المبادرة واحجاما عن المساورة وجزعا من منازلة الاقران ومقابلة ذوابل المران ومقاساة الطعان وملاقاة أبطال كالرعان ورأى أن المطالعة أربح من المقارعة ومعاناة العلوم أربح من مداواة الكلوم فقد كان عاكفا على تلاوة ديوان عارفا باجادة صدر وعنوان فعلم المعتمد ما نواه وتحقق ما لواه فأعرض عنه ونفض يده منه ووجه المعتمد مع ذلك الجيش الذى لم تنتشر بنوده ولم تنصر جنوده فعندما لقوا العدو لاذوا بالفرار وعادوا باعطاء الغرة بدلا من الغرار وتفرقوا في تلك الامارات وفرقوا من تخطف أولئك العفاريت فعصف العدو من بقي مع المعتمد واحتفه وخضم ما في العسكر وقضمه وغدت مضاربه مجرّ عواليه ومجرى مذاكيه وآب أخسر من بائع السدانة ومضيع الامانة فانطبقت سماء المعتمد على أرضه وشغلته عن اقامة نوافله وفرضه فكتب اليه الراضي (بسيط)

لا يكرثنك خطب الحادث الجارى * فما عليك بذاك الخطب من عار
ماذا على ضيغم أمضى عزيمته * أن خانه حد أنياب وأظفار
لئن أتوك فمن جبن ومن خور * قد ينهض العير نحو الضيغم الضارى
عليك للناس أن تبقى لنصرتهم * وما عليك لهم اسعاف أقدار
لو يعلم الناس ما في أن تدوم لهم * بكوا لانك من ثوب الصبا عار
ولو أطاقوا انتقاصا من حياتهم * لم يتحفوك بشيء غير أعمار

فحجب عنه وجه رضاه ولم يسخطه بذلك ولا أرضاه وتمادى على اعراضه وقعد عن اظهاره وانهاضه حتى بسطته دواعي التلوّ وعطفته عليه جوانح الحنوّ فكتب اليه بهزل غلب فيه كل منزع جزل وهو (كامل مجزوء)

الملك في طي الدفاتر * فتخل عن قود العساكر
طف بالسرير مسلما * وارجع لتوديع المنابر
وازحف الى جيش المعا * رف تقهر الحبر المقاهر
واطعن بأطراف اليرا * ع نصرت في ثغر المحابر

واضرب بسكين الدوا * ةمكان ماضى الحد باتر
أولست رسطاليس ان * ذكر الفلاسفة الاكابر
وكذاك ان ذكر الخليـ * ـل فأنت نحوى وشاعر
وأبو حنيفة ساقط * بازأى حين تكون حاضر
من هرمس من سيبويـ * ـه من ابن فورك اذ تناظر
هذى المكارم قد حويـ * ـت فكن لمن حاباك شاكر
واقعد فانك طاعم * كاس وقل هل من مفاخر
تحجبت وجه رضاى عنـ * ـك وكنت قد تلقاه سافر
أولست تذكر وقت لو * رقة وقلبك ثم طائر
لا يستقر مكانه * وأبوك كالضرغام خادر
هلا اقتديت بفعله * وأطعته اذ ذاك آمر
قد كان أبصر بالعوا * قب والموارد والمصادر

فكتب اليه الراضى مراجعا عنها بقطعة مطولة منها (كامل مجزو)

مولاى قد أصبحت كافر * بجميع ما تحوى الدفاتر
وفللت سكين الدوا * ة وظلت للاقلام كاسر
وعلمت أن الملك ما * بين الاسنة والبواتر
والمجد والعلياء فى * ضرب العساكر بالعساكر
لا ضرب أقوال بأقـ * ـوال ضعيفات مكاسر
قد كنت أحسب من سفا * هـ أنها أصل المفاخر
فاذا بها فرع لها * والجهل للانسان عاذر
لا يدرك الشرف الفتى * الا بعسال وباتر
وهجرت من سميتهم * وجحدت أنهم أكابر
مولاى ان تسخر فلا * عار بنا ان كنت ساخر
ضحك الموالى بالعبيـ * ـد اذا تؤمل غير ضائر
لو كنت تهوى ميتتى * لوجدتنى للعيش هاجر
ان كان بى فضل فذ * لك وهل لذاك النور ساتر
أو كان بى نقص ففى * ضبرأن الفضل غامر

ذكرت عبدك ساعـة * يبقى لها ما عاش ذاكر
باليتـه قـد غيبتـ * ـه عنده احدى المقابر
أتريد منى أن أكـو * ن كمن غدا فى الدهر نادر
هيهات ذلك مطمع * يعيى الاوائل والاواخر
لا تنس يا مولاى قو * لة ضارع لا قول فاخر
ضبط الجزيرة عندما * نزلت بعقوتها العساكر
أيام ظلت بها فريـ * ـدا ليس غير الله ناصر
اذ كان يغشى ناظرى * لمع الاسنة والبواتر
ويصم أسماعى بها * قرع الجبارة بالحوافر
وهى الحضيض سهولة * لكن بها ثبت مخاطر
هبنى أسأت كما أسا * ت أما لهذا العتب آخر
هب زلتى لبنـوتى * واغفر فان الله غافر

فقربه وأدناه وصفح عما كان جناه ولم تزل الحال آخذة فى البوار ومعتلة اعتلال حب الفرزدق للنوار حتى مضوا الغبرطة وقضوا بين الصوارم والرماح الخطية حسبما سردناه وعلى ما أوردناه واذا أراد الله انفاذ أمر سبق فى علمه فلا مرد لامره ولا معقب لحكمه لا اله الا هو كمل خبر الرانى والحمد لله كثيرا

(المتوكل على الله أبو محمد عمر بن المظفر رحمه الله وعفا عنه)

ملك جند الكتائب والجنود وعقد الالوية والبنود وأمر الايام فائتمرت وطافت بكعبته الآمال واعتمرت الى لسن وفصاحة ورحب جناب للوافد وساحة ونظم يزرى بالدر النظيم ونثر تسرى رقته سرى النسيم وأيام كانها من حسنها جمع وليال كان فيها على الانس حضور ومجتمع راقت اشراقا وتبلجا وسالت مكارمه أنهارا وخلجا الى ان عادت الايام عليه بعهود العدوان ودبت اليه دبيبها لصاحب الايوان وانبرت اليه انبراءها لابن زهير وراء عمان فأرغمت فيه للمجد معطسا ورمته سهم الحادثات فقرطسا فدجت أيامه المشرقة وذوت غصونه المورقة ونقل هو وابناه الى حيث أمراهم الدهر جناه فأمضى عليهم حد الحسام حكمه وأنفذ فيهم جور الايام ظلمه بحيث لم تعطف عليهم الاجوانح

النبل ولم تقف لديهم الابوارح الويل ولم يجب استغاثتهم الاعواء الذئاب أو صدى تسعر فيه نار الاكتئاب فرويت الارض من دمائهم وتعطلت المنابر من أسمائهم وعاد صبح ملكهم عاتما وأقامت النجوم عليهم ماتما نخروا على الثرى بدورا وسفروا بالجوى صدورا وغدوا صرعى تسفي عليهم الشمال وتنتفي منهم الآمال مجدلين على وجه الارض معفرين الى يوم النشور والعرض قد توسدوا التراب بدلا من الارائك وتضرجوا بالدماء بعد التضمخ بالمسك الصائك وغدا مصرعهم من فجيعهم أحمر كانهم ما عمروا أبيض ولا أسمر ورث الجلباب غير أنس الجناب لا يطرقه الاسبع أو ذيب ولا يرمقه الا تخيل للقلوب مذيب وصارت في لحومهم للسباع ولائم وعلى دمائهم من النسور حوائم وطالما وردوا للمنى مناهل ووجدوا الديار بها أواهل وركبوا الجياد وجنبوها وشهدوا الاعياد فزينوها ورقت أوامرهم بطون المهارق وتحكمت بواترهم في الطلى والمفارق وطوقت مواهبهم الاعناق وأغضت مهابتهم الجفون والاحداق فرقوا وما حضرهم أنيس ولا أذهب ايحاشهم تأنيس وباتوا لم يطلب لهم بثار ولا انتظم شملهم بعد الانتثار أخبرني أحد قاتليه أنه رغب في تقديم ولديه بين يديه ليحتسبهما عند ربه ويكتسبهما حسنة تمحو بعض ذنبه وكانا كوكبي رياسته ووارثي نفاسته فتقدما للحمام وطلعا من ثنيته بدري تمام وبدا منهما من الجلد في ذلك الموطن الانكد ما حير قاتليهما وستر عنه معاتلهما ثم أمر عليهما غراره وساق الردى الى تمامهما اسراره وقام المتوكل عند صرعتهما مختبلا من لوعتهما ليصلي وقد أفرط في ملامه وتشطط في كلامه واختلط افتتاحه بسلامه فبادروه وبادنتهم في الصلاة وناهشوه مناهشة الطير لقتيل الفلاة حتى خر لا لسجود واستاق لغير هجود وهي الايام هذه شيمها تسيء وان همت بالاحسان ديمها أقفرت شعب ودان وعفرت ملك غمدان وأظفرت الحمام بعبد المدان وفرقت عن مكنس رامة ظباءه ورمت بسطام بن قيس فخر على الالاءة ومزقت ابني بدر بجفر الهباءة وقد رثاهم الوزير أبو محمد بن عبدون عظيم سلكهم ونظيم سلكهم بقصيدة اشتملت على كل ملك قتل وأشارت الى من غدر منهم وختل تكبرها المسامع ويعتبر بها السامع وهي (بسيط)

الدهر يفجع بعد العين بالاثر * فما البكاء على الاشباح والصور

أنهاك أنهاك لا آلوك معذرة * عن نومة بين ناب الليث والظفر
فالدهر حرب وان أبدى مسالمة * والبيض والسمر مثل البيض والسمر
ولا هوادة بين الرأس تأخذه * يد الضراب وبين الصارم الذكر
فلا يغرنك من دنياك نومتها * فما صناعة عينيها سوى السهر
ما لليالي أقال الله عثرتنا * من الليالي وخانتها يد الغير
في كل حين لها في كل جارحة * منا جراح وان زاغت عن البصر
تسر بالشيء لكن كي تغر به * كالايم ثار الى الجاني من الزهر
كم دولة وليت بالنصر خدمتها * لم تبق منها وسل ذكراك من خبر
هوت بدارا وفلت غرب قاتله * وكان عضبا على الاملاك ذا أثر
واسترجعت من بني ساسان ما وهبت * ولم تدع لبني يونان من أثر
وأتبعت أختها طسما وعاد على * عاد وجرهم منها ناقض المرر
وما أقالت ذوي الهيئات من يمن * ولا أجارت ذوي الغايات من مضر
ومزقت سبأ في كل قاصية * فما التقى رائح منهم بمبتكر
وأنفذت في كليب حكمها ورمت * مهلهلا بين سمع الارض والبصر
ولم ترد على الضليل صحته * ولا ثنت أسدا عن ربها حجر
ودوخت آل ذبيان واخوتهم * عبسا وعضت بني بدر على النهر
وألحقت بعدي بالعراق على * يد ابنه أحمر العينين والشعر
وبلغت يزدجرد الصين واختزلت * عنه سوى الفرس جمع الترك والخزر
ومزقت جعفرا بالبيض واختلست * من غيله حمزة الظلام للجزر
وأشرفت بخبيب فوق فارعة * وألصقت طلحة الفياض بالعفر
ولم ترد مواضي رستم وقنا * ذي حاجب عنه سعدا في ابنة الغير
وخضبت شيب عثمان دما وخطت * الى الزبير ولم تستحي من عمر
وأجزرت سيف أشقاها أبا حسن * وأمكنت من حسين راحتي شمر
وليتها اذ فدت عمرا بخارجة * فدت عليا بمن شاءت من البشر
وما رعت لابي اليقظان صحبته * ولم تزوده الا الضيح في الغمر
وفي ابن هند وفي ابن المصطفى حسن * أتت بمعضلة الالباب والفكر
فبعضنا قائل ما اغتاله أحد * وبعضنا ساكت لم يؤت من حصر

وعممت

وعممت بالردى فودى أبى أنس * ولم ترد الردى عنه قنا زفر
وأردت ابن زياد بالحسين فلم * يبؤ بشسع له قد طاح أو ظفر
وأنزلت مصعبا من رأس شاهقة * كانت بها مهجة المختار فى وزر
ولم تراقب مكان ابن الزبير ولا * رعت عياذته بالبيت والحجر
ولم تدع لابى الزبان قاضبه * ليس اللطيم لها عمرو بمنتصر
وأظفرت بالوليد بن اليزيد ولم * تبق الخلافة بين الكاس والوتر
حبابه حب رمان ألم بها * وأحمر قطرته نفحة القطر
ولم تعد قضب السفاح نابية * عن رأس مروان أو أشياعه الفجر
وأسبلت دمعة الروح الامين على * دم بفخ لآل المصطفى هدر
وأشرقت جعفرا والفضل ينظره * والشيخ يحيى بريق الصارم الذكر
وأخفرت فى الامين العهد وانتدبت * لجعفر بابنه والاعبد الغدر
وروعت كل مأمون ومؤتمن * وأسلمت كل منصور ومنتصر
وأعثرت آل عباس لعا لهم * بذيل زباء من بيض ومن سمر
وأرتقت فى عراها كل معتقد * وأشرقت بقذاها كل مقتدر
ولاوفت بعهود المستعين ولا * بما تأكد للمعتز من مرر
بنى المظفر والايام مابرحت * مراحلا والورى منها على سفر
سحقا ليومكم يوما ولاحملت * بمثله ليلة فى مقبل العمر
من للاسرة أو من للاعنة أو * من للاسنة يهديها الى الثغر
من للبراعة أو من لليراعة أو * من للسماحة أو للنفع والضرر
أو دفع كارثة أو ردع آزفة * أو قمع حادثة تعيى على القدر
من للظبى وعوالى الخط قد عقدت * أطراف ألسنها بالعى والحصر
وطوقت بالمنايا السود بيضهم * أعجب بذاك وما منها سوى ذكر
ويح السماح وويح البأس لو سلما * وحسرة الدين والدنيا على عمر
سقت ثرى الفضل والعباس هامية * تعزى اليهم سماحا لا الى المطر
ثلاثة ما أرى السعدان مثلهم * فضلا ولو عززا بالشمس والقمر
ثلاثة ما ارتقى النسران حيث رقوا * وكل ما طار من نسر ولم يطر
ومر من كل شئ فيه أطيبه * حتى التمتع بالآصال والبكر

من الجلال الذى غضت مهابته * قلوبنا وعيون الانجم الزهر
أين الاباة الذى أرسوا قواعده * على دعائم من عز ومن ظفر
أين الوفاة الذى أصفوا شرائعه * فلم يرد أحد منهم على كدر
كانوا رواسى أرض الله منذ نأوا * عنها استطارت بمن فيها ولم تقر
كانوا مصابيحها فمذ خبوا غبرت * هذى الخليقة بالله فى سدر
كانوا شجا الدهر فاستهوتهم خدع * منه باحلام عاد فى خطا الخضر
من لى ومن بهم ان أظلمت محن * ولم يكن وردها يدنى الى صدر
من لى ومن بهم ان أطلمت نوب * ولم يكن ليلها يفضى الى سحر
من لى ومن بهم ان عطلت سنن * وأخفيت ألسن الآثار والسير
ويله من طلوب الثار مدركه * لو كان دينا على الايام ذى عسر
على الفضائل الا الصبر بعدهم * سلام مرتقب للاجر منتظر
يرجو عسى وله فى أختها طمع * والدهر ذو عقب شتى وذو غير
قرطت آذان من فيها بفاضحة * على الحسان حصى الياقوت والدرر

(وأخبرنى الوزير أبو بكر بن القبطرنة) أنه كان سامر المتوكل اذ وافاه خبر بخروج أحد أهل يابرة فارا من ابنه العباس ولحاقه بالمعتمد على الله فبينما هو يردد الوعيد ويبدى فى ذلك ويعيد اذا بكتاب العباس قد وافاه يقسم أنه ما أخرجه ولا انفاه ولا حمله على ذلك الا البطر وانه كان له فى ذلك أرب ووطر وكانت حاجة فى نفس يعقوب قضاها وارادة أنفذها وأمضاها فوقع له على رقعته قبولى لتنصلك من ذنوبك موجب لجراءتك عليها وعودتك اليها واتصل بى ما كان من خروج فلان عنك ولم تتثبت فى أمره ولا تحققت صحيح خبره حين فر عن أهله ووطنه والجهل من النقصان وليس بعد قبل النضج بحران وهو الذى أوجبه اعجابك بأمرك وانفرادك برأيك ومتى لم ترجع الى ما وعدت به من نفسك وصدرت به من كتبك فأنا والله أريح نفسى من شغلك وان تكن الاخرى فهو الحظ الاوفى فاختر لنفسك أى الامرين ترى ان شاء الله تعالى وبلغه أنه ذكر فى مجلس المنصور يحيى أخاه بسوء فكتب اليه (طويل)

فما بالهم لا أنعم الله بالهم * ينيطون بى ذما وقد علموا فضلى
يسيئون فى القول جهلا وضلة * وانى لأرجو أن يسوءهم فعلى

لئن كان حدنا ما أذاعوا فلامنت * الى غاية العلياء من بعدها رجلي
ولم ألق أضيافي بوجه طلاقة * ولم أمنح العافين في زمن المحل
وكيف وراحي درس كل غريبة * وورد التقي شمي وحرب العدى نقلي
ولي خلق في السخط كالشرى طعمه * وعند الرضا أحلى جنى من جنى النحل
فيا أيها الساقي أخاه على النوى * كؤس القلى مهلا رويدك بالعل
لتطفي نارا أضرمت في صدورنا * فمثلك لا يقلى ومثلي لا يقلي
وقد كنت تشكيني اذا جئت شاكيا * فقل لي لمن أشكو صنيعك بي قل لي
فبادر الى الاولى والافانني * سأشكوك يوم الحشر للحكم العدل

(وكان) ابن الحضرمي وزيره فازدهى واقتعد السهى وعامل الناس أسوأ معاملة وأعطاهم المقابحة عوضا عن المجاملة وأهمل الحال التي علقها به وناطها ودمرها عليه وما حاطها ولما تعبير رعتنا والى من ذلك ما أتى ظهر للمتوكل قبح أفعاله واحتذائه بالنجم وانتعاله فأقعده عن رتبته وأبعده عن خدمته فكتب اليه يستعطفه فراجعه المتوكل باسيدي واكرم عددي الشاكي ماجنته يده لا يدي ومن أسأل الله له التوفيق في ذاته اذ حرمه في ذاتي قرأت كتابك المشتكي فيه صدودي واعراضي عنك غاية مجهودي ثم فاني رأيت الامر قد ضاع والاهمال قد انتشر وذاع فاشفقت من التلف وعدلت الى ما يعقب ان شاء الله بالخلف وأقبلت أستدفع مواقع أنسي وأشاهد ما ضيعته بنفسي فلم ارا الا لجيا قد توسطتها وغمرات قد تورطتها فشمرت عن الساق للجتها وخدمت النفس بمهجتها حتى خضت البحر الذي أدخلني فيه رأيك ووطئت الساحل الذي كان يبعدني عنه سعيك فنفسك لم وبسوء صنيعك اذ أعتهم وان منتت بجميل اعتقاد ومحض وداد فأنا مقر بغرره معترف بقله وكثره ولكن كنت كالمثل ثوى أخولك حتى اذا أنفج رمد وقد أطمعت في العدو ولبست لاهل مصري الاستكبار والعتو واستهنت بجيرانك وتوهمت أن المروأة التزام زهوك وتعظيم شانك حتى أحرجت النفوس علي وعليك فانجذب مكروه ذلك اليك ومع ذلك فليس لك عندي الاحفظ الحاشية واكرام الغاشية (ولما) كتب الوزير أبو بكر بن القبطرنة مع بنت الحضرمي وتأخر زفافها تأخرا أرقه وأورى حرقه واتفق أن نهض المتوكل الى أرض الروم لمنازلة أحد معاقلها وهو معه فأقام عليه

الى أن قصه وأنهج له الظفر سعيه وأوضحه فصدر والفتنة قد أنشبت أظفارها وأعملت أسنتها وشفارها واغطشت ليلها وأجالت في عراصه خيلها فكتب اليه وهو كان قبل الفتنة (بسيط)

يشكو اليك الذي تطوى به أضلعه * يا ظفر مية من هم وتسهيد
فانسخ لي السود من أيام وحشتها * بالبيض قبل اختلاط البيض بالسود

فقال ابن أيمن اراد الشباب والمشيب وقال هو والله ما اراد الا الروم والزنج وكان باختلاطهم وانتشارهم فينا وانبساطهم ووالله لاجمعن بينهما قبل أن يجري بأسهم اليناً فيعود الشباب مشيبا وترى الولدان شيبا وترحل كل سلوة وتصل كل حبوة وتكثر الاجاحات وتصبح الاعراس وهي مناحات فعاقت الفتنة عن ذلك وشغلت وتوقدت عواديها واشتعلت فلم يتكيف اعراسه ولا جرت في ميدان المنى افراسه ولما عفر المتوكل وصرع وجرع من الردى ما جرع ارتدت آمال أبي بكر الى اعقابها وانسابت اليه حيات الملمات من انقابها وانتهبت أمواله وهتكت أحواله وغدت منازله وهي زلازل وتراءى له ظل عزه وهو زائل واستنسر له البغاث وعدم المستصرخ والمستغاث فقال يرثي المتوكل والفضل (طويل)

تهاوت بي الدنيا وعزت كلابها * بأسدى وجرت بيض افيالى الخيل
فقلت لها صبرى جهارو جترى * فلا عمر منى قريب ولا الفضل

ثم اعرس بها بعد والحال قد جف معينها وخف قطينها وورد ثمادها وفقد عمادها فأقام معها بين أحوال مكربة وآمال مضطربة الى أن مان حينها وبان بها رحيل المنايا وبينها وفيها يقول عندما عاقها عنه الحمام وعداها وثناها عنه كما ينثني عن الروضة نداها (متقارب)

أدمعا جوجا وصبرا حزونا * لقد جمع الحزن فيك الفنونا
ايا ماشيا فوقها لاهيا * تميس اختيالا وتنقد لينا
ترفع برجلك عنها رويدا * فتجعل خدك فيها المصونا
فلا تبكين للشرخ اماس * فتاتك مهما وباء وسينا
وخط على وردكا فوزتيك * بمسك عذاريك لاماوتونا
ومما يثبت قولي لديك * وربما جرت شأن شؤونا

مصاب حكى فى ابنة الحضرمى * مصاب صبيرة ادمى الجفونا
واف الشباب باوراقه * واودعه الترب فها مصونا
فانسى بها نضرة واقبالا * وعيشا نضيرا وانسى طرونا

(واخبرنى) الوزير ابو محمد بن عبدون أن الجدب توالى بحضرمة حتى جفت مذانبها واغبرت جوانبها وغرد المكاء فى غير روضة وخاض الناس بالباس اعظم خوضة وابدت الخمائل عبوسها وشكت الارض للسماء بوسها فاقلع المتوكل عن الشرب واللهو ونزع ملابس الخيلاء والزهو واظهر الخشوع واكثر السجود والركوع الى أن غيم الجو وانسجم النو وصاب الغمام وغنت الحمام وسفرت الازهار وزهت النجاد والاغوار واتفق أن وصل أبو يوسف المغنى والارض قد لبست زخارفها ورقم الغمام مطارفها وتدبجت الغيطان والربى وارجت نفحات الصبا والمتوكل ما فض لتوبته ختاما ولا نفض عن قلبه منها اقتاما فكتب اليه (متقارب)

الم أبو يوسف والمطر * فياليت شعرى ما ننتظر
ولست بآب وأنت الشهيد * حضور نديك فيمن حضر
ولا مطلعى وسط تلك السما * ء بين النجوم وبين القمر
وركض فيها جياد المدا * م محثوثة بسياط الوتر

فبعث اليه مركوبا وكتب معه (متقارب)

بعثت اليك جناحا فطر * على خفية من عيون البشر
على ذلل من نتاج البرو * ق فى ظلل من نسيج الشجر
فحسبى ممن نأى من دنا * فمن غاب كان فدا من حضر

فوصل الى القصبة المطلة على البطحاء المزرية بنازل الروحاء فاقام منها حيث قال عدى بن زيد يصف صنعاء (مديد)

فى قباب حول دسكرة * حولها الزيتون قد ينعا

ومضى لهم من السرور يوم ما مر لذى رعين ولا تصور قبل عيونهم لعين وأخبرنى انه سايره الى شنترين قاصية ارض الاسلام السامية الذرى والاعلام التى لا يروعها صرف ولا يفرعها طرف لانها متوعرة المراقى معترة للراقى متمكنة الروابى والقواعد على ضفة نهر استدار بها استدارة القلب بالساعد قد أطلت

على خمائلها اطلال العروس من منصتها واقطعت فى الجو اكثر من حصتها قد زرّ بالبهار قطرها سالت فيه جداوله واختالت فيه خمائله فلا يجول الطرف منه الا فى حديقة أو بقعة أنيقة فتلقاهم ابن مغانى قاضى رندة وانزلهم عنده وأورى لهم بالمبرة زنده وقدم لهم طعاما واعتقد قبوله منا وانعاما وعند ماطعموا قعد القاضى بباب المجلس رقيبا لا يبرح وعين المتوكل حياء منه لا تجول ولا تمرح فخرج أبو محمد وقد أبرمه القاضى بتثقيله وحرمه راحة رواحه ومقيله فلقى ابن خيرون منتظراله وقد اعد للحضور منزله فسار الى مجلس قد ابتسمت ثغور نواره وخجلت خدود ورده من زواره وابدت صدور اباريقه اسرارها وحيت عليه المحاسن ازرارها ولما حضر له وقت الانس وحينه وارجت له رياحينه وجه من يرقب المتوكل حتى يقوم جليسه ويزول موحشه لا انيسه فاقام رسوله وهو بمكانه لا يريمه وقد لازمه كانه غريمه فما انفصل حتى ظن ان عارض الليل قد نصل فلما علم أبو محمد بانفصاله بعث الى المتوكل بقطيع خمر وطبق ورد وكتب معهما

اليكها فاجتلها منيرة * وقد خبا حتى الشهاب الثاقب

واقفة بالباب لم يؤذن لها * الا وقد كاد ينام الحاجب

فبعضها من الحياء جامد * وبعضها من الحياء ذائب

فقبلها رحمه الله وكتب اليه

قد وصلت تلك التى زففتها * بكرا وقد شابت لها ذوائب

فهب حتى نسترد ذاهبا * من أنسنا ان استرد ذاهب

فركب اليه ونقل معه ماكان بالمجلس بين يديه وباتا ليلتهما لا يرتابان الدهر ولا يشعران برقبا الا الكأس والزهر (وأخبرنى) ابن زرقون أنه حضر مجلس راح ومكنس ظباء وافراح وفيه جماعة منهم الوزير أبو بكر بن القبطرنة شيخ الفتوة ومعرض فتياتها المجلوة ومعهم سعد بن المتوكل وهو غلام ما انضاعنه الشباب برده ولا اذوى يانعه ولا ورده وكان الوزير أبو بكر واخواه أبو محمد وأبو الحسن مختصين بالفضل أخيه اختصاص الانوار بالكمائم والقبات بالتمائم فتذاكروا فقده وكيف أشفى عليه الزمان حقده ووصفوا اصرعته واوقدوا لوعته والمدام قد رققت دمعه وشوقت لاحاديثه سمعه فهاج شجوه وبان طربه ولهوه

وأرسل

وأرسل مدامعه مجالا وقال ارتجالا (كامل)

يا سعد ساعدني ولست بخيلا * وامنن بها خبرا تفيض همولا
واحبس على دموع عينك ساعة * وأبرد بها عما ألم غليلا
ان يصبح الفضل القتيل فانني * اصبحت من وجدي به مقتولا
كم قد وقيتكم الحمام بمهجتي * وحلت شول علا انكم معقولا

ومن كلامه الحر ونثره المزري بالدر ما كتب به الى المعتمد شافعا وهو ما يسدي لي أيدك الله وجه معطا العتك ويعن لي سبب من اسبابك الاوأجد الزمان قد أقبل بعد اعراضه وأمد حبل انقباضه وأرى المنى تلقي الى عنانها وتدني من يدي احسانها فانك العماد الذى أعتده حبلا ألوذ بحقوه ومنهلا أكرع في صفوه ومعظما أعاطيه بقسطه وأناجيه على شحطه ولما كان فلان ابقاه الله قد سبقت بها المعرفة القديمة وسلفت معه الاذمة الكريمة وأتاني ثناؤه عليك بالغيب ارسالا كالماء صبا أو شمالا لزمني أن أعلمك بمكانه من الانقطاع الى جهتك والتحيز الى فئتك وان أشفع له عندك شفاعة حسنة أدرك بها كرم الشفيع ويحوز بها منك شرف العارفة والصنيع وهي منة طوقتها اياها وأطلعته بروضها وربابها ثم اعترض عليه فيها وقد شهر ملكها وانواحيها وبعيد الله فخرك أن يكون ما وهبت مرتجعا وما أوليت منتزعا وأنا ارتقب لها الاسعاف والقبول كما يرتقب الظمآن الورود والوصول وان مننت أيدك الله بالمراجعة الجميلة البديعة وقرنتها بأحوالك المصونة الرفيعة اقتضيت الشكر من شاكر كنور زاهر وغمام باكر ان شاء الله تعالى * وكان ليلة مع خواصه للانس معاطيا وبمجلس كالشمس واطيا وقد تفرغ للسرور وتسوغ عيشا كالامل المزرور والمنى قد أفصحت ورقها وأومض برقها والسعد تطلع مخايله والملك يبدو زهوه وتخايله اذ ورد عليه كتاب بدخول اشبونة في طاعته وانتظامها في سلك جماعته فزاد في مسرته وبسط اسرته وأقبل على خدامه وأسبل ندامه على جلسائه وندامه فقال له ابن خيرة وكان يدله بالشباب وينزل منه منزلة الاحباب لمن تولها أو من يكون واليها فقال لك فقال فاكتب لي بذلك فاستدنى الدواة والرق وكتب وما جف القلم ولا توقف عنه كلم لم يسوغ اولياء النعم مثل الذى سوغموه من التزام الطاعة والدخول في نهج الجماعة ولذلك

لا آلوكم ونفسي فيكم نصحا في التخيره للنيابة عني في تدبيركم والقيام بالدقيق والجليل من أموركم وقد وليت عليكم من لم أوثر والله فيه دواعي التقريب على بواعث التجريب ولا قرات التخصيص على لوازم التمحيص وهو الوزير القائد أبو عبد الله بن خيرة ابي دربة وبعضي عصبة ونشأتي شبكة وقربة وقد جمعت له من وجوه الذب والحماية ومعالم الرفق والرعاية ما التزم الاستيفاء بعهده والوقوف بجده عند حده والمسؤول في عونه من لا عون الا من عنده ولن أعرفكم من جيد خصاله وسديد خلاله الا ما يشيد ولاء بان ويركو مع الامتحان ويفشو من قبلكم ان شاء الله على كل لسان وقد تقدمت له أن يكون لنا شكرا بان ولكهلكم أخا ولذي التقوس والكبر ابنا ما أعنتموه على هذا المراد ولزوم الجواد وركوب الانقياد واما من شق العصى وبان عن الطاعة وعصى وظهر منه المراد والهوى فهو القصي منه وان مت اليه بالرحم الدنيا فكونوا له خير رعية بالسمع والطاعة في جميع الاحوال يكن لكم بالبر والموالاة خير وال ان شاء الله عز وجل (وأخبرني) الوزير الفقيه أبو أيوب بن أبي أمية أنه مر في بعض أيامه بروض مفتر المباسم معطر الرياح النواسم قد صقل الربيع حوذانه وأنطق بلبله وورشانه وألحف غصونه برودا مخضرة وجعل اشراقه للشمس ضرة وأزاهيره تتيه على الكواكب وتختال في خلع الغمائم السواكب فارتاح الى الكون به بقية نهاره والتنعم بنفسجه وبهاره فلما حصل من أنسه في وسط المدى عمد الى ورقة كرنب قد بللها الندى وكتب فيها بطرف غصن يستدعي الوزير أبا طالب بن غانم أحد ندمائه ونجوم سمائه (بسيط مخلع)

أقبل أبا طالب الينا * وقع وقوع الندى علينا

فنحن عقد بغير وسطى * ما لم تكن حاضرا لدينا

(ولما) وافى العيد الذي لم يفرع فيه باعدائهم منبر ولا تضوع في نواحيه منهم مسك ولا عنبر وطوت الفضل منيته وتعطلت في ذلك الموسم ثنيته تذكر الوزير أبو محمد بن القبطرنة أيامه معه وتصور أعياده وجمعه واشراقها بجلاله وابتهاجها بعلاه وتفكر في سقوط النسور عليه والعقبان وتمزيق الوحوش لجسمه الذي كان كغصن البان فقال (طويل)

أبا فضل لم أعجب لموتك انه * هو الدهر لا يبقى عليه ولا الدهر

ولكن

ولكن لاسياف مشين عواضبا * اليك وكنت السيف حليته النصر
ويا عجبا للارض حيا ملكتها * ومت ولم يستترك من قعرها شبر
فليتك من عيني وقلبي صيانة * تؤوب الى قبر اذا لم يكن قبر
ستبكي لهذا العيد بعدك قبة * زفيرهم نظم ودمعهم نثر
توقل هل ببيض وجهك طالعا * فيسود في الحاظها العيد والفطر
ابرعالك مني مشفق ذو حفيظة * عليك اذا لم يرعك الذئب والنسر

تم خبر المتوكل بحمد الله

(المعتصم بالله أبو يحيى محمد بن معن بن صمادح رحمه الله)

ملك اقام سوق المعارف على ساقها وأبدع في انتظام مجالسها واتساقها واوضع رسمها وأثبت في جبين أوانه وسمها لم تخل أيامه من مناظرة ولا عمرت الا بمذاكرة أو محاضرة الاساعات أوقفها على المدام وعطلها من ذلك النظام وكانت دولته مشرعا للكرم ومطلعا للهمم فلاحت بها شموس وارتاحت فيها نفوس ونفقت فيها اقلام الاعلام وتدفقت بحار الكلام كاجادة ابن عمار وابداعه في قوله معتذرا من وداعه (طويل)

امعتصما بالله والحرب ترتمي * بابطالها والخيل بالخيل تلتقي
دعتني المطايا للرحيل واننى * لافرق من ذكر النوى والتفرق
واني اذا غربت عنك فانما * جبينك شمسي والمرية مشرقي

هذا على انكماش ولايته وقلة جبايته فان نظره لم يزد على امتداد ناظر ولم يعد الغمام منه على يانع ولا ناضر لان أكثره منابت شيح ومهامه فيح استغفر الله الاضفتي نهر بجاية المتدكالحبل المستمد من الطل والوبل فان في جانبيه كتاسع الشبر ما يفي بانتجاع ورق ولا تبر فاقتصر هو على صمادحيته البديعة وقصبته المنيعة واشتغل بترميق اساطيله وتنميق اباطيله ولم تمتد همته الى مزاحمة ملك في ملكه ولم يزد على مراعاة أمر جواريه وفلكه ولا انتقل الامن مجلس مدارسة الى مكنس مؤانسة فكثيرا ما كان يعمر أندية اللهو ويداولها من مجلس الخلافة الى اللهو كلاهما سرى المنظر قرى المرمى وكان له نظم أرج النفحة بهيج الصفحة يصف به مجالس ايناسه ويصرفه بين ندمائه وكاسه ولم يزل كذلك الى أن نازلته الحلات وطاولته المطلات ففاضت نفسه في اثناء منازلتهم جزعا

وذهبت روحه مقسما بالانكاد موزعا ونغصت عليه منيته حتى ما كان يلتفت الا الى رهج يغشاه ولا يصيخ الا الى رجسة تقلقل حشاه فاكثر القتال انما كان تحت مجالسه الذى كان به مختبئه وفيه تألمه وتوجعه ولقد أخبرنى من سمعه يقول وقد علت أصواتهم وتقلقلت افئدتهم نغص علينا كل شئ حتى الموت فبكت احدى حظاياه فرمقها بطرف الكليل وقال وهو يتنفس الصعداء من حر الغليل

(متقارب) ترفق بدمعك لا تفنه * فبين يديك بكاء طويل

وبقى ابنه عز الدولة مختبل التلفت مرتقب التغلب لا يحكم تدبيرا ولا يملك من أمره قليلا ولا كثيرا قد نهل بالغصص وذهل خوفا من القنص الى أن ركب فى البحر طريقا غير يبس وساعدته الريح بنفس فامتطى ثبجه واورد غربانه لججه فكانت أطوع من غربان نوح وبلغت بأجنحة الى حيث شاء الجنوح فأصبح الناس وأطراف شراعه تلوح والطلا لتبكى عليه وتنوح فاز جاها الى بجاية سكانه وحياه منها موضعه ومكانه فاستقر فيها تحت رعاية المنصور بن الناصر وأوى منها الى جنات ومقاصر وتوقدت شهابه وجدد له العز ذهابه فى بديع افعال المعتصم ان المعتصم دخل المرية وعليه اسمال لا تقتضيها الآداب ولا يرتضيها الا الانتحاب والانتداب والناس قد لبسوا البياض وتصرفوا من حضرتهم فى مثل قطع الرياض والحلى تظما آن بسعره بجواده عريان لا يستره الا سواده فكتب اليه (وافر)

ايا من لا يضاف اليه ثان * ومن ورث العلى بابا فبابا
ايجمل أن تكون سواد عينى * وابصر دون ما ابغى حجابا
وعينى الناس كلهم حماما * وامشى بينهم وحدى غرابا

فادر له حباه ووصله وحاباه وبعث اليه من البياض ما لبسه وجلل به مجلسه وكتب اليه مع ذلك (طويل)

وردت وللبل البهيم مطارف * عليك وهذى للصباح برود
وأنت لدينا ما بقيت مقرب * وعيشك سلسال الجمام برود

(وأخبرنى) الوزير أبو خالد بن بشتغير انه ركب ليتطلع بعض اقطاره ويتودع فيها بقية نهاره وقدم بين يديه من آلات أطرابه وأدوات شرابه ما اتخذه لانسه جالبا ولوعته غالبا فان احدى حظاياه المكينات عنده تركها تجود بنفسها

وتزوده بكان رمسها فخرج فارًّا من قصتها مستريحا من غصتها فلما وضع رجله في ركابه ودمعه يغلب جلده بانسكابه خرج من أعلمه بموتها وعزاه على فوتها فأمر أن توضع في قبرها ووصى من يتطرق أمرها ولم ينصرف من وجهته ولم ينصرف عن نزهته وقال (بسيط)

لما غدا القلب مفجوعا بأسوده ✽ وفض كل ختام من عزائمه

ركبت ظهر جوادى كى أسليه ✽ وقلت للسيف كن لى من تمائمه

(وأخبرنى الوزير المذكور) أنه حضر مجلسه بالصمادحية فى يوم غيم وفيه أعيان الوزراء ونبهاء الشعراء فقعد على موضع يتداخل الماء فيه ويتلوى فى نواحيه والمعتصم منشرح النفس بمجتمع الانس فقال (بسيط)

انظر الى حسن هذا الماء فى صببه ✽ كأنه أرقم قد جد فى هربه

فاستبدعوه وتمروه وأولعوه فأسكب عليهم شآبيب نداه وأغرب بأظهره من بشره وأبداه واتفق أن غنى بقول النابغة (متقارب)

ولما نزلنا بجيش التاج ✽ ولم نعرف الحى الا التماسا

أضاءت لنا النار وجها أغر ✽ وملتبسا بالفؤاد التباسا

فاستطابه واستحسنه وجعله أبدع ما للنابغة وأحسنه وأمر ابن الحداد بمعارضته فقال على البديهة (متقارب)

اذا ما التمست الغنى بابن معن ✽ ظفرت وأحمدت منه التماسا

ومن يرج شمس العلا من نجيب ✽ فليس يرى من رجاه شماسا

(وبلغته) عن ابن عمار هنات لم تطرق جفونه بها سنات وقرر عنده أنه يدب اليه دبيب الضراء وينسبه الى أفن الآراء ويكشف عن عوراته ويستخف ببوادره وفوراته فضاق بها ذرعا واعتدها على ابن عمار أصلا وفرعا ونوى غاية هجره وزوى عينيه عن صباحه وفجره فكتب اليه ابن عمار فلم يلتفت الى ما كتبه وعذل مبلغه وأنبه واجتاز على المرية فما استدعاه ولا أخصب له مرعاه ولا بره على عادته ولا رعاه فلما تمادى فى تقاطعهما الامد وتوالى عليه ما يبلغه عنه المكمد كتب اليه مراجعا عن قطعة خاطبه بها (طويل)

وزهدنى فى الناس معرفتى بهم ✽ وطول اختبارى صاحبا بعد صاحب

فلم ترنى الايام خلا تسرنى ✽ مباديه الا ساءنى فى العواقب

ولا قلت أرجوه لدفع ملمة * من الدهر الا كان احدى المصائب

فراجعه ابن عمار بهذه الابيات (طويل)

فديتك لا تزهد فثم بقية * سيرغب فيها عند وقع التجارب

وأبق على الخلصان ان لديهم * على البدء كرات بحسن العواقب

تكنفتني بالنظم والنثر جاهدا * وسقت على القول من كل جانب

وقد كان لي لو شئت رد وانما * أجزلها لي بعض تلك المواهب

ولا بد من شكوى ولو بتنفس * يبرد من حر الحشى والترائب

كتبت على رغمي وبعد تثبته * قرأت جوابي من سطور المواكب

ثلاثة أبيات وهيهات انما * بعثت الى حربي ثلاث كتائب

وكيف يلذ العيش في عتب سيد * وما الذل يوما على عتب صاحب

وقبل جرت عن بعض كتبي جفوة * ألحت على وجهي بغمز الحواجب

سلكت سبيلي للزيارة قبلها * فقابلت دفعا في صدور الركائب

وما كنت مرتادا ولكن لنفحة * تعودت من ريحان تلك الضرائب

ولو لمعت لي من سمائك برقة * ركبت الى مغناك هوج الجنائب

فقبلت من يمناك أعذب مورد * وقضيت من لقياك أوكد واجب

وأبت خفيف الظهر الا من النوى * وخلفت للعاقي ثقال الحقائب

سواك يعي قول الوشاة من العدا * وغيرك يقضي بالظنون الكواذب

قوله فقبلت في نسخة ازهار يديك اه

وأقام عنده في بعض سفراته مقاما امتد زمامه وتوالت عليه أيامه حتى أقلقته دواعي شوقه وشب صبره عن طوقه والمعتصم يقيده ببره ويعتمده بالاثابة وتبره ويرعيه ما شاء من بشره ويستدعيه لبسط الانس ونشره وللمباسم الشواء وملَّه وأنم له القلق وعله وحن الى حمص حنين اصيب الجعفر والحرمين ليلة النفر وهام بها هيام عمر بالثريا وحارثة بن بدر بالحميا كتب اليه يستسرحه بشعر تمناه النفس وتقترحه وهو (كامل مجزو)

يا واضحا فضح السحا * ب بجود في معنى السماح

ومطابقا بأي وجو * ه الجد من طرق المزاح

أسرفت في براضيا * ف فجد قليلا بالسراح

فراجعه المعتصم (كامل مجزو)

يا فاضلا فى شكره * أصل المسامع الصباح
هلا رفقت بمعتق * عند التكلم بالسراح
ان السماح بعدكم * والله ليس من السماح

(وخرج الى برجة ودلاية) وهما نظران لم يجل فى مثلهما ناظر ولم تدع حسنهما الخدود النواضر غصون تثنيها الرياح ومياه لها انسياح وحدائق تهدى الارج والعرف ومنازل تبهج النفس وتمتع الطرف فأقام فيها أياما يتدرج فى مسارحها ويتصرف فى منازهها ومسابحها وكانت نزهة أربت على نزهة هشام بدير الرصافة وأنافت عليها أى انافة وفى أثناء مقامه وخلال اتساق الانس له وانتظامه عن له ذكر احدى حظاياه فهيجه وأقلقه وأزعجه وأرقه فكتب اليها رقعة وطيرها وفيها (طويل)

وهاتف ذات الطوق من فحبة * تكون على أفق المرية مجرا

كمل ذكر المعتصم والحمد لله

(الحاجب ذو الرياستين أبو مروان عبد الملك بن رزين رحمه الله تعالى)

ورث الرياسة من ملوك عضدوا موازرهم وشدوا دون النساء مآزرهم ولم يتوشحوا الا بالحمائل ولا جنحوا للبأس الا فى أعنة الصبا والشمائل وركبوا الصعاب فذللوها وابتغوا اسباب النجوم حتى انتعلوها وملكوا الملك بأيد وعقلوه من النخوة بقيد وكان ذو الرياستين منتهى فخارهم وقطب مدارهم شيد بناءهم وقيد غناءهم رجلا اتخذته البسالة قلبا وضمت عليه شغافا وخلبا لا يعرف جبنا ولا خورا ولا يتلو غير سور الندى سورا وكانت دولته موقف البيان ومقذف الاعيان ترتضع فيها للمكارم اخلاف وتدار بها للاماني سلاف فوردت الآمال نداه غمرا ووجد الاجمال فى سرائه سمرا الا أنه كان يشطط على ندامه ولا يرتبط فى مجلس مدامه فربما عاد انعامه بوسا وانقلب ابتسامه عبوسا فلم تتم معه سلوة ولا فقدت فى ميدانه كبوة وقلما كان يقيل ولا يناجى المذنب عنده الا الحسام الصقيل ومع هذا فانه كان غيثا للندى وليثا على العدا وبدراً فى المحفل وصدراً فى الجحفل وله نظم ونثر ما قصرا عن الغاية ولا أقصرا عن تلقى الراية وقد أثبت منهما نبذا تروق شموسا وتكاد تشرب كؤسا (أخبرنى الوزير أبو عامر بن سنون انه اصطبح يوما والجو مماك العوارف لازوردى المطارف

والروض أنيقة لبانه رقيقة هبانه والنور مبتل والنسيم معتل ومعه توءمه وقد راقهم يومه وصلاته تصافح معتفيهم ومبراته تشافه موافيهم والراح تشعشع وماء الامانى ينشع فكتب الى ابن عمار وهو ضيفه (طويل)

ضمان على الايام أن أبلغ المنى * اذا كنت فى ودى مسرا ومعلنا
فلو تسأل الايام من هو مفرد * بود ابن عمار لقلت لها أنا
فان حالت الايام بينى وبينه * فكيف بطيب العيش أو بجنى الغنا

فلما وصلت الرقعة اليه تأخر عن الوصول واعتذر بعذر مختل المعانى والفصول فقال أحد الحاضرين انى لأعجب من ابن عمار وكيف نعده من هذا المضمار مع ميله الى السماع وكلفه بمثل هذا الاجتماع فقال ذو الرياستين ان الجواب تعذر فلذلك اعتذر لانه يعانى قوله ويعلله ويرويه ولا يرتجله ويقوله فى المدة الممتدة فرأى أن الوصول بلا جواب اخلال لادبه واخلال بمنازله فى الشعر ورتبه فلما كان من الغد ورد ابن عمار ومعه الجواب وهو (طويل)

هصرت لى الآمال طيبة الجنى * وسوغتنى الاحوال مقبلة الدنا
وألبستنى النعمى أغض من الندى * وأجمل من وشى الربيع وأحسنا
وكم ليلة أحظيتنى بحضورها * فبت سميرا للسناء والسنا
أعاليَ نفسى بالمكارم والعلا * وأدنى وكفى بالغناء وبالغنى
سأقرن بالتسويل ذكرك كلما * تعاورت الاسماء غيرك والكنى
لاوسعتنى قولا وطولا كلاهما * يطوق أعناقا ويخرس ألسنا
وشرفتنى من قطعة الروض بالتى * تناثر فيها الطبع وردا وسوسنا
تروق بجيد الملك عقد امرصعا * وتزهى على عطفيه وشيا معينا
فدم هكذا يا فارس الدست والوغى * لتطعن بالاقلام فيها وبالقنا

(وأخبرنى الوزير الكاتب أبو جعفر بن سعدون) انه أصبح يوما بحضرته وللرذاذ رش وللربيع على وجه الارض فرش وقد صقل الغمام الازهار حتى أذهب غشها وسقاها فأروى عطشها فكتب اليه (طويل)

فديتك لا يستطيعك النظم والنثر * فأنت مليك الارض والفصل الامر
مرتناك الغمر فانهل صيبا * كما سكبت وطفاء أو فتق الزهر
وجاء الربيع الطلق يندى غضارة * فخيلت منه الشمس والروض والنهر

وما منهم الا اليك انتماؤه * جبينك والجود المتمم والبشر
خلا منك دهر قد مضى بعبوسه * فلما أتت أيامك ابتسم العصر
فبشرت آمالى بملك هو الورى * ودار هى الدنيا ويوم هو الدهر
وقال الردى من يبتغى عندك المنى * وساعدك الاسعاد واليمن والنصر

فراجعه بقوله (طويل)

اليك فلولا أنت لم ينظم الدر * ولا التام فى مدح نظام ولا نثر
اذا قلت لم ينطق فصيح مدرب * ولا ساغ فى سمع غناء ولا زمر
لك السبق كم روضت من عاطل الربا * وحللت من سحر وقد حرم السحر
ولما ملكت القول قسرا وعنوة * اطاعك جيش النظم وأعتز النثر
فلا نقل الا ما تقول بديهة * ولا خمر مالم تأت من فك الخمر

ثم توجه فيه الى روضة قد أرجت نفحاتها وتدبجت ساحاتها وتفتحت كمامها وأفصحت حمامها وتجردت جداولها كالبواتر ورمقت أزهارها بعيون فواتر فأقاموا يعملون كاسهم ويشملون ايناسهم فقال ذو الرياستين (طويل)

وروض كساه الطل وشيا مجددا * فأضحى مقيما للنفوس ومقعدا
اذا صافحته الريح خلت غصونه * رواقص فى خضر من العصف ميدا
اذا ما انسكاب الماء عاينت خلته * وقد كسرته راحة الريح مبردا
وان سكنت عنه حسبت صفاءه * حساما صقيلا صافى المتن جردا
وغنت به ورق الحمائم بيننا * غناء ينسيك القريض ومعبدا
فلا تجفون الدهر مادام مسعدا * ومد الى ما قد حباك به يدا
وخذها مداما من غزال كأنه * اذا ما سقى بدر تحمل فرقدا

(وركب متصيدا) فى يوم غيم نضح رذاذه وجه الثرى وتلفعت الشمس بطرفه فلا ترى والارض لا تثبت حوافر الخيل فى زلقها ولا تهش الجياد الى طلقها والافق لو مرت به دهمة الليل لغابت فى نوه وما بانت فى جوه والمدام قد علته وآراؤها قد تولته فقام بريديه قنص فطارده فى ميدان الجذل لاهيا وسايره فى طريق الحذر ساهيا وقد تفرد من عبيده وتوحد فى بيده فسقط به فرسه سقطة أوهنت قواه وانتهت به الى ملازمة مثواه وبلغه ان أحد عداته شمت

بوقعته وسر بصرعته فقال (بسيط)

انى سقطت ولا جبن ولا خور * وليس يدفع ما قد شاءه القدر
لا يشمتن حسودى ان سقطت فقد * يكبو الجواد وينبو الصارم الذكر
هذا الكسوف يرى تأثيره أبدا * ولا يعاب به شمس ولا قمر

(وأخبرنى الكاتب أبو عبد الله بن خلصة) أنه لما دخل بطليوس بعد تخلى أبى عيسى بن لبون عنها أنشدته طائفة من الشعراء والكتاب فحرم ووصل وأدنى قوما وأبعد آخرين وأصاخ من وزيره الى أسواقرين فاشارق بجانب أبى عيسى بالخلال وأصار عزته فى قبضة الاخلال والاذلال فتفرق القوم فرقا وسلكوا من التشغيب عليه طرقا وتشوفوا الى المستعين وأنفوا من الورود على غير عذب ولا معين وكان فى الجملة المنحرفة والفئة المتطلعة الى ابن هود المستشرفة الكاتب أبو الحسن بن سابق فقال (بسيط)

من كان يطلب من أصحابنا صلة * على فراق أبى عيسى بن لبون
فليس يقنعنى من بعده عوض * ولو حصلت على أموال قارون
قد كان كنزى فكف الدهر عنه يدى * والدهر يمنع بالنعمى الى حين
كأن قلبى اذا ذكرت فرقته * مقلب فوق أطراف السكاكين

فلما سمعه ابن رزين قال حطفنا الوعته وناز عاكنزعته نوعا من السياسة سكن بها أنفه وأعاد عليه الاهواء مؤتلفه (بسيط)

هبوا الشاحطكم من آل لبون * كم تصلون علينا بالرياحين
لا تعذلونا خفقا أن تنافسكم * فى أكرم الناس للدنيا وللدين
ذاك الكريم الذى نيطت تمائمه * عند الفطام على علم ابن سيرين
اختارنا فتخيرناه صاحبنا * وكلنا فى أخيه غير مغبون
ان كان أشرد كرى فى بلادكم * لا أشرق له يحيى بن ذى النون
وكل من حوله حاط بحظونه * يشجى الحسود بترفيع وتمكين
حتى تقول الليالى وهى صادقة * هذا السموأل فى هذى السلاطين

(وخاطب ابن طاهر) مستدعيا الى الكون لديه برسالة تدل على انافته فى الفخر دلالة النسيم على الزهر والشاطئ على النهر وتشهد له بالعلاء والمجد شهادة النار بطيب الند وكرم الزند فانه استدعاه والآذان قد صمت عن دعائه وحكمه

فى مالكه

في ملكه والكل قد ضن عليه بمعافيه وعانه وهي أنت أدام الله عزك عالم بالزمان وانقلابه عارف بإعارته واستلابه ومن عرفه حق معرفته لم تزده شدته الا معتبرا وشكر الله وتدبرا ومازلت أتقالك بالود على البعد فاعلك بتقدمك في الاعيان وان لم أرك بالعيان وأستخبر الاخبار فأسمع مايقرع صفاة الكبد ويصدع بانحاء الزمان عليك وتنكره لديك الى أن ورد فلان فاستفهمته عن حالك فذكر ما أزعج وكدر ارتماض المثلك أن يعوزه مرام أو ينبو به مقام تجردت عن ساعد الشفاعة عند القائد الاجل أبي عبد الله في صرف ما يمكن من أملاكك فوقع الاعتذار بأنه أمر محظور تقدم فيه حد محذور وأشار باجراء ما يلم بالاكتساء وأنا أعزك الله أعرض ما هو الاوفق لي والاليق بي عن عزيمة مكينة ورغبة وكيدة من الانتقال الى جهتي والانبساط في دواتي فأقاعلك خاص ضياعي ومعلوم أملاكي ورباعي وان شق عليك الكون بجهتي لبردهوائها وبعد أنحائها فهاهي شنت مرية اقف طاعتها عليك واصرف أمرها اليك وعندي من العون على الارتحال ما يقتضيه لك رفيع الحال ولك الفضل في مراجعة عاب تقرعليه رأيك ويأتي به إيجابك ان شاء الله تعالى (وله يتشوف الى خليط ودعه وأجرى بعده أدمعه (طويل)

دع الدمع يفني الجفن ليلة ودعوا * اذا انقلبوا بالقلب لا كان مدمع
سروا كاقتداء الطير لا الصبر بعدهم * جميل ولا طول الندامة ينفع
أضيق بحمل الحادثات من النوى * وصدري من الارض البسيطة أوسع
وان كنت خلاع العذار فانني * لبست من العلياء ما ليس يخلع
اذا سلت الالحاظ سيفا خشيته * وفي الحرب لا أخشى ولا أتوقع

(وأخبرني الوزير) أبو عامر بن سنون انه كان معه في منية العيون في يوم مطرز الاديم ومجلس معز النديم والانس يغازلهم من كل ثنية ويواصلهم بكل أمنية فسكر أحد الحاضرين سكرا مثل له ميدان الحرب وسهل عليه مستوعر الطعن والضرب فقلب مجالس الانس حربا وقتالا وطلب الطعن وحده والنزالا فقال ذو الرياستين (كامل)

نفس الذليل تعز بالجريال * فيقاتل الاقران دون قتال
كم من جبان ذي افتخار باطل * بالخمر يحسبه من الابطال

كبش الندى تحمما وعرامة * واذا نشب الحرب شاة نزال

(وله يحن الى نازح) من أحبابه الفه أيام شبابه فاختلسه النوى من بين يديه وترك الصبابة عوضا منه لديه (كامل)

أترى الزمان يسرنا بتلاق * ويضم مشتاقا الى مشتاق
ونعض تفاح الخدود شفاهنا * ونرى منى الاحداق بالاحداق
وتعود أنفسنا الى أجسادنا * فلطالما شردت على الآفاق

وله (خفيف) برح السقم بي وليس صحيحا * من رأت عينه عيونا مراضا
ان للاعين المراض سهاما * صيرت أنفس الورى أغراضا

(وتجنى عليه ذو الوزارتين) أبو بكر بن عمار وتعتب ولامه وذاب فكتب ابن رزين اليه معرضا بعينيه وهو مما أبدع فيه تعريضا وتصريحا وسقاه التنديد منه وصريحا (طويل)

تحقق أبا بكر ودادي وحقق * وصدق ظنوني في وفائك واصدق
أيجمل بي في كساد بهرج * وقد كان ظني ضد ذا بل تحقق
ثنائي على مر الزمان مخلق * عليك وان أبديت بعض التخلق
وما كنت ممن يدخل العشق قلبه * ولكن من يبصر جفونك يعشق

وله في شمعة (رمل مجزو)

رب صفراء تردت * برداء العاشقينا
مثل فعل النار فيها * تفعل الآجال فينا

(ولما) افترس ملوك الاندلس الليث وطمس رسومهم الغيث وخوصموا بالسنة الاعداد ورموا بداهية ناد بقي ذو الرياستين طالعا بافق الملك وقد أفلت نجومه محترسا من ذلك الليث الذي افترسهم هجومه يحمي دولته من انقراضها ويرمي من سعى في انتقاضها فلم يرمه رام ولم يجسر عليه معتد ومترام الى أن خطبته المنية وخطت اليه تلك الثنية وبقي ابنه على رسمه محظوظا بالدعا في منابرها باسمه الى أن دبت اليه تلك الأفاعي واشتملت عليه تلك المساعي فخر من عرشه وأقيم من فرشه فتبارك من لا يكيده كائد ولا يبيد ملكه وكل شيء بائد كمل ذكره

* (الرئيس الاجل أبو عبد الرحمن محمد بن طاهر ١ رحمه الله تعالى)

١ في نسخة زيادة صاحب القلم

بيدى البيان وختم ولديه نبت الاحسان وارتسم وعنه افتر الزمان وابتسم واستقر الملك لديه استقرار الطرس فى يديه واختال التاج بمفرقه اختيال اليراع فى مهرقه وتمنى المسك أن يستمده كما رجا القطر أن يمده ان جد رأيت الطود وقارا وان هزل خلته يعاطيك عقارا الا أن زكانه تتابعت ولاء وأعقبت الانتهاب جلاء فخلع من سلطانه وماسوغ المقام فى أوطانه وكانت له تنديدات تنفذ الجن وتدرك كالليل اذا جن يرسلها الى الغرض فتصميه ويشكو بها القرح فتدميه عدت من هناته ومحت أكثر حسناته ودعت الى رفضه وسعت فى نقضه فبقى فى قبضة ابن عمار محبوسا ولقى من دهره المبتسم عبوسا واشتدت عليه المحن وبدت اليه تلك الاحن الى ان سعى له الوزير الاجل أبو بكر بن عبد العزيز وسكن من ذلك الازيز فتسنى انطلاقه وانفرجت اغلاقه وعندما خلص من ذلك الثقاف خلوص القناة من الثقاف جنح الى الاستقرار ببلنسية حضرة الوزير الاجل أبى بكر جنوح الطائر المتنشل الى الوكر فلقى السعد اليه آتيا ونزل على آل المهلب شاتيا فوجد ما أراد وأحمد المراد ودعا أبا بكر لما شاء فأجاب وأراه من بشره الافق المنجاب فأقام بين مبرات وألطاف وجنى لما أحب وقطاف الى أن دار ببلنسية ما دار وعطل العدو دمره الله ذلك القطب المدار فعلقته حبالة الاسر وأتيح هيضه بالكسر ولم يزل يكشف للعدو دفينه ويجذف والموج يعوق سفينه ويصرف الى أن هبت ريحه فجرى وتسنى تسريحه فأدلج وسرى ووافى شاطبة خاليا الامن الوجد عاريا الامن المجد وقد انتضى من الذل فأوى الى الظل وأقام منشئا لا بالحول مؤملا غير المأمول الى أن برئت بلنسية من آلامها فبادر الى استلامها وعاد اليها عود الحلى الى العاطل وأنجز له قربها بعد وعد من مماطل فحل بها حلول الهائم فى وصل الحبيب المسعد وأنشد * ويجمعنا شتى على غير موعد * ولزم مطلعه متواريا وأقام بها ثابتا لا ساريا لم يطأ رقعة أرض ولا خرج لاداء سنة ولا فرض حتى أدرج فى كفنه وأخرج الى مدفنه شهدت وفاته سنة سبع وخمسمائة وقد نيف على التسعين وجف ماء عمره المعين وحين قضى دخل عليه الوزير أبو العلاء بن أزرق شبيهه فى التعمير وحليفه منذ خلع عن تدمير وهو يبكى مل ء عينيه ويقلب على ما فاته منه كفيه وينادى بأعلى صوته أسفا على

فوته (بسيط مخلع)

كان الذى خفت أن يكونا * انا الى الله راجعونا

فوضع على أعواده وودع من القلب بسويدائه ومن العين بسواده وصلى عليه ببلنسية ودفن بمرسية فانقرض الكلام بانقراضه وبكت البلاغة على أغراضه وقد أثبت من نثره ما تردده عذبا غمرا وتروده روضا نضيرا فى ذلك رقعة كتب بها الى المعتصم بالله صاحب المرية أيام رياسته يصف العدو العائث بجزيرة الاندلس كتابى أعزك الله وقد ورد كتاب المنصور مولاى ذى المعتد بك أيدك الله وقد أودعه ما أودع من حيات ولم يدع مكانا للسلاة فانه للقلوب موذ وللعيون مقذ وللظهور قاصم ولعرى الحزم فاصم فليندب الاسلام نوادبه وليبك له شاهده وغائبه فقد طفى مصباحه ووطئ ساحه وهيض عضده وغيض عده الى الله نفزع واليه نتضرع فى طارق الخطب ومنتابه ولا حول ولا قوة الا به هو فارج الكروب وناصر الحروب وعالم الغيوب لا رب سواه وذلك أن فرذينا ند وقمه الله نزل على قلعة أيوب محاصرا لمن فيها ومغيرا على نواحيها بجموع يضيق عنها الفضاء وتتساقط للاحظتها الاعضاء وأنه قد بنى على قصد جهاتنا ووطء جنباتنا الا أن يدرأ الله فى نحره ويحمى من شره وغرسيه دمره الله بسرقسطة كذلك وزد ميرأ هلكه الله بوشقة وما والاها يشكو بما يبكى والمسلمون بينهم سوام ترتع وأموالهم نهب توزع والقتل يأخذ منهم فوق ما يدع فأطل الفكرة فى هذا الحزم الداخل والبلاء الشامل وأسبل العبرة وأطل العبرة والله المرجو للاقالة وكشف هذه الغمة بمنه (وله مراجعا الى المأمون) ذى المجدين ابن ذى النون الآن أيدك الله عاد الشباب خير معاده وابيض الرجاء بعد سواده وترك الزمان فضل عنانه فلله الشكر المرتد باحسانه وافانى أعزك الله لك كتاب كريم كما طرز البدر النهر أو كما بلل الغيث الزهر طوقتنى به طوق الحمامة وألبستنى ظل الغمامة وأثبت لى فوق النجوم منزلة وأرانى الخطوب نائية عنى ومعتزلة فوضعته على رأسى اجلالا ولثمت كل سطوره احتفاء واحتفالا وناولنيه الوزير الكاتب أبو الحسن عبد الله وصلك أعزه الله وبشر بدنو الدار وأشار الى ما لديك كما يشار الى النهار وأخبرنى من ذلك المجمل بغاية الامل ويعلم الله أنى ما أعد فى لك الاشيعة ولا أرى ودك الا دينا وشريعة فانك

الموثوق بوفائه وشرفه والمسكون الى برد أمنه وطرفه الذى لاتجد الايام الفضل منهما الالديه ولاتعقد الاحرار الاصفاق الاعليه ولن أزال العالم بحقك ومقدارك الناظم فى سلكك واختيارك ان شاء الله تعالى (وله مراجعا) الى اقبال الدولة مهنئا برجوع أحد معاقله اليه والظفر بالمتزى فيه عليه جراحات الايام أيدك الله هدر وجناياتها قدر وليس للمرء حيلة واغماض ألطاف الله جليلة تستنزل الاعصم من هضابه وتأخذ المغتر بأثوابه أحمده عودا وبدأ على النعمة التى ألبسك سربالها والفتنة التى أطفأ عنك اشتعالها والرياسة التى حمى فيها حالك وردخاقها الى يمنالك وقد تناولته للباطل يد خشناء فاستقالته يدك الحسناء فلم يكن عنده أهلا لتلك النباهة ولا رآه حليا الخنصر الجبابة والاعناق تقطعها المطامع والنفاق يستوعر فيه الطامع فأقر الله عزوجل الحال فى نصابها وأبرزها فى كمالها تتراءى بين أترابها ووضعت الحرب أوزارها وأخفت الاسود أخياسها وزآرها ومن كانت مذاهبه كذاهبك وجوانبه للسلامة كجوانبك أعطته القلوب أسرارها وأعلقته المعاقل أسوارها وانجلت عنه الظلماء وأكرم قرضه والجزاء فليهنئك الاياب والغنيمة وهما المنة العظيمة وليكن لهما من نفسك مكان ومن شكرك لله بالموهبة اسرار واعلان وأما حظى منهما فحظ مسلوب أمكنه سلبه وذى مشيب عاوده شبابه وطربه ولما اقترنا لى وكانا معظم آمالى وعلمت أن بهما زوال الخلاف ووطؤ الاكناف وأن بالصدر تثلج الصدور ويبتهج السرور بادرت الى توفية الحق لك وتعرف الحال قبلك مشيعا بالدعاء فى مزيدك ضارعا فى الادامة لتأييدك فان الوقت اساءة وأنت احسانه والدهر طرف وأنت انسانه فان مننت بما سألته أفضلت وأحسنت ان شاء الله عزوجل (وله الى ناصر الدولة صاحب ميورقة) أطال الله بقاء الامير الاجل ناصر الدولة ومعز الملة منيعا حرمه رفيعا علمه ان الذى بنته الدنيا أعزك الله من مناقبك العليا فصلت منه أقاصيها وتكلت بنواصيها لجاذب الملك أحرارها وجالب الى ظلك أعيانها وأخيارها بقلوب تملكها هواها وحركها نهاها وهذا الوزير الاجل الكاتب أبو جعفر بن البنى عبدك الامل أبقاه الله صممت به الى ذراك همم عوال كانها الرماح عوال يحملها السفين والعزم النافذ المكين وربح جذماتلين الى حلى من البيان يتقلدها

يكاد السحر يحسدها وخلائق محمودة كأنها الخلوق تنفح مسكا وتشوق وان
الوشى ماخطه وربما أزرى به أوحطه والخبر يغنيه عن الخبر ويعلمه بالعين لا بالاثر
والتدبير تعلمه منيف القدر والاثر فلا زالت كفاه بالاحسان منصفتان الزمان
ان شاء الله تعالى (وله أيضا) أطال الله بقاء الامير الاجل ناصر الدولة ومعز الملة
وأيده وأعلى يده الشفاعات أيدك الله على اقدار متحفيها ولكل عندك منزلة
يوافيها ولما تأمل ذو الوزارتين الفاضل أبو الحسن العامرى أبقاه الله مالك
فى الناس من الطول والايناس بما جبلت عليه من شرف الشيمة والهمم
السنية حتى مالت اليك الاهواء وارتفع لك بالحمد اللواء قصد ذراك
واعتقد اليمن فى أن يراك فيملأ من زهر العلا أجفانا ومن نهر الندى جفانا
ويستبدل من صد الزمان اقبالا ومن تهاون الايام ابتهالا وله قدم الوجاهة
وقدم النباهة ويدل عليه بيانه كما يدل على الجواد عنانه وأرجو أن ينال بك
الآمال غضة والايادى منك مبيضة فأقوم عنه على منبر الثناء خطيبا وأوقد على
جمر الالاء عودا رطيبا لازالت لقاصدين ملاذا ولراغبين معاذا ان شاء الله
تعالى (ولما حصل بمنت قوط معتقلا) قام الوزير الاجل أبو بكر بن عبد العزيز فى
أمره وقعد وأبرق على ابن عمار وأرعد وخاطب المعتمد فيه شافعا ووقف مناضلا
عنه ومدافعا لم ين عنه ولا أغفى ولا استناب سواه فى تخلصه ولا استكفى فوقع
الاتفاق على اخلاء حصن جملة وكان قريبه أبو بكر بن موسى ممتنعا فيها وكانت فى
صدر مرسية شجا وفى صباحها دجا قد سدت مسالكها وصدت سالكها وروعت
طارقها وقطعت مرافقها فأجاب ابن طاهر الى تمكينهم من أزمتها واعطائها
لهم برمتها بعد أن يحل من عقاله ويخرج من موضع اعتقاله وأعطى فى ذلك
عهودا وموثقا وكيدا وابن عبد العزيز قد واطأه على النكث ورخص له فى
الحنث ومهد له فى فنائه موضعا وأحله من سمائه مطلعا فلما حصل مثواه
وعلم أنه قد فاز بنجاه ركب الى بلنسية منهجه ورمى فى أعينهم رهجه فلما حل
بجزيرة شقر وهى أول عمل الوزير الاجل كتب اليه كتابى اليك وقد طفل بنا العشى
ومال بنا اليك المطى ولها من ذكر النجاد ومن لقاك الزهاد وسنوافيك
المساء فنغفر للزمان ما قد أساء ونرد ساحة الامن ونشكر عظيم ذلك المن
فهذه النفس أنت مقيلها وفى برد ظلك يكون مقيلها فلله مجدك وما تأتيه

لازلت للوفاء تحييه ودانت لك الدنيا ودامت لك العليا ان شاء الله تعالى (فلما وافت رقعته الوزير الاجل أبا بكر ركب اليه في جملته وتلقاه في أعيانه وجلته وأنزله في قصر مجاور لقصره وجامله مجاملة لم تعهد في عصره وأشركه معه في نهيه وأمره وأطلعه على سره وجهره ولم ينفرد عنه بقصة ولا اختص دونه من الملك بحصة الى أن فرق بينهما مفرق الجموع ومجتث الاصول والفروع (ولما عاين من برّه ما أعظمه وبهره ما نسقه منه ونظمه كتب اليه من ذا يضاهيك والى النجم مراقيك فنأولك لا يدرك وشعبك لا يسلك أقسم بالله لاعقدن على علاك من الثناء اكليلا يذر النجم من سناه كليلا ولأطوفنه شرق البلاد وغربها ولأحلينه نحور الرجال وعربها وكيف لا وقد نصرتني نصرا مؤزرا وصرفت عني الضيم عفيرا معفرا وألبستني البأو بردا مسهما وأوليتني البر متمما ولم تزل الشعراء تسليه عن نكبته وتمنيه بالعود الى رتبته بأفصح مقال وأملح انتقال فمن ذلك قول الوزير أبي جعفر البني (طويل)

أترضى عن الدنيا فقد تتشوّف * لعمر المعالي انها بك تكلف
يقولون ليث الغاب فارق غيله * فقلت لهم أنتم له الآن أخوف
ولن ترهبوا الصمصام الا اذا غدا * لكم خارجا من غمده وهو مرهف
ستفرغ عيناه لتكتب أسطرا * يرى الموت في أثنائها كيف يدلف
اذا غضبت أقلامه قالت القنا * فدينا لك أنا بالمقاتل أعرف
ستكشف عن سر الكتيبة مثل ما * رأيناك عن سر البلاغة تكشف
ويعتزلي هذا الزمان بجولة * على من به دون الورى كان يشرف
رويدا أقلـلا يا زمان فانه * يغيظك منه بالذي أنت تعرف

(ولما كان ابن عبد العزيز) الذي سهل طريق نجاته ودس له النكث أثناء مراسلته ومناجاته اعتقدها ابن عمار غدرة جرت على يديه وخديعة نسب عارها اليه ولم يزل يعمل في الاضرار به فكره ويتبع وصفه وذكره ويغري به نفوس رعيته ويريش ويبري في بليته فمن ذلك قوله يحرض أهل بلنسية على القيام عليه (كامل)

بشر بلنسية وكانت جنة * أن قد تدلت في سواء النار
جاروا بني عبد العزيز فانهم * جروا اليكم أسوأ الاقدار

نوروا بهم متأولين وقلدوا * ملكا يقوم على العدو بثار
هذا محمد أو فهذا أحمد * وكلاهما أهل لتلك الدار
باء الوزير بها يكشف ذيلها * عن سوأة سوأى وعار عار
نكث اليمين وحاد عن سنن العلا * وقضى على الاقبال بالادبار
آوى لينصر من نأى المثوى به * ودهاه خذلان من الانصار
ما كنتم الا كناقة صالح * فرميتم من طاهر بقدار
هلا وخصكم بأشأم طائر * ورمى دياركم بألأم جار
بر اليمين ولم يعرض نفسه * ونفوسكم لمصارع الفجار
لا بد من مسح الجبين فانما * اطمته عذرا غير ذات سوار
هيهات يطمع في النجاة لطالب * ساع اذا دنت الكواكب سار
كيف التفلت بالخديعة من يدي * رجل الحقيقة من بني عمار
رجل تطعمه الزمان خفافة * طرفين في الاحلاء والامرار
سلس القياد الى الجميل فان يهج * يدع العنان كهيئة التيار
طبن باغراض الامور مجرب * فطن باسرار المكائد دار
ماض اذا برزت اليه مصمم * مولى اذا التفت عليه مدار
مازال مذ عقدت يداه ازاره * فسما فأدرك خمسة الاشبار
كشاف مظلمة وسائس أمة * نفاع أهل زمانه الضرار
عبد الاشمط راضع ثدي الوغى * منه وطود في القنا الخطار
شراب أكواس المدام وتارة * شراب أكواس الدم المؤار
جرار أذيال القنا طنوابه * قد زاركم في الجحفل الجرار
وكأنكم بنجومه ورجومه * تهوي اليكم من سماء غبار
وأنا النصيح فان قبلتم فاتركوا * آثارها خبرا من الاخبار
قوموا الى الدار الخبيثة فانهبوا * تلك الذخائر من خبايا الدار
وتعوضوا من صفرة حبشية * بأغر وضاح الجبين نضار

(وكتب الى المنصور بن أبي عامر) يعلمه بخبر السيل الذي سال بمرسية فعفى آثارها وهد أسوارها واحتمل ديارها وقد كان ورد كتابه مستفهما عن خبره ومنتهى عبره وردني أيدك الله كتابك الكريم مستفهما لما طار به اليك الخبر من السيل

الحافل الذى عظم منه الضرر وقد كنت آخذا فى الاعلام بحوادثه العظام فانه أذهل الاذهان وشغل البيان اذ أقبل علاء السهل والجبل والجنوب قد اضطجعت والعيون قد هومت للنوم أو هجعت فن ماض قد استلبه وناج قد حربه وفازع قد أثكله وحائر لايدرى ما حتمه والبرق يجب فؤاده والودق يسرب مزاده وقد استسلم للقدر واعتصم بالله عز وجل وليس سواء من وزر حتى أرانا آية اعجازه وبراهينه وغيض الماء لحينه وطلع الصباح على معالم قد غيرها وآكام قد حدرها لا ينقضى منها عجب لناظر ولا يسمع مثلها فى الزمن الغابر فالحمد لله على واقى دفعه ومتلافى فوته ونفعه لارب غيره (وكتب اليه) مع شوذانقات وانى لما انسيعته أيده الله وبت فى المحلة الكريمة معه قصدنى نائل مملوكه فى ارتياد أفرخ من الشوذانقات عند أوانها والبعث بها وقت تهيئها وامكانها فلم أفارق لها ارتقابا ولا حدرت ثم مباحثة عنها انتدابا ولطالما طلابا الى ان حان حين ظهورها وامتلأت منها حجور وكورها وبدا سعيها واكتسى عريها وجهت طارقيقا لاستنزالها يرقى الى ذرى أجبالها ويعبر أفرهها ويحوز أشرهها فجلب منها عددا دربت بداهيدا الى أن تخرج منها ثلاثة أطيار كأنها شعل نار أجل كل صيد وقيده ايما قيد تقلب حوادق مقل وتنظر نظر مختبل وتسرع فى الانقضاض كالوحى والايماض وترجع الحيد وثاقها كأنها أشفقت من فراقها بمخلب دام وأبهة مقدام فناهيك بها يا مولاى سعد لك ذخرها ويصدق لك تخيرها وهى واصلة من يد حاملها تحمل رغبة ناظمها فى الباسه حلة التشريف والتنويه بالامر بقبولها والمراجعة عن وصولها ان شاء الله تعالى (وكتب الى الحاجب نظام الدولة) أطال الله بقاء الحاجب نظام الدولة سيدى المعظم وسندى المقدم المهم فى اعتلاء الجد ومضاء الحد انه سبق الى من بره أيده الله وتأنيسه ما أثقل ظهرا وعاتقا وبعث الشكر مبرا ورائقا وكذا الشرف التليد يكون له السبق الجديد ووافانى أيده الله كتابه الرفيع فخدر عن الصلة لثامها وأطلع للمبرة غمامها فألفى الوداد فى امحاضه لم يتعرضه الزمان بأعراضه ووعيت أيده الله عن مؤديه سلمه الله ما تحمل وطبق فيه المفصل بحسن نطقه وأمارات صدقه وراجعته عنه بما يبلغ الشفاء منه وقلدته من الثناء على سيدى ما يسير فى ضيائه ويتعطر

بانهائه وانى مادمت على الصفاء المقيم والى مجده مستديم فلا برح أيده الله والسعد كافنه والعزم والفه ان شاء الله عزوجل (ولما انحل من أسره) وحل بين جمال ابن عبد العزيز ونسره واستراح من الشجن وارتاح ارتياح أبي محجن عاد الى عاداته من التبذير ودسه اثناء الابتداء والتصدير وأسلك ابن عبد العزيز طريقه وعلمه تسديده وتوفيقه وبلغه أن ابن عمار تضمن بجاعتين أحدهما الله وعن والاخر لاذفرنش بن فرد يناند فأومأ فى ذلك الى ابن عبد العزيز ورمى وألمز على رسوله المعلم بذلك وغمز فلما بلغ ذلك ابن عمار أقلقه وضيق فى التماسك طلقه فكتب الى ابن عبد العزيز (كامل)

قل للوزير وليس رأى وزير * ان يمزج التعزيز بالتبذير

ان الوزارة لو سلكت سبيلها * وقفت على التعزيز والتوقير

وأرى الفكاهة جل ما تأتى به * وجمالها فى التصدير والتظفير

وصلات دعابتك التى أهديتها * فى خاتم التأمين والتأمير

وأظنها لظاهرى فان تكن * لخليفة التقديس والتطهير

ولعل يوما أن يصير نقشه * فى طينة التقديم والتأخير

وترى بلغية وأنت مدارها * سينالها التدمير من تدمير

(وجئته يوما وقد وقفت بباب الحنش) فقال لى من أين فأعلمته ووصفت له ما عاينته من حسنه وتأملته فقال لى كنت اخرج اليه أكثر الليالى مع الوزير الاجل أبى بكر الى روضته التى ودت الشمس أن يكون منها طلوعها وتمنى المسك ان تضم عليه ضلوعها والزمان غلام والعيش أحلام والدنيا تحية وسلام والناس قد انتشروا فى جوانبه وقعدوا الى مذانبه وفى ساقيته الكبرى دولاب يئن كناقة الى الحوار أو كثكلى من حر الاوار وكل مغرم يجعل فيه ارتياحه بكرته ورواحه ويغازل عليه حبيبه ويصرف اليه تشبيبه فخرجت اليه ليلة والمتنبى الجزيرى واقف وأمامه ظبى آنس تهيم به المكانس وفى أذنيه قرطان كأنهما كوكبان وهو يتأود تأود غصن البان والمتنبى يقول (رمل)

معشر الناس بباب الحنش * بدر تم طالع فى غبش

علق القرط على مسمعه * من عليه آفة العين خشى

فلما رآنى أمسك وسبح كأنه قد تنسك (وله صلك بتقديم الاحكام) فى احدى

جهاته قلدت فلانا سلمه الله النظر في أحكام فلانة وتخيرته لها بعد ما خبرته واستخلفته عليها وقد عرفته وانتقادته راجيا تحصينه لانه ان احتاط سلم وان أضاع أثم فليقم الحق على أركانه وليضع العدل في ميزانه وليسو بين خصومه وليأخذ من الظالم لمظلومه وليقف في الحكم عند اشتباهه ولينفذه عند اتجاهه ولا يقبل غير المرضي في شهادته ولا يتعرف سوى من كان الصدق من عادته وليعلم أن الله مطلع على خفياته وسائله يوم ملاقاته لا رب غيره (وله الى صاحب قلبيرة) يستدعي منه أقلاما قد عدمت أطال الله بقاءك بهذا القطر الاقلام وبها ينتضى الكلام وهي حلية البيان وترجمان اللسان عليها تفرع شعاب الفكر وذكرها منزل في محكم الذكر ومنابتها بلدك وبيدك فيها يدك وأريد أن تتأدى منها سبعة كعدد الاقاليم حسنة التقليم فضية الاديم ولا يعتقد منها الا صليبها الطوال أنابيبها واذا استمدت من أنفاسها واقالك الشكر من أنفاسها ان شاء الله تعالى (وكتب الى الوزير الاجل) أبي عبد الملك بن عبد العزيز عند الحادثة بفونكة كتبت أعزك الله والخد فاسل والذهن كاسل بما حدث من عظيم الخرق على جميع الخلق فلتقم على الدين نوادبه فقد جب سنامه وغاربه ولتفض عليه مدامعه وعبراته فقد غشيه حمامه وغمراته وكان منيع الذرى بعيدا عن أن يلحظ أو يرى تحميه المناصل البتر والذوابل السمر والمسومة الجرد ومشيخة كأنهم من طول ما التثموا مرد فأبى القدر الا أن يفجع باشمخ مدائنه ومعاقله ولا يترك له سوى سواحله وكانت لطليطلة اختا فاستلبها فجاءة وبغتا وقبل ما سلب الجزيرة وسطى عقدها بلنسية جبرها الله وأرجو أن تلافي جبرها من نظر أمير المسلمين أيده الله ما يعيدها فيملؤها خيلا ورجالا ينفر بهم خفافا وثقالا عليهم من قواده شيبها وشبانها وفيهم من أجناده زنجها وعربانها (كامل)

من كل أبلج باسم يوم الوغى * يمشي الى الهيجاء مشي غضنفر
يلقى الرماح بوجهه وبنحره * ويقيم هامته مقام المغفر

حتى يستقال جدها العاثر ويجبر منها الداثر فتبتهج الارض بعد غبرتها ويكتسي الدهر بزهرتها وما قصر القائد الاعلى في الجد والتشمير والاحتفال بالابطال المغاوير حتى بلغ بنفسه أبلغ المجهود والجود بالنفس أقصى غاية الجود

ولكن نفذ حكم من له الحكم ورمى قضاؤه فما أخطأ السهم والله لا يضيع له مقامه في العام السالف وما أورد المشركين فيه من المتالف فما انقضى فتح حتى أعقبه فتح كالفجر يتبعه صبح مد الله بسطته وثبت وطأته ولا زال للصنع الجميل عن هذا الدين مراميا وله محاميا بعزته (وكتب الى القاضي ابن فورتش) كتبت أعزك الله من ضمير اندمج على سر اعتقاد لقدره وتبلج في أفق وداد لك بدره وسال على صفحات ثنائك مسكه وصار في راحتي سنائك ملكه ولما ظفرت بفلان حاملته من تحيتي زهرا جنيا يوافيك عرفه ذكيا ويواليك أنسه نجيا ويقضي من حقك فرضا مقتضيا على أن شخص جلالك لي ماثل وبين ضلوعي نازل لا يحيله خاطر ولا يعيبه عرض دائر ان شاء الله عز وجل (وشفع له ذو الرياستين) عند القائد الاعلى أبي عبد الله محمد بن عائشة في أن يسوغه من أملاكه ما يريشه ارتجاعه وينعشه انتجاعه فأعلمه أن أمير المسلمين حدله الا يعوله شيأ ولا يتوله منها انفسا ولا ريا فكتب اليه يعرض عليه الوصول الى دولته والحصول في جملته فيوليه غاية آماله ويوليه ما شاء من أعماله فكتب اليه كل المعالي أيدك الله الذي ابتسامها وفي يدك انتظامها وعليك اصفاقها ولديك اشراقها وان كتابك الرفيع وافاني فكان كالزهر الجنى أو البشرى أتت بعد النعي سرى الى نفسي فأحياها وأسرى عن كرب المطلوب وجلاها وتبسم لي وقد نامت عني العيون وتهمم لي وقد أغفلني الزمن الخؤون فتملكني بإجماله واستخفني باحتفاله فلا أنيته بالثناء الركائب فعمل أعجازها والغوارب وأما ما وصف به أيده الله الايام من ذميم أوصافها وتقلبها واعتسافها فاجهلته ولقد بلوتها خبيرا ووردتها على أعقابها صغيرا فلم أخضع لجفوتها ولم أتضعضع لنبوتها وعلمت أن الدنيا قليل بقاؤها وشيك فناؤها فأعددت قول القائل (متقارب) تفانى الرجال على حبها * وما يحصلون على طائل

وعلى حالاتها فما عدمت فيها من الله صنعا لطيفا وسترا كثيفا له الحمد ما أومض بارق ولمع شارق وأما ما عرضه أيده الله من الانتقال الى ذراه والتقلب في نعماه والحلول في جنابه فكيف وأنى به وقد قيدني الهرم فما أستطيع نهضا ولا أطيق بسطا ولا قبضا ولو أمكنني لاستقبلت العمر جديدا والفضل مشهودا عند من تقربت بوابته العجم والعرب وتوكل خلاقه بالضمير

وتشرب جازاه الله بالحسنى وأولاه ثواب ما تولى بعزته تعالى (ولما نهضت بنت الوزير الاجل) أبي بكر بن عبد العزيز الى سرقسطة لتزف الى المستعين بالله استدعى المؤتمن أعيان الاندلس وأمجادها وأبطالها وأنجادها وكتابها ووزراءها وحجابها وأمراءها لمشاهدة زفافها فأجابوا مناديه واحتشروا ناديه وكان عرسا لم تكتحل مثله بسرقسطة عين بوسن ولم يحتفل احتفاله فيه المأمون لبوران بنت الحسن وحشرت اليه الآمال حشرا وطابت به الاماني عرفا ونشرا وأبدت له الدنيا تهللا وبشرا ورمت فيه المسرات جمارها وفسحت لطراد المستهزئين مضمارها فكتب أبو عبد الرحمن معتذرا عن الوصول اليه والحصول لديه نعمه أيده الله قد أغرقتني مدودها وأنقلتني لواحقها ووفودها ووافاني كتابه العزيز داعيا الى المشهد الاعظم والحفل الاكرم الذي ألبس الدنيا اشراقا والمجد ابراقا فألفى الدعاء مني سميعا لا سميعا وقد قلدني به الشرف والسودد والبر جميعا وسما بناظري فيه الى حيث النجوم ثوابت والمعالي أرائك الا انه أيده الله أتم نظرا وأصح تدبرا من أن يلحق بخاصته الزلل أو يوقع عليه الخلل وقد علم أن الايام تركن بالي كاسفا وخطوي واقفا فكيف يسوغ لي أن القاه بذهن كليل وفكر عليل اذن فقد أخللت بأياديه وما أجللت رفيع ناديه وأقسم القسم البر بحياته أطالها الله ما كان من ورائي ان أتأخر عنه ولي فيه الآمال العريضة والقداح المفيضة وفي يدي منه مواعد زهر النظام ومواهب زرق الجمام واذا عرف أيده الله الحقيقة رأى العذر واضحا والسر لائحا وعسى أن يلاحظ سعد ويستنجز للمنى وعد وينفسح خاطر ويهتدي حائر فيقف ببابه ملازما ويحرّ على بساطه لاغيا ان شاء الله تعالى (ودخلت بلنسية) سنة ثلاث وخمسمائة فلقيته وقد انحنى وعوض من نشاطه الخنا وهو يمسي بالعيش على الضجر ويمشي على ساق من الشجر لا تحمله المنساة من الكبر ولا يملك رأس البعير ان نفر الا انه متع باحسانه وأقطع ما شاء من ابداع فكره ولسانه فأعاد عصري صبا وأهب ريحي صبا ودارت بيننا مراسلات أحلى من عطفات الحبيب وأشهى من رشفات اللمى الشنيب وفي أثناء ذلك استدعاني أميرها الى الالتزام وعزم فيه كل الاعتزام بعد أن أرسل مالا وملالي بالرغائب يمينا وشمالا وجلا على آمالي شخوصا وتلا هنصوصا فأبيت وتلومت

والتوت وفزت ما أعطاني وعطلت صهوة التوجيه التي أمطاني فكتب الي الرئيس أبو عبد الرحمن رحمه الله انما أعزك الله عليك تصحيح ولك فيما تأتيه وتحتذيه تصحيح فالزمان لا يساعد والايام تعوق وتباعد فأقصر من هذه الهمة واقتصر من أمورك على المهمة التي تفجأ مع الاوقات ولا تجاذبها الي ميقات واقتصد في مواهبك واقصد الى العدل في مذاهبك ولا تكلف في الجود بسرف ولا تقف من التبذير على شرف فلو أن البحر لك مشرب والترب مكسب لنفدا معا ولم يبقيا موضعا ولو كان لك النجم مصعدا والفلك مقعدا لما انثنيت الى ذلك عنانا ولا ارتضيت لهمتك مكانا وقد خطبت تلك الخطوة سرا وجهرا وبذلت لك الامرة أسنى مراتبها مهرا فازدريت زهوا وامتطيت بأوا لا تتربص على مسديها ولا تحتفل باجابتك مناديها وقد كان يجب أن لا ترغب عن راغب ولا تنكب عنه الى شغب شاغب فأين تريد تنزل وما الذي ترضى وتستجزل وقد عرضت عليك الاماني نفائسها فما تأملتها وخلعت عليك ملابسها فما اشتملتها والذي أحضك عليه ان تكف من رسنك قليلا ومن وسنك مستطيلا ان شاء الله وأقمنا نتجاذب أهداب المخاطبة ونصل أسباب المكاتبة ونتعاطى أحاديث كأنها رضاب ونتراضى والايام غضاب الى أن نهضت الى ميورقة فانصرم في التزاور سببنا وخوى من سمائه كوكبنا فكتب الي يا كوكب مجد أظلمت بغروبه مشرقات الآفاق وذهب ما كنت عهدته بطلوعه من الاشراق لقد استرجعت مسرات الى أجمعها وأزلت من نفسي في السلوة طمعها فسقيا لعهدك وقل له السقيا وبالهفي من بعدك ان قضى لي بالبقيا وان لي من الشوق لبعدك والكمد ما لو كان بالفلك الدوار لم يدر فلقد كانت غراء أيام تلاقينا والأنس يساقينا وانهم المثلة لعيني ما يحول الساقي بينها وبيني وعساها تعود فتطلع معها السعود ان شاء الله تعالى (ودعيت يوما) الى منية المنصور بن أبي عامر ببلنسية وهي منتهى الجمال ومزهى الصبا والشمال على وهي بنائها وسكون الحوادث برهة في فنائها فوافيتها والصبح قد ألبسها قميصه والحسن قد شرح بها عويصه وبوسطها مجلس قد تفتحت للروض أبوابه وتوشحت بالازر المذهبة أثوابه يخترقه جدول كالحسام المسلول وينساب فيه انسياب الايم في الطلول وضفتاه بالادواح محفوفة والمجلس يروق كالخريدة المزفوفة وفيه يقول علي بن أحمد

أحد شعرائها وقد حل مع طائفة من زوارها (منسرح)

قم فاسقني والرياض لابسة * وشيا من النور حاكه القطر
والشمس قد عصفرت غلائلها * والارض تندى ثيابها الخضر
في مجلس كالسماء لاح به * من وجه من قد هويته بدر
والنهر مثل المجرة حف به * من الندامى كواكب زهر

فحللت في ذلك المجلس وفيه أخدان كأنهم الولدان وهم في عيش لدن كأنهم في جنة عدن فأنخت لديهم ركائبي وعقلتها وتقلدت بهم رغائبي واعتقلتها وأقنا نتنعم بحسنه طول ذلك اليوم ووافى الليل فذدنا عن الجفون طروق النوم وبتنا بليلة كان الصبح منها مفقود والاغصان تميس كانها قدود والمجرة تتراءى نهرا والكواكب تخالها في الجوزهرا والثريا كانها راحة تشير وعطارد لنا بالطرب يشير فلما كان من الغد وافيت الرئيس أبا عبد الرحمن زائرا فأفضنا في الحديث حتى أفضى بنا الى ذكر متنزهنا في أمس وما نلنا فيه من الانس فقال لي وما بجهة موضع قد بان قطينه وذهب واستلب الزمان بهجته وانتهب وباد فلم يبق الا رسمه ومحاه الحدثان فما يكاد يلوح وسمه عهدي به عندما فرغ من تشييده وتنوهي في تنميقه وتنضيده وقد استدعاني اليه المنصور في يوم حلت فيه الشمس بيت شرفها واكتست الارض بزخرفها فحللت به والدوح تميس معاطفه والنور يخجله قاطفه والمدام تطلع فيه وتغرب وقد حل فيه خطيب ويطرب وبين يدي المنصور مائة غلام ما يزيد أحدهم على العشر غير أربع ولا يحل غير الفؤاد من مربع وهم يديرون رحيقا خلتها في كؤسها درا وعقيقا فأقمنا والشمس تغازلنا وكانت الافلاك منازلنا ووهب المنصور في ذلك اليوم ما يزيد على عشرين ألفا من صلات متصلات وأقطاع ضياع ثم توجع لذلك العهد وأفصح عما بين ضلوعه من الوجد وأنشد (كامل)

سقيا لمنزلة اللوى وكثيبها * اذ لا أرى زمنا كأزماني بها

(قال وأخبرني رحمه الله) أن أبا أحمد بن جحاف لما انتزى وانتمى للرياسة واعتزى وظن بقتل القادر بالله أنه يتم له من الاستبداد ما تم للقاضي ابن عباد والقدر يضحك من ورائه ويصك له بقبح آرائه بادر لحينه بالاستمداد الى حاشيته والاستطالة على غاشيته فوجه اليه من قبله رسولا لتفهمه وسببه ومن وجهه وكتب الى

صاحب المظالم ابن عمه قد التبستَ من برّك أعزك الله بما لا أخلعه وحملتني من شكرك ما لا أضيعه فأنا أستريح اليك استراحة المستنيم وأصرف الذنب الى الزمن المليم وان ابن عمك مدّ الله بسطته لما نار نوره التي بلغ بها السماك وطن أنه قد بذ معها الافلاك نظر اليّ متخازرا متشاوسا وظنني حاسدا أو منافسا ولعن الله من حسده جلالها فلم تك تصلح الا له ولم يك يصلح الا لها ثم تورّم على أنف عزته فرماني بصروف محنته وكل ذلك أتجرعه على مضضه وأتغافل لغرضه وأطوى على بلله وما انتصر بشئ من عمله الى أن رام اليوم بسوء رأيه أن يزيد في تعسفه وبغيه فاستقبلت من الامر غريبا ما كنت أحسبه ولا بان لي سببه ولما جاءه رسولي منه فهما عبس وبسر وأدبر واستكبر فأمسكت محافظا للجانب وعاملا على الواجب لا أن هيبة أبي أحمد قبضتني ولا أن معرته عندي اعترضتني وأنا أقسم بالله حلفة برّ لو أن الايام قذفت بكم الي وأناختكم لديّ لأوردتكم العذب من مناهلي وحملت جميعكم على عاتقي وكاهلي ولكن الله يعمر بكم أوطانكم ويحمي من الغير مكانكم ويحوط هذه السيادة الطالعة فيكم النابتة لمعاليكم فلا يسوّلك مقطعه وليسرك مصرعه فما مثله يمال ولا يتطاول ولا يهول ان شاء الله تعالى ولم أسمع له شعرا الا ما أنشدني في أبي أحمد هذا عند قتله القادر بالله يحيى ابن ذي النون رحمهم الله أجمعين (رمل مجزوّ)

أيها الاخيف مهلا * فلقد جئت عويصا

اذ قتلت الملك يحيى * وتقمصت القميصا

رب يوم فيه تجزى * لم تجد عنه محيصا

(تم القسم الاول بعون الله)

القسم الثاني من قلائد العقيان ومحاسن الاعيان في غرر

حلية الوزراء وفقر الكتاب والبلغاء

ذو الوزارتين أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون رحمه

الله وأسكنه دار رحمته ورضاه

زعيم الفئة القرطبية ونشأة الدولة الجهورية الذي بهر بنظامه وظهر كالبدر ليلة تمامه فجاء من القول بسحر وقلده أبهى نحر لم يصرفه الا بين ريحان وراح

ولم يطامعه الا في مماه مؤانسات وأفراح ولا تعدى به الرؤساء والملوك ولا تردى منه الا حظوة كالشمس عند الدلوك فشرف بصنائعه وأرهف بدائعه وروائعه وكافت به تلك الدولة حتى صار ماهيج لسانها وحل من عينها مكان انسانها وكان له مع أبي الوليد بن جهور تألف أحر ما بكعبيته وطافا وسقياه من تصافيهما نطافا وكان بعد ذلك حساما مسلولا ويظن أنه يرتد به صعب الخطوب ذلولا الى أن وقع له طلب أصاره الى الاعتقال وقصره عن الوخد والارقال فاستشفع بأبي الوليد وتوسل واستدفع به تلك الاسنة المشرعة والاسل فما ثنى اليه عنان عطفه ولا كف عنه استنان صرفه فتحيل لنفسه حتى تسلل من حبسه ففر فرار الخائف وسرى الى أشبيلية سرى الخيال الطائف فوافاها غلسا فقبل الاسراج والالجام وتجاوز أس طمرة ولجام فهشت له الدولة وتاهت به الجملة فأحلاليها فراره وأرهفت النكبة غراره وحصل عند المعتضد بالله كالسويداء من الفؤاد واستخلصه استخلاص المعتصم بالله لابن أبي دواد وألقى بيده مقاليد ملكه وزمامه واستكفى به نقضه وابرامه فأشرقت شمسه وأنارت وأنجدت محاسنه وغارت ومازال يلتحف بحظوته ويقف بربوته حتى أدركه حمامه ولقي السرار تمامه فأخذ منه التراب شمسا طالعة وزهرة يانعة وقد أثبت من مقاله في سراحه واعتقاله ومقامه وانتقاله ما هو أرق من النسيم وأشرف من المحيا الوسيم فمن ذلك ما قاله متغزلا (سريع)

يا قمرا مطلعه المغرب * قد ضاق بي في حبك المذهب

ألزمتني الذنب الذى جئته * صدقت فاصفح أيها المذنب

وان من أغرب ما مر بي * أن عذابي فيك مستعذب

ورحل عنه من كان يهواه وفاجأه بينه ونواه فسايره قليلا وماشاه وهو يتوهم ألم الفرقة حتى غشاه فاستعجل الوداع وفي كبده ما فيها من الانصداع فأقام يومه بحالة المفجوع وبات ليلته نافر الهجوع يردد الفكر ويجدد الذكر فقال (رمل)

ودع الصبر محب ودعك * ذائع من سره ما استودعك

يقرع السن على أن لم يكن * زاد في تلك الخطا اذ شيعك

يا أخا البدر سناء وسنا * حفظ الله زمانا أطلعك

ان يطل بعدك ليلى فلكم * بت أشكو قصر الليل معك

(وأخبرني الوزير) الفقيه أبو الحسين بن سراج رحمه الله انه في وقت فراره أضحى غداة الاضحى وقد ثار له الوجد بمن كان يألفه والغرام وترامت لعينه تلك الظباء الأوانس والآرام وقد كان الفطر وافاه والشقاء قد استولى على رسم عافيته حتى عفاه فلما عاد منه ما عاد وأعياه ذلك النكد المعاد استراح الى ذكر عهده الحسن وأراح جفونه المسهدة بتوهم ذلك الوسن وذكر معاهد كان يخرج اليها في العيد ويتفرج بجامع أولئك الغيد فقال (طويل)

خليلي لا فطر يسر ولا أضحى * فما حال من أمسى مشوقا كما أضحى
لئن شاقني شرق العقاب فلم أزل * أخص بمخصوص الهوى ذلك السفحا
وما انفك جوفي الرصافة مشعري * دواعي بث تعقب الاسف البرحا
ويهتاج قصر الفارسي صبابة * بقلبي لا يألو زناد الهوى قدحا
وليس زميا عهد مجلس ناصح * فأقبل في فرط الولوع به نصحا
كأني لم أشهد لدى عين شهدة * نزال عتاب كان آخره الفتحا
وقائع جانيها التجني فان مشى * سفير خضوع بيننا أكد الصلحا
وأيام وصل بالعقيق اقتضيته * فالا يكن ميعاده العيد فالفصحا
وآصال لهو في مسناة مالك * معاطاة ندمان اذا شئت أو سبحا
لدى راكد تصبيك من صفحاته * قوارير خضر خلتها مردت صرحا
معاهد لذات وأوطان صبوة * أجلت المعلى في الاماني بها قدحا
الا هل الى الزهراء أوبة نازح * تقضت مبانيها مدامعه نزحا
مقاصير ملك أشرقت جنباتها * فخلنا العشاء الجون أثناءها صبحا
يمثل قرطيها لي الوهم جهرة * فقبتها فالكوكب الرحب فالسطحا
محل ارتياح يذكر الخلد طيبه * اذا عز أن يصدى الفتى فيه أو يضحى
هنالك الجام الزرق تبدا خفافها * ظلال عهدت الدهر فيها فتى سمحا
تعوضت من شدو القيان خلالها * صدى فلوات قد أطار الكرى صبحا
ومن حلى الكاس المفدى مديرها * تقحم أهوال حملت لها الرمحا
أجل ان ليلي فوق شاطئ نيطة * لأقصر من ليلى بآنة والبطحا

وهذه معاهد لبني أمية قطعت بها الليالي وأياما وظلت فيها الحوادث عنهم نياما فهاموا بشرق العقاب وشاموا به برقا يدوم من نقاب ونعموا بجوفي الرصافة

وطمعوا

وطعموا عيشا تولى الدهر جلاءه وزفافه وأبعدوا النصح الناصح وجد وأنس مجلس ناصح وعمروا بالزهراء وسموا عن بناء صاحب الزوراء حتى رحلهم الموت عنها وقوضهم وعوضهم منها ما عوضهم فصاروا أحاديث وأنباء ولم يتزودوا منها الا حنوطا وكفنا وغدت تلك المعاهد تصافحها أكف الغير وتناوحها نعبات الطير وراحت بعد الزينة سدى وأمست مسرحا للسيد وملعبا للصدى يسمع للجن بها عزيف ويصرع فيها البطل الباسل والنزيف وكذا الدنيا أعمالها خراب وآمالها آل وسراب أهلكت أصحاب الاخدود وأذهبت ما كان بها من حيازات وحدود (وله) يتغزل بولادة (بسيط)

يا نازحا وضمير القلب مثواه * أنستك دنياك عبدا أنت دنياه

ألهتك عنه فكاهات تلذ بها * فليس يجري ببال منك ذكراه

علّ الليالي تبقيني الى أمل * الدهر يعلم والايام معناه

(وكان يكلف بولادة) بنت المهدي هذه ويهيم ويستضيء بنور تخيلها في الليل البهيم وكانت من الادب والظرف وتتيم السمع والطرف بحيث تختلس القلوب والالباب وتعيد الشيب الى أخلاق الشباب فلما حل بذلك الغرب وانحل عقد صبره بيد الكرب كر الى الزهراء ليتوارى في نواحيها ويتسلى برؤية مواقيها فوافاها والربيع قد خلع عليها برده ونثر سوسنه ووردده وأترع جداولها وأنطق بلابلها فارتاح ارتياح جميل بوادي القرى وراح بين روض يانع وريح طيبة السرى فتشوق الى لقاء ولادة وحن وخاف تلك النوائب والمحن فكتب اليها يصف فرط قلقه وضيق أمده اليها وطاقه ويعاتبها على اغفال تعهده ويصف حسن محضره بها ومشهده (بسيط)

اني ذكرتك بالزهراء مشتاقا * والافق طلق ووجه الارض قد راقا

وللنسيم اعتلال في أصائله * كأنه رق لي فاعتل اشفاقا

والروض عن مائه الفضي مبتسم * كما حللت عن اللبات أطواقا

يوم كأيام لذات لنا انصرمت * بتنا لها حين نام الدهر سراقا

نلهو بما يستميل العين من زهر * جال الندى فيه حتى مال أعناقا

كأن أعينه اذ عاينت أرقى * بكت لما بي فجال الدمع رقراقا

ورد تألق في ضاحي منابته * فازداد منه الضحا في العين اشراقا

سرى ينافحه نيلوفر عبق * وسنان نبه منه الصبح أحداقا
كل يهيج لنا ذكرى تشوقنا * اليك لم يعد عنها الصدر ان ضاقا
لو كان وفى المنى في جمعنا بكم * لكان من أكرم الايام أخلاقا
لا سكن الله قلبا عن ذكركم * فلم يطر بجناح الشوق خفاقا
لو شاء حملي نسيم الريح حين هفا * وافاكم بفتى أضناه ما لاقى
يا علق الاخطر الاسنى الحبيب الى * نفسي اذا ما اقتنى الاحباب أعلاقا
كان التجارى بمحض الود مذ زمن * ميدان أنس جرينا فيه اطلاقا
فالآن أحمد ما كنا لعهدكم * سلوتم وبقينا نحن عشاقا

ولم تزل الايام تدنيه وتبعده وتسوءه وتسعده وتقذف به الى كل نازح وتطارح أمله بين اللاعب المازح حتى أحلته بلنسية وهلال ذكائه كما أقمر وغصن شبابه يانع قد أثمر وبنو عبد العزيز غرة ملكها ودرة سلكها يفيضون بحور الندى ويومضون في كل منتدى فحل منهم محل الحباب من الكؤوس ووقع منهم مواقع البشائر في النفوس وأقام بين مبرة تواصله ومسرة تغازله وكرامة تغاديه ومجاملة كرائح القطر وغاديه فلما انفصل وحصل فيما حصل تذكر بعد برهة ذلك العيش ونور عمره قد صوح وغصن سنه قد دوح فلم يجد الا له طيبا ولم يهصر غير فننه غصنا رطيبا فكتب الى ابن عبد العزيز (كامل مجزوء)

راحت فصح بها السقيم * ريح معطرة النسيم
مقبولة هبت قبو * لا فهي تعبق في الشميم
أفضيض مسك أم بلنـ * ـسية لرياها نميم
بلد حبيب أفقه * لفتى يحل به كريم
ايه أبا عبد الالـ * ـه نداء مغلوب العزيم
ان عيل صبري من فرا * قك فالعذاب به أليم
أو أتبعتك حنينها * نفسي فأنت لها قسيم
ذكرى لعهدك كالسها * دسرى فبرح بالسليم
مهما ذممت فما زما * ني في زمامك بالذميم
زمن كما لوث الرضا * ع يشوق ذكراه الفطيم
أيام أعقد ناظري * بذلك المرأى الوسيم

فأرى

فأرى الفتوة غضة * فى ثوب أواه حليم
الله يعلم أن حبك من فؤادى فى الصميم
ولئن تحمل عنك فى * جسم فعن قلب مقيم
ثم السلام تبلغنه بقلب مهديه السليم

وفى أيام مقامه ببلنسية وتشوقه الى بلاده قال (طويل)

غريب بأرض الشرق يشكر للصبا * تحملها منه السلام الى الغرب
وما ضر أنفاس الصبا فى احتمالها * سلام فتى يهديه جسم الى قلب

(وفى نكبته) وقعود أبى الحزم عن اقالته من كبوته يقول يعاتبه من قصيدة وقد بلغه أنه سعى به اليه (طويل)

أبا الحزم انى فى عتابك مائل * الى جانب تأوى اليه العلا سهل
حمائم شكوى صبحتك هوادلا * تناديك من أفنانها دانى الهدل
جواد اذا استن الجياد الى مدى * تمطر فاستولى على أمد الخصل
ثوى صافنا فى مربط الهون يشتكى * بتحمحمه ما ناله من أذى الشكل
وانى لتنهانى نهاى عن التى * أشاربها الواشى ويعقلنى عقلى
أأنقض فيك المدح من بعد قوة * فلا أقتدى الا بناقضة الغزل
هى النعل زلت بى فهل أنت مكذب * لقيل الاعادى انها زلة الحسل
الا ان ظنى بين فعليك واقف * وقوف الهوى بين القطيعة والوصل
والا جنيت الانس من وحشة النوى * وهول السرى بين المطية والرحل
وأين جواب منك ترضى به العلا * اذا سألتنى عنك ألسنة الحفل

(وله عند ثقافه) وفقدا لوفاء من ألافه يخاطب أباحفص بن برد وقد حار ولم يجد هاديا وصار رهينا لا يرجو فاديا وعلم أن الناس متقلبون وعلى من انقلب الدهر منقلبون لا يدنيهم فى الشدة اخاء ولا يثنيهم عن ذى الحظوة زهو ولا انخفاء (رمل مجزوء)

ما على ظنى باس * يجرح الدهر وياسو
ربما أشرف بالمر * ء على الآمال ياس
ولقد ينجيك اغفا * ل ويرديك احتراس
ولكم أجدى قعود * ولكم أكدى التماس

وكذا الحكم اذا ما * عز ناس ذل ناس
وبنو الايام أخيا * ف سراة وخساس
نلبس الدنيا ولكن * متعة ذاك اللباس
يا أبا حفص وما سا * واك في فهم اياس
من سنا رأيك لي في * غسق الخطب اقتباس
وودادي لك نص * لم يخالفه اقتياس
أنا حيران وللأمـ * ـر وضوح والتباس
لا يكن عهدك وردا * ان عهدي لك آس
وأدر ذكري كأسا * ما امتطت كفك كاس
فعسى أن يسمح الدهـ * ـر فقد طال الشماس
واغتنم صفو الليالي * انما العيش اختلاس
ما ترى في معشر خا * نوا عن العهد وخاسوا
ورأوني سامريا * يتقى منه المساس
أذؤب هامت بلحمي * فانتهاب وانتهاس
كلهم يسأل عن حا * لي وللذئب اعتساس
ان قسا الدهر فللما * ء من الصخر انبجاس
ولئن أمسيت محبو * سا فللغيث احتباس
يلبث النصل في الترب * ب فيوطا ويداس

(ولما تعذر فكاكه) وعضر فرقده وسماكه وعاودته الاوهام والفكر وخانه من أبي الحزم الصارم الذكر قال يصف ما بين مسرانه وكروبه ويذكر بعد طلوع أمله من غروبه ويبكي لما هو فيه من التعذير ويعذر أبا الحزم وليس له غيره من عذير ويتعزى بانحاء الدهر على الاحرار والحاحه على الكرام بالسرار ويخاطب ولادة بوفاء عهده ويقيم لها البراهين على أرقه وسهده (بسيط)

ما جال بعدك لحظي في سنا القمر * الا ذكرتك ذكر العين بالاثر
ولا استطلت ذماء النفس من أسف * الا على ليلة سرت مع القصر
في نشوة من شباب الوصل موهمة * أن لا مسافة بين الوهن والسحر
ياليت ذاك السواد الجون متصل * قد استعار سواد القلب والبصر

بالرزايا

يا ملرزا بالقد شافهت منهلها * غمرا فما أشرب المكروه بالغمر
لا يهنأ الشامت المرتاح خاطره * انى معنى الامانى ضائع الخطر
هل الرياح بنجم الارض عاصفة * أم الكسوف لغير الشمس والقمر
ان طال فى السجن ايداعى فلا عجب * قد يودع الجفن حد الصارم الذكر
وان يثبط أبا الحزم الرضى قدر * عن كشف ضرى فلا عتب على القدر
من لم أزل من تأنيه على ثقة * ولم أبت من تجنيه على حذر

(وله يتغزل) ويعاتب من يستعطفه ويتنزل (بسيط مخلع)

يا مستخفا بعاشقيه * ومستغشا لناصحيه
ومن أطاع الوشاة فينا * حتى أطعنا السلو فيه
الحمد لله اذ أرانى * تكذيب ما كنت تدعيه
من قبل أن يهزم التسلى * ويغلب الشوق ما يأتيه

(ولما عضته) أنياب الاعتقال ورضته تلك النوب الثقال وعوض بخشانة العيش من اللين وكابد قسوة خطب لا تلين تذكر عهد عيشه الرقيق ومراحه بين الرصافة والعقيق وحن الى سعد زرت عليه جيوبه واستهدى نسيم عيش طاب له هبوبه وتأسى بمن باتت له النوائب بمرصاد ورمته بسهام ذات اقصاد وضيم من عهد الاحص الى ذات الاصاد فقال (خفيف)

الهوى فى طلوع تلك النجوم * والمنى فى هبوب ذاك النسيم
سرنا عيشنا الرقيق الحواشى * لو يدوم السرور للمستديم
وطر ما انقضى الى أن تقضى * زمن ما ذمامه بالذميم
أيها المؤذنى بظلم الليالى * ليس يومى بواحد من ظلوم
ما ترى البدر ان تأملت والشمس كما يكسفان دون النجوم
وهو الدهر ليس ينفك ينحو * بالمصاب العظيم نحو العظيم

وله يتغزل (وافر)

أيوحشنى الزمان وأنت أنسى * ويظلم لى النهار وأنت شمسى
وأغرس فى محبتك الامانى * فأجنى الموت من ثمرات غرسى
لقد جازيت غدرا عن وفائى * وبعت مودتى ظلما ببخس
ولو أن الزمان أطاع حكمى * فديتك من مكارهه بنفسى

وله أبيات في مثل ذلك (كامل)

ولقد شكوتك بالضمير الى الهوى * ودعوت من حنق عليك فأمّنا
منيت نفسي من صفائك ضلة * ولقد تغرّ المرء بارقة المنى

(وله عن المعتضد بالله) الى صهره الموفق أبي الجيش صاحب دانية (بسيط)

عرفت عرف الصبا اذ هبّ عاطره * من أفق من أنا في قلبي أشاطره
أرى تجدد ذكراه على شحط * وما تيقن أني الدهر ذاكره
ينأى المزار به والدار دانية * يا حبذا الفأل لو صحت زواجره
خلّى أبا الجيش هل يدنو اللقاء بنا * فيشتفي منك طرف أنت ناظره
قساره قيصران قام مفتخرا * لله أوله مجـــدا وآخره

(ولما حل) من المعتضد بالمكان الذي حل واتمكن عنده شدائده واضمحل تسلت نفسه من شجونها وحنت الى صفاء ولاده وحجونها وتذكرها وما تناساها وعاودته لوعتها وأساها وحن اليها حنين من حيل بينه وبين ما يشتهى وقنع باهداء تحية تبلغ اليها وتنتهي فقال يتغزل فيها ويمدح المعتضد (طويل)

أما في نسيم الريح عرف يعرّف * لنا هل لذات الوقف بالجزع موقف
فنقضي أوطار المنى من زيارة * لنا كلف منها بما نتكلف
عزيز علينا أن نزار ودونها * رقاق الظبا والسمهري المثقف
وقوم عدا يبدون عن صفحاتهم * وأظهرها من ظلمة الحقد أكلف
يودون لو يثني البعاد زماعنا * وهيهات ريح الشوق من ذاك أعصف
كفانا من الوصل التحية خلسة * فيومي طرف أو بنان مطرّف
واني ليستهويني البرق صبوة * الى برق ثغران بدا كاد يخطف
وما ولعي بالراح الا توهما * لظلم لها كالراح اذ يترشف
ويذكرني العقد المرن جمانه * مرنات ورق في ذرا الايك تهتف
فاقبل من أهوى طوى البدر هودج * ولا ضم ريم القفر خدر مسجف
ولا قبل عباد حوى البحر مجلس * ولا حمل الطود المعظم رفرف
هو الملك الجعد الذي في ظلاله * تكف صروف الحادثات وتصرف
رويته في الحادث الاد خطة * وتوقيعه الحالي دجا الخطب أحرف
طلاقة وجه في مضاء كمثل ما * يروق فرند السيف والحد مرهف

على السيف من تلك الشمائل مبسم * وفى الروض من تلك الطلاقة زخرف

ولما قضينا ما عنانا اداؤه * وكل بما يرضيك داع محلف

تظن الاعادي أن حزمك نائم * لقد تعد الفسل الظنون فتخلف

رأيناك فى أعلى المصلى كأنما * تطلع من محراب داود يوسف

ولما حضرنا الاذن والدهر خادم * تشير فيمضي والقضاء مصرف

وصلنا فقبلنا الندى منك فى يد * بها يتلف المال الجسيم ويخلف

لك الخير أني لى بشكرك نهضة * وكيف أؤدى شكر ما أنت مسلف

أعدت بهيم الحال منى غرة * يقابلها طرف الحسود فيطرف

ولولاك لم يسهل من الدهر جانب * ولا ذل منقاد ولا لان معطف

(ولما مات المعتضد) رحمه الله وارتفع فى أمره ما ارتفع ورأى المعتمد موانه التى توسل بها واستشفع وأبقاه جليسا وسميرا وسقاه العفو سلسالا نميرا قال يرثيه ويشكر المعتمد ويذكر أنه لم يرفض سبب ممتاته ولم يغمض عن رعى حرماته (طويل)

أعبادا أوفى الملوك لقد سطا * عليك زمان من سجيته الغدر

فهلا عداه أن علياك حلية * وذكرك فى أردان أيامه عطر

أأنفس نفس فى الورى أقصد الردى * وأخطر علق للندى أفقد الدهر

اذا الموت أضحى قصر كل معمر * فان سواء طال أو قصر العمر

(ومنها)

فهل علم الشلو المقدس انى * مسوغ حال ظل فى كنهها الفكر

وان متاتي لم يضعه محمد * خليفتك العدل الرضا وابنك البر

وأرغم فى برى أنوف عصابة * لقاؤهم جهم ومنظرهم شزر

اذا ما استوى فى الدست عاقد حبوة * وقام سماط حافل فلى الصدر

(وله عند فراره) وخروجه من سراره وقد أقام بقرطبة متواريا يخاطب ولادة ويستنهض الاديب أبا بكر للشفاعة ويستنزل أبا الحزم بن جهور (طويل)

شحطنا وما بالدار نأى ولا شحط * وشط بمن نهوى المزار وما شطوا

أأحبابنا ألوت بحادث عهدنا * حوادث لا عهد عليها ولا شرط

لعمركم ان الزمان الذى قضى * بشت جميع الشمل منا لمشتط

وأما الكرى مذ لم أزركم فهاجر * زيارته غب والمامه فرط

وما شوق مقتول الجوانح بالصدى * الى نطفة زرقاء أضمرها وقط
بأبرح من شوقي اليكم ودونما * أدير المنى عنه القتادة والخرط
وفي الربرب الانسي أحوى كأنه * نواجي ضميري لا الكثيب ولا السقط
غريب فنون الحسن يرتاح درعه * متى ضاق ذرعا بالذي حازه المرط
كأن فؤادي يوم أحوى مودعا * هوى خافقا منه بحيث هوى القرط
اذا ما كتاب الوجد أشكل سطره * فمن زفرتي شكل ومن عبرتي نقط
الا هل أتى الفتيان أن فتاهم * فريسة من يعدو ونهزة من يسطو
وأن الجواد الفائت الشأو صافن * تخونه شكل وأزرى به ربط
وان الحسام العضب ثاو بجفنه * وما ذمّ من غربيه قدّ ولا قط
عليك أبا بكر بكرت بهمة * لها الخطر العالي وان نالها حط
أبي بعدما هيل التراب على أبي * ورهطي فذا حين لم يبق لي رهط
لك النعمة الخضراء تندى ظلالها * عليّ ولا جحد لديّ ولا غمط
ولولاك لم يثقب زناد قريحتي * فينتهب الظلماء من نارها سقط
ولا ألفت أيدي الربيع بدائعي * فمن خاطري نظم ومن زهره لقط
هرمت وما للشيب وخط بمفرقي * ولكن لشيب الهم في كبدي وخط
وطاول سوء الحال نفسي فأذكرت * من الروضة الغناء طاولها القحط
سنون من الايام خمس قطعتها * أسيرا وان لم يبد شدّ ولا ربط
أتت بي كما ميط الاناء عن الاذى * وأذهب ما بالثوب من درن مشط
أتدنو قطوف الجنتين لمعشر * وغايتي السدر القليل أو الخمط
وما كان ظني ان تغرني المنى * وللغرّ في العشواء من ظنه خبط
أما وأرتني النجم موطئ أخمصي * لقد أوطأت خدي لأخمص من يخطو
ومستبطئ العتبى اذا قلت قد أتى * رضاه تمادى العتب واتصل السخط
وما زال يدنيني فينأى قبوله * هوى سرف منه وصاغية فرط
ونظم ثناء في نظام ولائه * تحلت به الدنيا لآلئه وسط
على خصرها منه وشاح مفصل * وفي رأسها تاج وفي جيدها سمط
عدا سمعه عني وأصغى الى عدا * لهم في أديمي كلما استمكنوا عط
بلغت المدى اذ قصروا فقلوبهم * مكامن أضغان أساودها رقط

يولونني عرض الكراهة والقلى * وما دهرهم الا النفاسة والغبط
ولـ التفوني بالتي لست أهلها * ولم يـجن أمثالي بأمثالها قط
فررت فان قالوا الفرار أرابه * فقد فر موسى حين همّ به القبط
واني لراج ان تعود كبدء نهما * لي الشيمة الزهراء والخلق السبط
وحلم امرئ تعفي الذنوب لعفوه * وتمحى الخطايا مثل ماتمحى الخط
فما لك لاتختصني بشفاعة * يلوح على دهري لميسمها علط
يفي بنسيم العنبر الورد ريحها * اذا شعشع المسك الاحمّ به خلط
فان يسعف المولى فنعم كريمة * تنفس عن نفس ألظ بها ضغط
وان يأب الاقبض مبسوط فضله * ففي يدمولى فوقه القبض والبسط

وله أيضا (طويل)

كأن عشي القطر في شاطئ النهر * وقد زهرت فيه الازاهر كالزهر
ترش بماء الورد رشا وتنثني * لتغليف أفواه بطيبة الخمر

(وبات ليلة) باحدى جنات اشبيلية فقال (طويل)

وليل أدمنا فيه شرب مدامة * الى ان بدا للصبح في الليل تأثير
وجاءت نجوم الصبح تضرب في الدجا * فولت نجوم الليل والليل مقهور
فحزنا من اللذات أطيب طيبها * ولم يعرنا هم ولا عاق تكدير
خلا أنه لو طال دامت مسرتي * ولكن ليالي الوصل فيهن تقصير

ولم يزل يروم دنو ولادة فيتعذر ويباح دمه دونها ويهدر لسوء أثره في ملك قرطبة وواليها وقبائح كان ينسبها اليه ويواليها أحقدت بني جهور عليه وسددت أسنتهم اليه فلما يئس من اقيادها وحجب عنه محياها كتب اليها يستديم عهدها ويؤكد ودها ويعتذر من فراقها بالخطب الذي غشيه والامتحان الذي خشيه ويعلمها أنه ماسلا عنها بخمر ولا خبا مابين ضلوعه لها من ملتهب جمر وهي قصيدة ضربت في الابداع بسهم وطلعت في كل خاطر ووهم ونزعت منزعا قصر عنه حبيب وابن الجهم واولها (بسيط)

أضحى التنائي بديلا من تدانينا * وناب عن طيب لقيانا تجافينا
بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقا اليكم ولا جفت مآقينا
يكاد حين تناجيكم ضمائرنا * يقضي علينا الاسى لولا تأسينا

حالت لفقدكم أيامنا فغدت * سودا وكانت بكم بيضا ليالينا
اذ جانب العيش طلق من تألفنا * ومورد اللهو صاف من تصافينا
واذ هصرنا غصون الانس دانية * قطوفها فجنينا منه ماشينا
ليسق عهدكم عهد السرور فما * كنتم لارواحنا الا رياحينا
من مبلغ الملبسينا بانتزاحهم * حزنا مع الدهر لايبلى ويبلينا
ان الزمان الذى مازال يضحكنا * انسا بقربكم قد عاد يبكينا
ماحقنا أن تقروا عين ذى حسد * بنا ولا أن تسروا كاشحا فينا
غيظ العدى من تساقينا الهوى فدعوا * بأن نغص فقال الدهر آمينا
فانحل ما كان معقودا بأنفسنا * وانبت ما كان موصولا بأيدينا
وقد نكون ومايخشى تفرقنا * فاليوم نحن ومايرجى تلاقينا
لم نعتقد بعدكم الا الوفاء لكم * رأيا ولم نتقلد غيره دينا
لاتحسبوا نأيكم عنا يغيرنا * ان طال ماغير النأى المحبينا
والله ما طلبت أهواؤنا بدلا * منكم ولا انصرفت عنكم أمانينا
ولا استفدنا خليلا عنك يشغلنا * ولا اتخذنا بديلا منك يسلينا
ياسارى البرق غادى القصر فاسق به * من كان صرف الهوى والود يسقينا
ويانسيم الصبا بلغ تحيتنا * من لو على البعد حيا كان يحيينا
ياروضة طال ما أجنت لواحظنا * وردا جلاه الصبا غضا ونسرينا
ويا حياة تملينا بزهرتها * منى ضروبا ولذات أفانينا
ويانعيما خطرنا من غضارته * فى وشى نعمى سحبنا ذيله حينا
لسنا نسميك اجلالا وتكرمة * وقدرك المعتلى عن ذاك يغنينا
اذا انفردت وماشوركت فى صفة * فحسبنا الوصف ايضاحا وتبيينا
ياجنة الخلد أبدلنا بسلسلها * والكوثر العذب زقوما وغسلينا
كأننا لم نبت والوصل ثالثنا * والسعد قد غض من أجفان واشينا
ان كان قد عز فى الدنيا اللقاء ففى * مواقف الحشر نلقاكم ويكفينا
سران فى خاطر الظلماء يكتمنا * حتى يكاد لسان الصبح يفشينا
لاغرو فى أن ذكرنا الحزن حين نهت * عنه النهى وتركنا الصبر ناسينا
انا قرأنا الاسى يوم النوى سورا * مكتوبة وأخذنا الصبر تلقينا

أما هواك فلم نعدل بمنهله * شربا وان كان يروينا فيظمينا
لم نجف أفق جمال أنت كوكبه * سالين عنه ولم نهجره قالينا
ولا اختيارا تجنبناك عن كثب * لكن عدتنا على كره عوادينا
نأسى عليك اذا حثت مشعشعة * فينا الشمول وغنانا مغنينا
لا أكؤس الراح تبدى من شمائلنا * سيما ارتياح ولا الاوتار تلهينا
دومى على العهد ما دمنا محافظة * فالحر من دان انصافا كما دينا
فما ابتغينا خليلا منك يحبسنا * ولا استفدنا حبيبا عنك يغنينا
ولو صبا نحونا من علو مطلعه * بدر الدجا لم يكن حاشاك يصبينا
أولى وفاء وان لم تبذلى صلة * فالذكر يقنعنا والطيف يكفينا
وفي الجواب قناع لو شفعت به * بيض الايادى التى ما زلت تولينا
عليك منى سلام الله ما بقيت * صبابة منك نخفيها فتخفينا

(ذو الوزارتين أبو بكر بن عمار رحمه الله وعفا عنه بمنه)

متقذف في القريض وجماره ومطلع شموسه وأقماره الذى بعث الاحسان عرفا عطرا ونفسا وأثبته في شفاه الايام لعسا أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا ثم كسي بعد اشراقا ونورا فأصبح راقى منبر وسرير ولمح ما شاء بطرف غير ضرير هيأ له السعد أن عمر ربعا محيلا وصور في صورة الحقيقة مستحيلا واصطفاه المعتمد فانفق به السكون والهدو وتمالك فيه كلفا وهياما وامطره من الحظوة غماما واختصر منه موادعة وائتلافا استدر بهما الملوك اوانه اخلافا فارتاعت منه الاقطار وطاعت له اللبانات والاوطار حتى رأس بتدمير وجلس مجلس الامير ثم رأى ان يتزى على مواليه ويجتزى بتوليه فأخذه الله بغدره واعان على وضعه رافع قدره فحصل في قبضة المعتمد قنيصا وعادم معنى خلاصه مهما عويصا الى أن طوقه الحسام فاستلانه طوقا وذوقه الحمام فاستعذبه ذوقا في قصة اشتهرت مع اخفائها وظهرت بعد عفائها فانه قتله بيده وانزله ليلا في ملحده ولقد رأيت عظمى ساقيه قد أخرجا بعد سنين من حفر حفر في جانب القصر المبارك واساودهما بهما ملتفة ولبلتهما مشتغفة ما فغرت افواهها ولا حلت التواءها فرمق الناس العبر وصدق المكذب الخبر وكان مع نقض ابرامه ورفض امامه شاعرا مطبوعا قد عمر الاحسان

منازل وربوعا وقد أثبت له ما تستهديه النفوس وتزدان به الطروس فمن ذلك قوله يتغزل في غلام رومي للمؤتمن قد لبس درعا (وافر)

وأغيد من ظباء الروم عاط * بسالفتيه من دمعي فريد
قسا قلبا وسن عليه درعا * فباطنه وظاهره حديد
بكيت وقد دنا وناى رضاه * وقد يبكي من الطرب الجليد
وان فتى تملكه بتيه * وأحرز رقه لفتى سعيد

(وتنزه بالدمشق) وهو قصر بقرطبة شيده بنو أمية بالصفاح والعمد وجروا في اتقانه الى غاية أمده وأبدع بناؤه ونمقت ساحته وفناؤه واتخذوه ميدان مراحهم ومضمار انشراحهم وحكوا به قصرهم بالمشرق وأطلعوه كالكوكب الثاقب المشرق فحله أبو بكر على أثر بؤسه وابتسم له به دهره بعد عبوسه والدنيا قد أعطته عفوها وسقته صفوها وبات فيه مع لمة من أتباعه ومتقبلي رباعه كلهم يحييه بكاس ويفديه بنفسه من كل بأس فطابت له ليلة في مشيده وأطربه الانس ببسطه ونشيده فقال (خفيف)

كل قصر بعد الدمشق يذم * فيه طاب الجنى وفاح المشم
منظر رائق وماء نمير * وثرى عاطر وقصر أشم
بت فيه والليل والفجر عندي * عنبر أشهب ومسك أحم

وله يتغزل (وافر)

رشا يرنو بنرجسه ويعطو * بسوسان ويبسم عن اقاح
تشير الى قرطاه وتصغي * خلال خلاخله الى نغم الوشاح

(ودخل سرقسطة) فلما رأى غباوة أهلها وتكاثف جهلها وواصل منهم من لا يعلم قطعا ولا وصلا وخاصر من لا يعرف معنى ولا فصلا عكف على راحه معاقرا وعطف بها على جيش الوحشة عاقرا فبلغه أنهم نقدوا شربه وفلوا بالملام غربه فقال (طويل)

نقمتم على الراح أدمن شربها * وقلتم فتى لهو وليس فتى جد
ومن ذا الذي قاد الجياد الى الوغى * سواي ومن أعطى الكثير ولم يكد
فديتكمو لو تعلموا السر انما * قليتكمو جهدي فأبعدتكم جهدي

(وأهدى الناس) في يوم عيد الى المعتمد واحتفلوا وقضوا الفرض وتنفلوا

فاقتصر هو على ثوب صوف بحر أصفر وكتب معه (كامل)

لما رأيت الناس يحتفلون فى * اهداء يوملك جئته من بابه
فبعثت نحو الشمس شبه اهابها * وكسوت منن الصبر بعض ثيابه

وكتب الى عضد الدولة يستدعى منه الكون عنده (بسيط مخلع)

يا عضد الدولة المصفى * من جوهر النبل والذكاء
ماذا ترى فى اصطباح يوم * مذهب الصحو والمساء
نسرقه من يدى زمان * لم يقسم الرزق بالسواء
وقد ظمئنا ونحن أرض * اليك يا رحمة السماء

(وأخبرنى) ذو الوزارتين الاجل أبو المطرف بن عبد العزيز أنه حضر معه عند المؤتمن فى يوم قد جادت فيه السماء بهطلها وأتبعت وبلها بطلها وأعقب رعدها بارقها وانسكب دراكا ودقها والازهار قد تجلت من كمامها وتحلت بدر غمامها والاشجار قد جلى صداها وتوشحت بنداها وأكوس الراح كأنها كواكب تتوقد تديرها أنامل تكاد من اللطافة تعقد اذ بفتى من فتيان المؤتمن أخرس لا يفصح مستعجم لا يكاد يبين ولا يوضح متمرتمر الليث متشمر تشمر البطل الباسل عند الغيث وقد أفاض على نفسه درعا تضيق بها الاسنة ذرعا وهو يريد استشارة المؤتمن فى الخروج الى موضع بعثه اليه ووجهه فكل من صده عنه نهره ونجهه حتى وصل الى مكان انفراده ووقف بازاء وساده فلما وقعت عين ابن عمار عليه أشار بيده اليه وقربه واستدناه وضمه اليه كأنه قد تبناه وحدا أن يخلع عنه ذلك الغدير وأن يكون هو الساقى المدير فأمره المؤتمن بخلعه وطاعة أمره وسمعه فنضاه عن جسمه وقام يسقى على حكمه ورسمه فلما دبت فيه الحميا وشبت غرامه بهجة ذلك المحيا واستزلته سورة العقار واستنزلته عن مرقب الوقار قال ارتجالا (كامل)

وهويته يسقى المدام كأنه * قمر يدور بكوكب فى مجلس
متأرج الحركات تندى ريحه * كالغصن هزته الصبا بتنفس
يسعى بكأس فى أنامل سوسن * ويدير أخرى من محاجر نرجس
يا حامل السيف الطويل نجاده * ومصرف الفرس القصير المحبس
اياك بادرة الوغى من فارس * خشن القناع على عذار أملس

جهم وان ﺣﺴﺮ اﻟﻠﺜﺎم ﻓﺎﻧﻤﺎ * ﻛﺸﻒ اﻟﻈﻼم ﻋﻦ اﻟﻨﻬﺎر اﻟﺸﻤﺲ
يطغى ويلعب في دلال عذاره * كالمهر يرح في اللجام الجرس
سلم فقد قصف القنا غصن النقا * وسطا بليث الغاب ظبي المكنس
عنا بكاسك قد كفتنا مقلة * حوراء قائمة بسكر المجلس

وكتب الى الراضي رحمه الله (كامل)

قالوا أتى الراضي فقلت لعلها * خلعت عليه من صفات أبيه
قال بري فعسى المؤيد واهبا * لي من رضاه ودين أمان أخيه
قالوا نعم فوضعت خدي في الثرى * شكرا له وتهيئا بنبيه
يا أيها الراضي وان لم يلتفق * من صفعه الراضي بما أدريه
هبك احتجبت لوجه عذر بين * بذل الشفاعة أي عذر فيه
سهل على بذل الكريمة أحرقا * فيمن أسرت وتنتقى تفديه

(ولما) أزمع على الرحيل من حضرة المعتصم خرج المعتصم مودعاله فأنشده ابن عمار ارتجالا وقد كان تقدم للمعتصم اليه قطعة شعر من ثلاثة أبيات (طويل)

ألفظك أم كأس الرحيق المعتق * وخطك أم روض الربيع المتق
ونظمك أم سلك من الدر ناصع * يروق على جيد العروس المطوق
بعثت بها ايا قطعة الروض قطعة * شممت بها عرف النسيم الخلق
ثلاثة أبيات وهي بهات انما * بعثت بها الجوزاء في صفح مهرق
هي السحر أسرى في النفوس من الهوى * وكيف يكون السحر في لفظ منطق
أمعتصما بالله والحرب ترتقي * بأبطالها والخيل بالخيل تلتقي
دعتني المطايا للرحيل واني * لأفرق من ذكر النوى والتفرق
واني وان غربت عنك فانما * بجبينك شمسي والمرية مشرقي

وله يتغزل (كامل)

قالوا أضر بك الهوى فأجبتهم * ياحبذاه وحبذا اضراره
قلبي هو اختار السقام لجسمه * زيا فخلوه وما يختاره
عيرتموني بالنحول وانما * شرف المهند أن ترق شفاره
من قد قلبي اذ نثني قده * وأقام عذري اذ أطل عذاره
أم من طوى الصبح المنير نقابه * وأحاط بالليل البهيم خماره

فوحسنه لقد اشتدت لوصفه * بالفضل لولا ان حصاداره
بلدمى أذكره هيج لوعتى * واذا قدحت الزند طار شراره

(واستدعى منه) فى احدى سفراته مشروب بموضع ليس فيه غير القتاد ومحل المرتاد فبعثه وقرن به رمانتين وتفاحتين وكتب اليهم (وافر)

خذوها مثل ما استهدتموها * عروسا لا تزف الى اللئام
ودونكموبها ثديى فتاة * أضفت اليهما خدى غلام

(وذكرت) بهذه الحكاية ماذكره الاصبهانى أن الحسن بن سهل استدعى من محمد بن عبد الملك مشروبا فى بلاد الروم فبعث به وكتب معه (كامل مجزوء)

أرأيت مثلى صاحبا * أندى يدا وأعم جودا
يسقى النديم بقفرة * لم يسق فيها الماء عودا
وأجود حين أجود لا * حصرا بذاك ولا بليدا
خذها اليك كأنما * كسيت زجاجتها عقودا
واجعل عليك بأن تقو * م بشكرها أبدا عهودا

(ولما) ضيق المعتضد بالله على ابن عبد الله بقرمونة وسد مسالكه وسد اليه مهالكه استدعى باديس بن حبوس واستصرخه استصراخ الموثق المحبوس رجاء أن ينفس عنه غصة وينتهز فى ابن عباد فرصة فلما وصل باديس ابن حبوس الى قرمونة أخرج اليه المعتضد جيشه يقدمه ابنه الظافر ويقود منه أسودا فى المغافر فلما التقى الجمعان وارتقى ثنية بغيه المعين والمعان حمل فيهم عسكر اشبيلية حملة خلعتهم عن مراكزهم وأذاقتهم بالذل من تعززهم فتفرقوا فى تلك البسائط والربى وشربوا بسقيا الاسنة والظبى وأوقع بهم الظافر أحسن ايقاع وتركهم مضرجين فى تلك البقاع وانصرف الى اشبيلية وألويته تختال فى أكف الرياح وذوابله تكاد تنقصف من الارتياح فهنئ المعتضد باته بذلك وقام ابن عمار ينشد هنالك (طويل)

ألا للمعالى ما تعيد وما تبدى * وفى الله ما تخفيه عنا وما تبدى
نوال كما اخضر العذار وفتكة * كما خلت من دونه صفحة الخد
جنيت ثمار النصر طيبة الجنى * ولا شجر غير المثقفة الملد
وقلدت أجياد الربا رائق الحلى * ولا درر غير المطهمة الجرد

بكل فتى عارى الاشاجع لابس * الى غمرات الموت محكمة السرد
بكر فكم طعن كسامعة الثرا * يضاف الى ضرب كحاشية البرد
نجوم سماء الحرب ان يدج ليلها * بدورهم أفواجها فلك السعد
خميس تردى من بنيك بمرهف * حكاك كما قد الشراك من الجلد
بدر ولكن من مطالعه الوغى * وليث ولكن من براثنه الهندى
فتى ثقف بين الجحافل مقدم * جنى الموت فى كفيه أحلى من الشهد
سقيت به دينا عفاتك مخصبا * فأجناك من روض الندى زهر الحمد
وجندته نحو الملوك محاربا * فوافاك يقتاد الملوك من الجند
ورب ظلام سار فيه الى العدا * ولا نجم الا ما تطلع من غمد
أطل على قرمونة متجليا * مع الصبح حتى قيل كانا على وعد
فأرملها بالسيف ثم أعارها * من النار أثواب الحداد على الفقد
فيا حسن ذاك السيف فى راحة الندى * ويا برد تلك النار فى كبد المجد
لك الله ان كانت عداتك بعضها * لبعض فكل منهم جمعا الى فرد
يهودا وكانت بربرا فانتضى الظبى * وأنهم منها بألسنة لد
أقول وقد نادى ابن اسحق قومه * لارضنك يرتاد المنية من بعد
لقد سلكت نهج السبيل الى الردى * ظباء دنت من غابة الاسد الورد
كأنى بباديس وقد حط رحله * الى الفرس الطاوى عن الفرس النهد
الى الفرس الجارى به طلق الردى * سريعا غنيا عن لجام وعن لبد
يحن الى غرناطة فوق متنه * كما حن مقصوص الجناح الى الورد
ظفرت بهم فارتح وأومض كؤسها * بروقا لها من عودها ضجة الرعد
معتقة أهدت الى الورد لونها * وجادت برياها على العنبر الوردى
فأكثر ما يلهيك عن كأسها الوغى * وعن نغمات العود نغمة مستجدى
وما الملك الا حلية بك حسنها * والا فما فضل السوار بلا زند
ولا عجب ان لم يدن بك مارق * فليس جمال الشمس فى الاعين الرمد
هنيئا بكر فى الفتوح نكحتها * وما اقتضت غير المنية من نقد
تحلت من السيف الخضيب بصفحة * وقامت من الرمح الطويل على قد
ودونكها من نسج فكرى حلة * مطرزة العطفين بالشكر والحمد

ألا

ألذمن العذب القراح على الصدى * وأطيب من وصل الهوى عقب الصد
وما هذه الاشعار الا مجامر * تضوع فيها للندى قطع الند
وكنت نثرت الفضل فىّ وانما * نثرت سقيط الطل فى ورق الورد
وما أنا باغ من نداك بقدرما * يضاف لتأميلى ويعزى الى ودى
فاقسم لو قسمت جدوك بيننا * على قدر التأميل فزت به وحدى
قنعت بما عندى من النعم التى * بقسرها أولى قنعت بما عندى

وقال يمدح المعتمد (طويل)

أفى كل يوم تحفة وتفقد * بفضل نوال واهتبال يؤكد
لقد فاز قدحى فى هواك وقابلت * مطالع حالى فى سمائك أسعد
تبرعت بالمعروف قبل سؤاله * وعدت بما أوليت والعود أحمد
فأتاق حوضى من نداك تبجس * وعق روضى من رضاك تعهد
أماوصنيع زانى بجماله * حديث كماهب النسيم المغرد
لقدهز أعطاف القوافى وهزنى * الى شكر احسان أغيب فيشهد
فان أنام أشكرك صادق نية * تقوم عليها آية النصح تعضد
فلا صح لى دين ولابرّ مذهب * ولا كرمت نفسى ولاطاب مولد

وقال يمدح المعتضد (متقارب)

وفيت لربك فيمن غدر * وأنصفت دينك ممن كفر
وقت تطالب فى الناكثيـــن مزالحفائظ بجالو الظفر
بعاطلة من ليالى الحرو * ب أطلعت رأيك فيها قمر
ولم تتقدم بجيش الرجا * ل حتى تقدم جيش الفكر
فان يجنك الفتح ذاك الاصيل * فمن غرس تدبيرك ذاك الشجر
تعاطى الخوارج حتى برزت * تقوم من خدها ماصعر
وأقبلتها الخيل حمر البنو * د دهم الفوارس بيض الغرر
فكروا فلم يغنهم من مكر * وفروا فلم ينجهم من مفر
ودارت دماؤهم كالكؤس * وفاحت نفوسهم كالزهر
فما قرسيفك حتى انحنى * وعربد رمحك حتى انكسر
وكم نبت فى حربهم عن على * وناب عن النهروان النهر

تمتع فقد ساعفتك الحياة * بريح الحديقة غب المطر
وعش فى نعيم ودم فى سرور * ولا سرّ ربك من لا يسر

(وله يخاطب بنى عبد العزيز) وقد اجتاز بهم فأخرجوا اليه تضييفا وبرّا مع قوم أغفال ولم يلقوه فكتب اليهم (طويل)

تناهيتمو فى برّنا لو سمحتمو * بوجه صديق فى اللقاء وسيم
وسلطتمو راح البشاشة بيننا * فما ضرّ لو ساعدتمو بنديم
سألتمس العذر الجميل عن العلا * وأحتال للفضل احتيال كريم
وأثنى على روض الطلاقة بالجنى * وان لم أفز من نشره بنسيم
ضننتم بأعلاق الرجال على النوى * فلم تصلونا منهمو بزعيم
ولكن سأستعدى الوفاء وأقتضى * سماحك بالانس اقتضاء غريم

(ولما فر) المعتمد على مرسية فيه وأراد أن يرفع بها علمه ويثبت بها قدمه ويتخذ ملاكها خوله وخدمه وجعل ابن طاهر غرضه ونبذ ذمام الوفاء له ورفضه لضيق مجاله وقلة رجاله عجم أعواده وسبر أنجاده فلم ير سهما يفوّقه لعرشه ولا شهما يطوّقه أمر جيشه الا ابن عمار رأيا لم ينتقده واعتقادا لم يفتقده وظنا أخلفه وقضاء ما أسلفه مجازاة لبغيه وموازاة لقبح سعيه وانتصارا من الله لمن لم يجن ذنبا ولم يثن عن مضجع الموالاة جنبا فلما وصل اليها وحصل عليها وفض ختمها وصحح لنفسه اسمها نبذ عهد المعتمد وخلعه وأزال ذكره من منابرها بعد ما أطلعه فقيض له من ابن رشيق رجل حكاه فعلا وصار لتلك العقيلة بعلا فاقتص منه اقتصاص ابن ذى يزن من الحبشان وتركه أخسر من أبى غبشان ما كان الا ريثما أوقد جمره وقلده نهيه وأمره وخرج هو الى افتقاد أقطاره وقضاء بعض أوطاره حتى ثار له ثورة الاسد الورد وامتنع له بمرسية امتناع صاحب الابلق الفرد فبقى ابن عمار ضاحيا من ظل غبطته لاحيا نفسه على غلطته ولما استبهم أمره ولم يعلم له تفسيرا وعاد جناحه الوافر مهيضا كسيرا أراد الرجوع الى المعتمد فخاف أن يوبقه غدره وعزم على القعود عنه فضاق بفقد ما عهده عنده صدره فكتب اليه (طويل)

أأسلك قصدا أم أعوج عن الركب * فقد صرت من أمرى على مركب صعب
وأصبحت لا أدرى أفى البعد راحتى * فأجعله حظى أم الحظ فى القرب

اذا انتقدت فى أمرى مشيت مع الهوى * وان أنتقب به نكصت على عقبى
على أننى أدرى بأنك مؤثر * على كل حال ما يزحزح من كربى
أهابك للحق الذى لك فى دمى * وأرجوك للحب الذى لك فى قلبى
أيظلم فى وجهى لنا قمر الدجى * وتنبو بكفى صفحة الصارم العضب
جنايتك فيمن أنت شاهد نصحه * وليس له غير اتصاحبك من حسب
وما جئت شيأ فيه بغى لطالب * يضاف به رأى الى العجز والعجب
* سوى اننى أسلفتنى لمة * فلات بها حدى وكسرت من غربى *
وما أغرب الايام فيما قضت به * تريني بعدى عنك آنس من قربى
أما انه لولا عوارفك التى * جرت جريان الماء فى الغصن الرطب
لما سمت نفسى ما أسوم من الاذى * ولا قلت ان الذنب فيما جرى ذنبى
سأستمنح الرحمى لديك ضراعة * وأسأل سقيا من تجاوزك العذب
فان نفحتنى من سمائك حرجف * بما هتف يابرد النسيم على قلبى

فرق له المعتمد وأشفق وأقشع نوء حقده عليه وأخفق وعزم على الصفح عنه والتجاوز وان يرفع بالاغضاء له تلك المعاوز فكتب اليه مراجعا (طويل)

لدى لك العتبى تزاح من العتب * وسعيك عندى لا يضاف الى ذنب
وأعزز علينا أن تصيبك وحشة * وأنسك ما تدريه فيك من الحب
فدع عنك سوء الظن بى وتعده * الى غيره فهو الممكن فى القلب
قريضك قد أبدى توحش جانب * فراجعت تأنيسا وعلمك بى حسبى
تكلفته أبغى به لك سلوة * وكيف يعانى الشعر مشترك اللب

فما أورثته هذه المراجعة الانفارا ولا زادت قلبه من الثقة به الا خلوا واقفارا فانه لما قبحت فعلاته وحنظلت نخلاته لم يزل سوء الظن يقتاده ويصدق توهمه الذى يعتاده فلذلك لم يقبل ما راجعه به من رفع ايحاش ولا أمن عاقبة ما عامله به من قبح والحاش فكر الى سرقسطة لاحقا بالموتمن وسائقا له الدنيا بأيسر ثمن وانما كان يطالب ملكا يخلع ملكه على عطفيه ويجعله كنين وخفيه أو يخدعه فى اعانته على بلد يفتحه باسمه ويجريه على سنن المعتمد ورسمه فتيم الموتمن بثورة واغراه وأراه من تيسير مرامها ما أراه فأوطأ عقبه وأعطاه ما لا احتقبه ونهض وهو لا يشك فى النزول بها والاحتلال ولا يتوهم أن يلم بالامر طائف اعتلال

فأيقظ لها عزمه وأقام حزمه فلما وصل اليها ونزل عليها عرس بنفعها وأيقن بقضها وخلع على من معه ووصل من عاينه أو تسمعه فلما رأى فى ذلك ورأيه قد فال وطاش اذا برسول صاحبها قد وافاه يعلمه ان البلد بلده وان ماله فيها الا أهله وولده وأنهى اليه رغبته فى الكون عنده وان يطلع معه عبيده المختصين به وجنده فطار اليه فى الحين وسار بزعمه الى راح ورياحين فكانت راحه قيدا لابدعه ببرح وريحانه أوهاما تجرح النفس وتقرح ما كان الا أن تجاوز ذلك المعقل الذى لم يعتقل ان لم معتقل حتى حيز منه أصحابه وتقسموا فى كل باب ووسموا بسن أو ذباب فلما وصل اليه أوثقه بثقل الحديد وعوضه بصلصلته من البسيط والمديد فلما أصبح كتب الى رؤساء الاندلس يسوقه وقد علم أنه ما منهم الا يشوقه وفى ذلك يقول (سريع)

أصبحت فى السوق ينادى على * رأسى بأنواع من المال

والله لاجار على نقده * من ذمنى بالثمن الغالى

وفى مدة اعتقاله اياه لم يثن عنه حمياه ولامنعه ممن يريد مطالعته ولقياه وأباح له الاستراحة الى أخدانه وأراح خاطره فى مضمار القول وميدانه فجاء بما أعجز وأطال عنان الاحسان وهو قد أوجز فمن بديع ذلك ما طالع به أبا الفضل بن حسداى يصف موضعه المعتقل فيه (كامل)

أدرك أخاك ولو بقافية * كالطل يوقظ نائم الزهر

فلقد تقاذفت الركاب به * فى غير مرماة ولا بحر

طفحت صبابته بلا سنة * وتساقطوا سكرا بلا خمر

بمعارج أدت الى جرد * حتى من الانواء والقطر

عال كأن الجن أذ مردت * جعلته مرقاة الى النسر

وحش تناكرت الوجوه به * حتى استريت بصفحة البدر

قصر تمهد بين خافقتى * نسرين من فلك ومن وكر

متحير سال الوفاء على * عطفيه من كبر ومن كبر

ملكت عنان الريح راحته * فجيادها من تحته تجرى

مأوى العزيز وقد نعت فان * يهمل فقد أبليت فى العذر

ووصلت خدمة قاطع سببى * وأطعت أمر مضيع أمرى

دع ذا وصلنا غير مؤتمر * ستأثر بالحمد والشكر
واكتب الينا انها أبد * تمحو الذي كتبت يد الدهر

(ومر على أبي عيسى) بن لبون في أحد ستوجهاته مستوفزا والى لباناته متحفزا فلم يثنه من المودة ثان ولا جذبته نحو مثالث عهدها ومثان وأسرع كالماء الى الانحدار والمراء في أيدي الاقدار فلما علم أبو عيسى أن قد تخلفه وركابه كتب اليه يعاتبه (كامل)

ختمت بعصرك أعصر الاجواد * وعنت لذكرك ألسن الوراد
وسبقت أملاك الزمان الى مدى * ضلوه حتى كنت أنت الهادي
وغدوت أكثرهم حسودا في العلا * ان الكريم طليبة الحساد
وبدا بفضلك نقص كل معاند * تتبين الاشياء بالاضداد
وقفت بعقوتك العيون فلاحظت * أسد العرين به وبدر النادي
واتتك وافدة الرجال فقابلت * أمل الحريص ونجعة المرتاد
وصدرن قد حملن عنك عوارفا * أضحين كالاطواق في الاجياد
فضل أرانا جود حاتم طيئ * ونجار كعب في قبيل اياد
ايه أبا بكر أتظلم ساحتي * ظلما وصبح العدل عندك باد
عجبا لوعدك كيف تستكمد * موصولة الافعال بالاوعاد
ولسيب جودك كيف لم تسمح به * لصحيح ظني أو صريح ودادي
اني لمعتقد اخاءك موئلي * وأرى ولاءك معقلي وسنادي
وأصول منك على الزمان بمنصل * جعل الطلي بدلا من الاغماد
فسقى محلك دائبا أو نائيا * صوب الغمام المستهل الغادي
ولئن رحلت لقد حللت بمنزل * من نور عيني أو سواد فؤادي

فراجعه ابن عمار بقوله (كامل)

عطلت من حلي السروج جيادي * وسلبت أعناق الرجال صعادي
وثنيت عزمي عن مسير هزني * بعدي اليه وحنتي ابعادي
وسلبت من ثوب المروأة والنهى * نفسي تخلت عن بني عباد
ان لم أحلك من فؤادي منزلا * ينبيك أنك مالك لقيادي
وأخص جانبك الرفيع بخدمة * تستقبل صفو أحبة وأعاد

وأردبكرك من ثنائى روضة * غناء حاليـة بنور ورادى
حتى تبين أن غرسك قد دنا * لجنى وزرعك قد أتى لحصاد
ياسيدى وأنا الذى ناديته * لرضا فلبى منه خير مناد
اعطاك فضل الابتداء ولو جرى * حكم لانكر أن تكون البادى
لله درّ عقيـلة أبرزتها * من خدر فكرك فى حلى الانشاد
فرعاء عاطرة الذوائب واللمى * غيداء حالية الطلى والهادى
خلصت الى مع المساء فعارضت * صلة الحبيب أتى بلا ميعاد
خطا من النظم البديع أفادنى * حظ الكرام وحظوة الامجاد
وشى محض يدك الصناع برقه * فحكر تنيه مذهبا بأياد
يفدى الصحيفة ناظرى فبياضها * ببياضه وسوادها بسواد
أدى تحيتك الزكية طيها * كأفور قرطاس ومسك مداد
ولقد تعين لو أعانت قدرة * حسن الجزاء بها وهز النادى
لكن عجزت فما استقل بشأنى * ماء الفرات ولا ثرى بغداد
عذرا فمثلك لكل طالب حجة * خصم ألدّ وجه عذر باد
بك فاخر القلم القصير وطاول الرمح الطويل كتابة بطراد
ولك الفصاحة أولسنك كلما * استمطرت منى منبر وجواد
ثبت عليك حلى الوزارة مثل ما * حمل الحسام عليك ذى نجاد
وتتوجت منك السيادة بالذى * ترك الرياسة مهنة القواد
أنت الحلال الحلو رق طبيعة * وصفا مزاجا كالسحاب الغادى
من معشر تتشرف الاذوابهم * كتشرف الايام بالاعياد
جلوا فخلوا فى الانام مكانة * كمكانة الآلاف فى الاعداد
أفديك من حر تعبد بره * شكرى وقل له الفدا والفادى
فلقد ظفرت من اقبالك بالمنى * وبلغت أقصى غايتى ومرادى
وأرحت من تعبى بمهدك فى ندى * ظل فبت على وثير مهاد
وشددت منك يدى بعلق مظنة * ونفضتها بزعانف أنكاد
متغالين على الوفاء بعلة * ضحك الطبيب لها مع العوّاد
جمعوا الى ظلى فسمت جماحهم * ولقيت شدته بلين قياد

واستبطنوا حقدا وبين جوانحي * طبع يسل سخائم الاحقاد
ولكم دعى في الاخاء أعرته * جذب ابن سفيان بضبع زياد
حتى اذا رفض الوفاء رفضته * واعتضت منه بطيب الميلاد
لاذنب لي في طرد سائمة الهوى * منه على السرح الوبيل الصادي
أنا قد رضيتك فارضني وأعدني * ان كنت محتاجا الى الاعداد
انى لممن ان دعوت لنصرة * يوما باطاجية وجلاد
اذ كنت دونك للعدى حدق القنا * وخصمت عنك بألسن الاغماد
صلني أصلك وصل فديتك بي أصل * بك واعتمدني اتخذك عمادي
ايه وقلت الى الوفاء محركا * ايه فما خطرت بعطف جماد
ولئن بلغت الى رضاى فربما * ألفيتني لرضاك بالمرصاد
وعلى تظاهرنا الضمان بقلة الاعداء ثم بكثرة الحساد
وزعمت تظلم ساحة ماينا * ظلما وصبح العدل عندي باد
كلا فما التسويف من شيمي ولا * لي الجميل بعادة من عادي
لابد من ذاك السفار وان عدت * عنه الليالي انهن عواد
سفر ان استبعدته فأمنطي * حرصي واجعل من ثنائك زادي
خذها نتيجة منكر لودادها * برم لها قال لها متفاد
حذر من الود المخل فانما * أهدى الزيوف الى يدي نقاد

وكتب الى ذي الوزارتين أبي الحسن بن اليسع وقد آب من احدى سفراته (كامل)

أهلا بقربك لو يطول مقام * وكفى بطيفك لو يزور منام
آذنت بالعهد الجديد وانما * قرب المدى دون اللقاء هيام
وكنت توهن للنوى أميالها * هيهات أميال النوى أعوام
لولا الصحيفة ماشكوت فانها * قد قام منها لو علمت مقام
وصلت الى مع الاصيل وانما * وصلت الى حديقة ومدام
برد من الكافور غنم درجه * مسكا وذر عليه منه ختام
من قطعة هي قطعة الديباج أو * هي قطعة البستان وهي كلام
وكأن أسطرها غصون اراكة * ومن القوافي فوقهن حمام
نادمتها والراح يلهب كأسها * عذب اللمى ساجي الجفون غلام

وثنا كلاحسنا فعانق قده * أنس وعارض عارضيه لام
أبه أبا الحسن اختبرت فقل لنا * ماذا تقول اذا استشف عصام
هل حادني من مذهب عن واجب * أولم يقدني للجميل ذمام
أوهل تخلج منطق في جبهة * لو كان تحت يد القضاء خصام
والسعي مشكور وفيات الغنا * مرجوة والى الضياء ظلام
ولقد جريت الى التي قلدتها * جريا تباعد عنك فيه ملام
فوردت لم تلحق بغيبك ريبة * وصدرت لم يعلق بسعيك ذام
وعلى مسفرك السلام تحية * ولقد تقبل تحية وسلام

(وفي أيام خموله وعربه من مأموله) أنشد المعتضد بالله (كامل)

أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى * والنجم قد صرف العنان عن السرى
والصبح قد أهدى لنا كافوره * لما استرد الليل منا العنبرا
والروض كالحسنا كساه زهره * وشيا وقلده نداه جوهرا
أو كالغلام زهى بورد رياضه * خجلا وتاه بآسهن معذرا
روض كأن النهر فيه معصم * صاف أطل على رداء أخضرا
وتهزه ريح الصبا فتخاله * سيف ابن عباد يبدد عسكرا
عباد المخضر نائل كفه * والجو قد لبس الرداء الاغبرا
علق الزمان الاخطر المهدى لنا * من ماله العلق النفيس الاخطرا
ملك اذا ازدحم الملوك بمورد * ونحاه لا يردون حتى يصدرا
أندى على الاكباد من قطر الندى * وألذ في الاجفان من سنة الكرى
يختار اذ يهب الخريدة كاعبا * والطرف أجرد والحسام مجوهرا
قداح زند المجد لا ينفك عن * نار الوغى الا الى نار القرى
لا خلق أقرى من شفار حسامه * ان كنت شبهت المواكب أسطرا
أيقنت انى من ذراه بجنة * لما سقاني من نداه الكوثرا
وعلمت حقا ان ربعي مخصب * لما سألت به الغمام الممطرا
من لا توازنه الجبال اذا احتبى * من لا تسابقه الرياح اذا جرى
ماض وصدر الرمح يكهم والظبا * تنبو وأيدى الخيل تعثر في البرى
قاد الكتائب كالكواكب فوقهم * من لامهم مثل السحاب كنهورا

من كل أبيض قد تقلد أبيضا * عضبا وأسمر قد تأبط أسمرا
ملك يروقك خلقه أو خلقه * كالروض يحسن منظرا أو مخبرا
أقسمت باسم الفضل حتى شمته * فرأيته في بردتيه مصورا
وجهلت معنى الجود حتى زرته * فقرأته في راحتيه مفسرا
فاح الثرى متعطرا بثنائه * حتى حسبنا كل ترب عنبرا
وتتوجت بالزهر صلع هضابه * حتى ظننا كل هضب قيصرا
هصرت يدى غصن الندى من كفه * وجنت به روض السرور منورا
حسبى على الصنع الذى أولاه أن * أسعى بجد أو أموت فأعذرا
يا أيها الملك الذى حاز المنى * وحباه منه بمثل حمدى أنورا
السيف أفصح من زياد خطبة * فى الحرب ان كانت يمينك منبرا
مازلت تغنى من عنى لك راجيا * نيلا وتغنى من عتا وتجبرا
حتى حللت من الرياسة محجرا * رحبا وضمت منك طرفا أحورا
شقيت بسيفك أمة لم تعتقد * الا اليهود وان تسمت بربرا
أثمرت رمحك من رؤس كماتهم * لما رأيت الغصن يعشق مثمرا
وصبغت درعك من دماء ملوكهم * لما علمت الحسن يلبس أحمرا
نمقتها وشيا بذكرك مذهبا * وفتقتها مسكا بحمدك أذفرا
من ذا يناجينى وذكرك صندل * أوردته من نار فكرى مجمرا
فلئن وجدت نسيم حمدى عاطرا * فلقد وجدت نسيم برك أعطرا
واليكها كالروض زارته الصبا * وحنا عليه الطل حتى نورا

(ولم يزل المعتمد) يحيل على صاحب شقورة فى أخذ ابن عمار منه ويعطيه ما شاء عوضا عنه ويفرط فى ترفيعه ويبسط ما أحب من شفاعته ويعد بتشفيعه حتى استنزله فيه واستنزله بفرط تحفيه فدفعه الى ثقاته ولم يتق الله فيه حق تقاته وخسر دون مال أخذه عوضا غير آمال جعل أمرها اليه مفوضا ودخل ابن عمار قرطبة على قتب والعيون ترمقه وكأنها سهام ترشقه وقد كان خرج منها والجيوش تحفه وكأنه مهدى والدنيا تزفه فعجب الناس مما كان بين ورده وصدره وتعوذوا بالله من سوء قدره ولم يزل يتوسل اليه بذممه ويناشده الله فى حقن دمه ويستعطفه بكل مثال حر ويتحفه منه بأنفس در فلم يصغ الى رقاه

وجرّعه الحمام ومنّاه والموت لا يتوسل اليه ولا يتشفع لديه (كامل)

وإذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع

وندم المعتمد على موته وأسف أسفا لا يجدى على فوته حين سبق السيف العذل وقد يكون مع المستعجل الزلل ومن بديع استعطافه ومليح استلطافه الذى يلين له الحديد والخطب الشديد قوله (طويل)

سجاياك ان عافيت أندى وأسجح * وعذرك ان عاقبت أجلى وأوضح
وان كان بين الخطتين مزية * فأنت الى الادنى من الله أجنح
حنانيك فى أخذى برأيك لا تطع * عداتى وان أثنوا علىّ وأفصحوا
وماذا عسى الاعداء أن يتزيدوا * سوى أن ذنبى واضح متصحح
نعم لى ذنب غير أن لحلمه * صفاة يزل الذنب عنها فيسفح
وانّ رجائى أن عندك غير ما * يخوض عدوى اليوم فيه ويمرح
ولم لا وقد أسلفت ودا وخدمة * يكران فى ليل الخطايا فيصبح
وهبنى وقد أعقبت أعمال مفسد * أما تفسد الاعمال ثمت تصلح
أقلنى بما بينى وبينك من رضا * له نحو روح الله باب مفتح
وعفّ على آثار جرم جنيته * بهبة رحمى منك تمحو وتصفح
ولا تلتفت رأى الوشاة وقولهم * فكل اناء بالذى فيه يرشح
سيأتيك فى أمرى حديث وقد أتى * بزورى عبد العزيز موشح
وما ذاك الا ما علمت فاننى * اذا ثبت لا أنفك آسو وأجرح
تخيلتهم لا در لله درهم * أشاروا بتجاهى بالشمات وصرحوا
وقالوا سيجزيه فلان بفعله * فقلت وقد يعفو فلان ويصفح
الا ان بطشا للمؤيد يتقى * ولكن حلما للمؤيد أرجح
وبين ضلوعى من هواه تميمة * ستنفع لو أنّ الحمام مجلح
سلام عليه كيف دار به الهوى * الىّ فيدنو أو علىّ فينزح
ويهنيه ان مت السلو فاننى * أموت ولى شوق اليه مبرح

ولما فرغ من قراءة القصيدة قام الى موضع ثقافه وصنع اختطافه وبيده طبرزين كان ادفونش قد أهداه الى ابن عمار فأهداه هو الى المعتمد فلما سمع فتح الباب عليه وعلم أنه فى جملة من جاء اليه قبل الارض بين يديه فاسمع رأسه

الا

الأوقد درّعه انتكاسا وسقاه الحمام كاسا بضربة نظمت رأسه في الطبرزين نظم العقد وفصمت من فؤاده عرى ذلك الحقد ثم أمر به فكفن في تلك الدماء ودفن في بقية ذلك الذماء ويدل على تولى المعتمد على الله قتله بنفسه ونقله بضربته الى رمسه قول عبد الجليل وكان اليه منقطعا ولا خلاف نعمائه مرتضعا

من ذا الذى أبليه مل مدامعى * وأقول لاشلت يمين القاتل

(ذو الوزارتين القائد أبو عيسى بن لبون رحمه الله)

هو من رأس وما أنف ووكف جوده وما كف وأعاد كاسد البدائع نافقا ولم يصدر أملا خافقا وكان كثير الرفد كلفا بالوفد وكانت عنده مشاهد تزف فيها للمنى أبكار نواهد أيام لم تطرقه النوائب ولم تشب صفوه الشوائب ودهره مسعد لا ينغص أحد راحه ولا تطرق له بالغير ساحة حتى تنبه له نائم صرفه وأنحى بنكره على عرفه فارتدت على أعقابها مقاصده ونكب عنه وافده وقاصده وكانت مربيطر مطلع شمسه وموضع انسه فأخذها ابن رزين من قبضته وأقعده بعد نهضته وخدعه بالمحال وأقطعه أنكد حال فبقى ضاحيا وغدا جوه من تلك الحظوة صاحيا وله نظم تظم من المحاسن جلا وأعاد سامعه ثملا وقد أثبت منه ما يدل على نفاسة سبكه وجودة حبكه فمن ذلك ما قاله متوجعا لخطب بان عنه وظعن وأوغل في شعاب البعد وأمعن (وافر)

سقى أرضا ثووها كل مزن * وسايرهم سرور وارتياح
فما ألوى بهم ملل ولكن * صروف الدهر والقدر المتاح
سأبكى بعدهم حزنا عليهم * بدمع فى أعنته جماح

(وأخبرني الوزير أبو عامر بن الطويل) أنه كان بقصر مربيطر بالمجلس المشرف منها والبطحاء قد لبست زخرفها ودبج الغمام مطرفها وفيها حدائق ترنو عن مقل نرجسها وتبث طيب تنفسها والجلنار قد لبس أردية الدماء والراح قد ملكت أفئدة الندماء فقال (كامل)

قم يا نديم أدر على القرقفا * اوما ترى زهر الرياض مفوفا
فتخال محبوبا مدلا وردها * وتظن نرجسها محبا مدنفا
والجلنار دماء قتلى معرك * والياسمين حباب ماء قد طفا

وله أيضا يعاتب بعض اخوانه (طويل)

لحى الله قلبى كم يحن اليكم * وقد بعتم حظى وضاع لديكم
اذا نحن أنصفنا كم من نفوسنا * ولم تنصفونا فالسلام عليكم

(وله) وقد كتب اليه الكاتب أبو الحسن راشد بن سليمان بالقويل وقد كان عهد اليه الآن يخاطبه الا بالتسويل (كامل)

ثقلت روحك أيما ثقيل * فيما قصدت له من التقويل
هذا على أنى عهدتك خفة * كرسول برحمل عند عليل

فراجعه الكاتب أبو الحسن المذكور (كامل)

لا والذى ولاك ألوية الندى * وحباك من خطط العلا بجزيل
ما حدت عن سنن الكتابة عامدا * ولو اعتمدت فعلت فعل نبيل
لكن بدا لى أن كرت ما عودت * فتبرعت بكتابة التقويل
ولرب سر كامن عند امرئ * أبداه بعض فعاله المجهول
لله رقعتك التى ضمنتها * زهر النهى من لفظك المعسول
نظم وعيشك لو غدا نثر الما * قدرته الامن التنزيل
وافى به من لو أمنت صدوده * عن عثرت يديه بالتقبيل

(وله يرثى ذا الوزارتين) أبا محمد أخاه وقد توفى ولورقة فى ملكه ومنتظمة فى سلكه (خفيف)

قل لصرف الحمام كم ذا التناهى * فى تلقيك لى بهذى الدواهى
كان فى عامر وأرقم ما يكفينى فهلا أبقيت عبد الاله
فيه قد كنت بعد استدفع الخطب وأسطو على العدى وأباهى
أى شمس وافى عليها أفول * فل غربى عزائى وتواهى

(وشرب مع الوزراء والكتاب) ببطحاء لورقة عند أخيه وابن اليسع غائب عنهما فى عشية تجود بذمائها ويصوب عليها دمع سمائها والبطحاء قد خلع عليها سندسها ودرها نرجسها والشمس تنفض على الربا زعفرانها والانوار تغمض أجفانها فكتب الى ابن اليسع (بسيط)

لو كنت تشهد يا هذا عشيتنا * والمزن يسكب أحيانا وينحدر
والارض مصفرة بالمزن كاسية * أبصرت تبرا عليه الدر ينتثر

وله أيضا (بسيط)

يارب ليل شربنا فيه صافية * حمراء فى لونها تنفى التباريحا
ترى الفراش على الاكواس ساقطة * كانما أبصرت منها مصابيحا

(وله بعد ما نقل) عن ملكه وأخذ سلطانه من سلكه يحن الى لياليه السالفة وظلال انسه الوارفة ويتذكر لذته ويشكر اطراح الزمان له ونبذته (بسيط)

ياليت شعرى وهل فى ليت من أرب * هيهات لاتنقضى من ليت آراب
وأين تلك الليالى اذ تلم بنا * فيها وقد نام حراس وحجاب
أين الشموس التى كانت تطالعنا * والجو من فوقه لليل جلباب
تهدى الينا لجينا حشوه ذهب * أنامل العاج والاطراف عناب

(وله وقد أرهقته) الرزايا وألحت وهمت عليه سحائبها وسحت وبات له الأسى ملء الجوانح وعوض بالبارح من السانح فانصرمت آماله واستبهمت اعماله فأكثر التشكى من زمنه وأظهر جوى محنه وأصبح يبدى الضجر ويكاد يكى الحجر ويندب أيامه ولياليه ويذكر عاطل عيشه وحاليه (طويل)

خليلىّ عوجا بى على مستقرّ اللوى * لعل رسوم الدار لم تتغيرا
فأسأل عن ليل تولى بأنسنا * وأندب أياما تقضت وأعصرا
ليالى اذ كان الزمان مسالما * واذ كان غصن العيش فينان أخضرا
واذ كنت أسقى الراح من كف أغيد * يناولنيها رائحا ومبكرا
أعانق منه الغصن يهتز ناعما * وألثم منه البدر يطلع مقمرا
وقد ضربت أيدى الامان قبابها * علينا وكف الدهر عنا وأقصرا
فما شئت من لهو وما شئت من دد * ومن مبسم يجنيك عذبا مؤشرا
وما شئت من عود يغنيك مفصحا * بما لك شوق بعد ما كان أقصرا
ولكنها الدنيا تخادع أهلها * تغر بصفو وهى تطوى تكدرا
لقد أوردتنى بعد ذلك كله * موارد ما ألفيت عنهن مصدرا
وكم كابدت نفسى لها من ملمة * وكم بات طرفى من أساها مسهرا
خليلى مابالى على صدق عزمتى * أرى من زمانى ونية وتعذرا
ووالله ما أدرى لاى جريمة * تجنى ولا عن أى ذنب تغيرا
ولم ألف عن كسب المكارم عاجزا * ولا كنت فى نيل أنيل مقصرا
لئن ساء تمزيق الزمان لدولتى * لقدرد من جهل كثيرا وبصرا

وأيقظ من نوم الغرارة نائما * وأكسب علما بالزمان وبالورى

(وله) يأنف من المقام على ما رتب لهم من الاجراء ويكلف بالادلاج والاسراء (طويل)

ذروني أجب شرق البلاد وغربها * لأشفي نفسي أو أموت بداء
فلست كمن أضحى برضيه مربض * ومطعم ولكني عقاب سماء
تحوم لكيما تدرك الخصب حولها * أمام أمام أو وراء وراء
وكنت اذا ما بلدة لي تنكرت * شددت الى أخرى مطي اباء
وسرت ولا ألوي على متعذر * وصممت لا أصغى الى النصحاء
كشمس تبدت للعيون بمشرق * صباحا وفي غرب أصيل مساء

(وله) وقد أعرض عن الدنيا وخبالها ونفض يده عن حبالها (بسيط)

نفضت كفي عن الدنيا وقلت لها * اليك عني فما في الحق أغتبن
من كسر بيتي لي روض ومن كتبي * جليس صدق على الاسرار مؤتمن
أدرى به ما جرى في الدهر من خبر * فعنده الحق مسطور ومختزن
وما مصابي سوى موتي ويدفنني * قوم وما لهم علم بمن دفنوا

(الوزير الكاتب أبو عمرو الباجي رحمه الله تعالى)

بحر لا يعطي نجمه ولا تغاص لجبه يقذف لسانه لؤلؤه المكنون ويصرف من بدائعه الانواع والفنون فلا يجارى في ميدان الاحسان ولا يبارى في بلاغة براعة ولسان يقصر كل بحر عن مداه ويظهر الاعجاز فيما أظهره من البيان وأبداه لاح وسماء المعالي قد تزينت بنجومها وسمع بذكرها ولم ترم برجومها فظهر أوان الظهور وساد ولم يخش في موضع نفاق الفضل الكساد والناس اذ ذاك أعلام والدنيا تحية وسلام فتهادته الرياسات وقادته تلك السياسات فانتقل اليهم انتقال الشمس في مطالع السعود ومقل روض الاماني ناضر العود واستدعاه المقتدر بالله فعرف محله وأحله من الحظوة لديه ما أحله فاستحسن ملكه واستطابه وملأ بعوارفه عيابه ووطابه ولقي من أهل سرقسطة كل ضاحك بسام عاضد كالحسام برعيه مبرته وربه متهللة أسرته فلما رحل عنهم حن اليهم أي حنين وذاب شوقا اليهم بين أرق وأنين فقال يخاطبهم (متقارب)

سلام على صفحات الكرم * على الغر والفارجات الغمم

على الهم القارعات الهموم * على الاعين الغامرات الديم
سلام شج لانقلاب المزار * نوى غربة عن جوار أمم
شجى عن نزاع يذيب الدموع * بنار الجوانح لا عن ندم
وأى الندامة من مجمع * على ما نوى همه أى هم
وهل يتلون رأى اللبيب * اذا جد فى أمره واعتزم
عزمت على رحلتى عنكم * فسرت بقلب شديد الالم
أضاحك صحبى وأطوى الفجاج * وفى كبدى لاعج كالضرم
فما انس لا انس ذاك الحباء * وذاك السناء وتلك الشيم
ودنيا بكم طلقة المجتلى * ودهرا بكم واضح المبتسم
وساعات أنس تجول النفو * س فيها مجال حمام الحرم
أحن اليكم ومن شاقه * تذكر عهد كمو لم يلم
وان كنت مغتبطا ساحبا * ذيول الرضا فى قرار النعم
وأنشر من فضلكم ما وليت * على أنه سافر كالعلم
فاروضة الحزن ذات الفنون * اذا ما الصباح عليها بسم
وقد بلل الطل أحداقها * كأن الفريد عليها انتظم
بأطيب من نفحات الثناء * أسيرها عنكم فى الامم
أروح وأغدو بها خاطبا * لدى سامعى عرب أو عجم
لدى كل معترف تابع * اذا قلت الق الى السلم
ومن حقكم شكرا لائكم * ومن حق شانئكم أن يذم

(وله يصف) مطرا نزل بعد قحط ان الله تعالى قضايا واقعة بالعدل وعطايا جامعة للفضل ومضايا يبسطها اذا شاء ترفيها وانعاما ويقبضها اذا أراد تنبيها والهاما ويجعلها القوم صلاحا وخيرا وعلى آخرين فسادا وضيرا وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد وانه بعد ما كان من امتساك الحيا وتوقف السقيا الذى ريع به الآمن ووأستطير له الساكن ورجفت الاكباد فزعا وذهلت الالباب جزعا وأذكت ذكاء حرها ومنعت السماء درها واكتست الارض غبرة بعد خضرة ولبست شحوبا بعد نضرة وكادت برود الارض تطوى ومدود نعم الله تزوى نشر الله تعالى رحمته وبسط نعمته

وأتاح منه وأزاح محنته فبعث الرياح لواقح وأرسل الغمام سوافح بماء دفق ورواء غدق من سماء طبق استهل جفنها فدمع وسح دمعها فهمع وصاب وبلها فنقع فاستوفت الارض ريا واستكملت من نباتها أثاثا وريا فزينة الارض منشورة وحلة الروض منشورة ومنة الرب موفورة والقلوب ناعمة بعد بؤسها والوجوه ضاحكة بعد عبوسها وآثار الجزع ممحوة وسور الحمد متلوة ونحن نستزيد الواهب نعمة التوفيق ونستهديه فى قضاء الحقوق الى سواء الطريق ونستعيذ به من المنة أن تصير فتنة ومن المنحة أن تعود محنة وهو حسبنا ونعم الوكيل

﴿ ذو الوزارتين الكاتب أبو بكر بن القصيرة رحمه الله ﴾

غرة فى جبين الملك ودرة لاتصلح الا لذلك السلك باهت به الايام وتاهت فى يمينه الاقلام واشتملت عليه الدول اشتمال الكمام على النور وانسربت اليه الامانى انسراب الماء الى الغور وأتت الدولة اليوسفية ففازت به قداحها وأورى زنده اقتداحها فقال فيها ماشاء وأقال من عثار الانشاء بعد خطوب أصارته طريدا وقطعت منه وريدا ومازال يرقع أخلاقها ويتمم أكنافها ويسم بيانه غفلها ويتمم فرضها ونفلها حتى طواه ضريحه وركدت ريحه فسقط بسقوطه نجم البيان وأضحى داثر الاثر خفى العيان وقد أثبت فى هذا التصنيف من كلامه العالى المنيف ماتتخذه سميرا وتجعله على الكلام أميرا فمن ذلك رقعة راجعنى بها وانتهى أعزك الله لك أحرف كأنها الوشم فى الخدود تميس فى حلل ابداعها كالغصن الاملود وانك لسابق هذه الحلبة لايدرك غبارك فى مضمارها ولايضاف سرارك الى أبدارها وما أنت فى أهل البلاغة الا نكتة فلكها ومعجزة تتشرف الدول بتملكها وما كان أخلقك بالتنديك وملك يقتنيك ولكنها الخطوط لاتعتمد من تتجمل به وتتشرف ولاتقف الاعلى من توقف ولو اتفقت بحسب الرتب لما ضربت الاعلاك قبابها ولاخلعت الاعلاك أثوابها وأما ماعرضته فلا أرى انفاذه قواما ولا أرضى لك أن تترك عيون آرائك نياما ولو كففت عن هذا الخلق وانصرفت عن تلك الطرق لكان أليق بك واذهب مع حسن مذهبك فقديما أوردت الانفة أهلها موارد لم يحمدوا اصدرها والموفق من أبعدها وهجرها وسأستدرك الامر

قبل فواته وأرهف لك مفلول شباته فتوقف قليلا ولا تنفذ فيه دبيرا ولا قبيلا حتى ألقاك هذه العشية وأعلمك بما تبنى عليه القضية ان شاء الله (وكتب) عن أمير المسلمين وناصر الدين أيده الله الى طائفة متعدية أما بعد يا أمة لا تعقل رشدها ولا تجرى الى ما تقتضيه نعم الله عندها ولا تقلع عن أذى تفشيه قربا وبعدا جهدها فانكم لا ترعون لجار ولا لغيره حرمة ولا ترقبون فى مؤمن الا ولا ذمة قد أعماكم عن مصالحكم الاشر وأضلكم ضلالا بعيدا البطر ونبذتم المعروف وراء ظهوركم وأتيتم ما ينكر مقتديا فى ذلك صغيركم بكبيركم وخاملكم بمشهوركم ليس فيكم زاجر ولا منكم الا غوى فاجر وما نرى الا أن الله عز وجل قد شاء مسخكم وأراد نسخكم وفضحكم فسلط عليكم الشيطان يغركم ويغريكم ويزين لكم قبائح معاصيكم وكأنكم به قد نكص على عقبيه عنكم وقال انى برئ منكم وتركتكم فى صفقة خاسرة لا تستقيلونها ان لم تتوبوا فى دنيا ولا آخرة وحسبنا هذا اعذارا لكم وانذارا قبلكم فتوبوا وأنيبوا وأقلعوا وانزعوا واقتصوا من أنفسكم كل من وترتموه وأنصفوا جميع من ظلمتموه وغششتموه ولا تستطيلوا على أحد بعد ولا يكن الى أذاه صدر ولا ورد والا عاجلكم من عقوبتنا ما يجعلكم مثلا سائرا وحديثا غابرا فاتقوا الله فى أنفسكم وأهليكم واياكم والاغترار فانه يورطكم فيما يرديكم ويسوقكم الى ما يشمت بكم أعاديكم وكفى بهذا تبصرة وتذكرة ليست لكم بعدها حجة ولا معذرة ولا توفيق الا بالله تعالى (وكتب عنه رحمه الله) الى صاحب قلعة حماد وصل كتابك الذى أنفذته من وادى منى صادرا عن الوجهة التى استظهرت عليها بأضدادك وأجحفت بطارفك وتلادك وأخفقت فيها من مطالبك ومرادك فوقفنا على معانيه وعرفنا المصرح به والمشار اليه فيه ووجدناك تجعل سيئك حسنا وتنكر لك معروفا وخلافك صوابا بينا وتقضى لنفسك بفلج الخصام وتوليها الحجة البالغة فى جميع الاحكام ولم تتأول أن وراء كل حجة أدليت بها ما يدحضها وازاء كل دعوى أبرمتها ما ينقضها وتلقاء كل شكوى صححتها ما يعرضها ولولا استنكاف الجدال واجتناب ترديد القيل والقال لقصصنا فصول كتابك أولا فأولا وتقريناها تفاصيل وجملا وأضفنا الى كل فصل ما يبطله ويخجل من ينتحله حتى لا يدفع حجته دافع ولا ينبو عن قبول أدلته راء ولا سامع وها نحن

نقد لك الله الذى لا تقوم السماء والارض الا بأمره ألم تكن عند ما نزغ الشيطان بينك وبين فلان ونفاقم الشنآن قد وقدنا على ما كان بالخالة من اقلاق وتأخرنا عما كانت النصبة تستقدم اليه من بدار أو سباق ولم نغمد الجهة حتى أمدادها ولا كثرنا وفق ما كان يلزم من جماهير اعدادها ولا عنانا غير جهاد المشركين ولا أقبلنا الا على ما يحوط حريم المسلمين رجاء ان يثوب استبصار أو يقع اقصار وأنت خلال ذلك تحتفل وتحتشد وتقوم وتقعد وتبرق غيظا وترعد وتستدعى ذؤابات العرب وصعاليكهم من مبتعد ومقترب فتعطيهم ما فى خزائنك جزافا وتنفق عليهم ما كثره أوائلك اسرافا وتضم أهل العشرات مئين وأهل المئين آلافا كل ذلك لتعتضد بهم وتعتمد على تعصبهم وتعتقد أنهم جنتك من المحاذير وحمائك من المقادير وتذهل عما فى الغيب من أحكام العزيز القدير (وكتب عنه رحمه الله الى أهل مكناسة) أما بعد أصلح الله من أعمالكم ما اختل وأصح من وجوه صلاحكم ما اعتل فقد بلغنا ما أنتم بسبيله من التقاطع والتدابر وما ركبتم رؤسكم فيه من التنازع والتهاتر قد استوى فى ذلك عالمكم وجاهلكم وصار شرعا سواء فيه نبيهكم وخاملكم لا تأمرون رشدا ولا تطيعون مرشدا ولا تأتون سددا ولا تنحون مقصدا ولا تنتهون ان لم تنزعوا عن غوايتكم أبدا فلا يسوغ لنا ان نترككم فوضى وندعكم سدى ولا بد لنا من أخذ فئاتكم بثقاف اما ان تستقيم واما ان تنشظى قصدا فتوبوا من ذنب التباغض بينكم والتباين واعصوا شياطين التحاقد والتشاحن وكونوا على الخير أعوانا وفى ذات الله اخوانا ولا تجعلوا للعقوبة عليكم يدا ولا سلطانا واعلموا ان من نزغ بينكم بشر أو نفث فى فتنة بضر وقام عندنا عليه الدليل واتجه اليه السبيل أخرجناه عنكم وأبعدناه منكم فاتقوا الله وكونوا مع الصادقين ولا تتولوا عن الموعظة وأنتم معرضون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون وحسبنا هذا وبالله التوفيق

* (الوزير الكاتب أبو المطرف ابن الدباغ رحمه الله) *

أحد اعلام الوزارة المتسمين بأزيائها المرتسمين فى زمام علمائها المشتهرين بالبلاغة المقتصرين على حسن التناول فى كل اراغة الا ان الايام تعدت على آماله وأغرت صروفها بكماله فلم تلح أمانيه حتى غربت ولا اتفقت له حال الا اضطربت وصل

الى المعتمد فكلف به وألف حسن مذهبه ثم نسبت اليه معائب وانبرى له شانئ وعائب حسدا لخصاله وجدا في زواله وانفصاله فانف من المقام بذلك المثوى والاحتمال لتلك البلوى فانتقل الى المتوكل وحل منه بالطف محل وألقى اليه أزمة العقد والحل ثم رأى ان يكر الى سرقسطة بلده ويقر فيها مع أهله وولده فلما وصل اليها استدعى الى احدى حدائقها في ليلة حسبها من منح الدهر وتنسم أنسها أعطر من نفح الزهر فلما أغفى دب اليه أحد عداه فوجأ أوداجه بمداه وسقى الارض من نجيعه وتركه لا يستيقظ من هجوعه وكان كثيرا ما يشكى في كتبه تشكيا يدل على ضيق صدره وسمو قدره فمن ذلك رقعة كتبها الى ابن حسداى وهي كتابي وانا كما تدريه غرض للايام ترميه ولكن غير شاك من آلامها لان قلبي في أغشية من سهامها فالنصل على مثله يقع والتألم بهذه الحالة قد ارتفع وكذلك التقريع اذا تتابع هان والخطب اذا اشتد لان والحوادث تنعكس الى أضدادها اذا تناهت في اشتدادها وتزايدت على آمادها (وكتب في مثل ذلك) كتابي أعزك الله وعندي من الدهر ما يهد أيسره الرواسي ويفتت الحجر القاسي ومن أجلها قلب محاسني مساويا وانقلاب أوليائي أعاديا وقصدي بالبغضة من حيث المقة واعتمادي بالخيانة من جانب الثقة فقس بهذا على سواه وعارض به ما عداه ولا تعجب الا لثبوتي لما لم يثبت له الحلق السرد وبقائي على ما لا يبقى عليه الحجر الصلد ولا أطول عليك فقد غمر على حتى شرابي وأوحشني ثيابي فها أنا أتهم عياني وأستريب من بناني وأجني الاساءة من غرس احساني وقاتل الله الحطيئة في قبره فطالما غرّ بقوله في شعره (بسيط)

من يزرع الخير يحصد ما يسر به * وزارع الشر منكوس على الراس

انا والله فعلت خيرا فعدمت جوازيه وما أحمدت عوائده ومباديه وزرعته فلم أحصد الا شرا ولا اجتنيت منه الا ضرا وهكذا جدي فما أصنع وقد أبى القضاء الا ان أفني عمري في بوس ولا أنفك من نحوس وياليت باقيه قد انصرم وغائب الحمام قد قدم فعسى أن تكون بعد الممات راحة من هذا النصب وسلوة من هذه الخطوب والنوب فدع بنا هذا التشكي فالدهر ليس بمعتب من يجزع وما في الايام رجاء ولا مطمع (وله فصل من تعزية) من أي الثنايا طلعت النوائب وأي حمى رتعت فيه المصائب فواها لحشاشة الفضل

أرصدها الردى غوائله وبثيثة الكرم جرعها الدهر كلاكله وياحسرتا للجة المواهب كيف سجرت والشمس المعالى كيف كورت ويالهفى على هضبة الحلم كيف زلزلت وحدة الذكاء والفهم كيف فلت فانا لله أخذا بوصاياه وتسليما لقضاياه (وله فصل) لئن كانت الأيام تثنيك فالأمانى تدنيك ولئن كنت محجوبا عن الناظر فانك مصور فى الخاطر أناجيك بلسان الضمير وأعاطيك سلاف السرور المستدير (وله) وردلى كتاب خلته للطفه سماء وتوهمته من خفته هباء وفضضته عن أسطر فيها سواد لم يتحصل لى منه مستفاد فتعوذت برب الفلق من شر ذلك الغسق (وله الى ابن حمدان) كنت عهدتك لا تمتنع من مداعبة من يداعبك ولا تنقبض عن مراجعة من يخاطبك فمن أين حدث هذا التعالى وما سبب هذا التغالى عرفنى جعلت فداك ما الذى عداك ولعلك رأيت الحضرة قد خلت من قاض فطمعت فى القضاء وجعلت تأخذ نفسك بأهبته وتترشح لرتبته وأنت الآن لا شك تتفقه فى الاحكام وتتطلع شريعة الاسلام وهبك تحليت بهذا السمت وتهيأت لذلك الدست ما تصنع فى قصة السبت دع هذا التخلق وارجع الى أخلاقك وعد فى اطراقك وتجاهل ما قبلك جاهل وتحامق مع الحمقاء وأنت عاقل فلا تمتنع لذة الاسترسال ولا تتبع الدنيا بجد منك فى سائر الاحوال فما أشبه ادبارها بالاقبال وكثرتها بالاقلال (وله يستدعى خمرا) أوصافك العطرة ومكارمك المشتهرة تنشط سامعها من غير توطية فى اقتضاء ما عرض من أمنية فالراح من قلبى محل لا تصل اليه سلوة ولا تعترضه جفوة الا ان معينها قد جف وقطينها قد خف فما توجد للسباء ولو بحشاشة الحوباء فصلنى منها بما يوازى قدرى ويقوم له شكرى فان قدرك أرفع من ان تقتضى حقه زاخرات البحار ولو سالت بذوب النضار لا بصافية العقار (وله يستدعى الى مجلس أنس) يومنا يوم تجهم محياه ودمعت عيناه وبرقعت شمسه الغيوم ونثرت صباه لؤلؤه المنظوم وملأ الخافقين دخان دجنه وطبق بساط الأرض هملان جفنه فأعرضنا عنه الى مجلس وجهه كالصباح المسفر وجلبابه كالرداء المحبر وحليه يشرق فى ترائبه وندّه يعبق فى جوانبه وطلائع أنواره تظهر وكواكب ايناسه تزهر وأباريقه تركع وتسجد وأوتاره تنشد وتغرد وبدوره تسحب أنجمها محيية وتقبل أناملها مفدّية وسائر نعمها تأخذ وهاتها وأملنا ان تحث خطاك حتى يلوح سنالك

ونشتفى

وتشتفي بمرآك (وله فصل) ورد كتابك فنور ما كان بالاعتاب داجيا وحسن مشافهتها عنك ومناجيا واسترد الى الحلة بهاءها وأجرى فى صفحة الصلة ماءها وعند شدة الظما يعذب الماء وبعد مشقة السهر يطيب الاغفاء ورأيت ما وعدتنى به من الزيارة فسرنى سرورا بعث من اطرابى وحسن لى دين التصابى فارتحت كانما أدار على المدام مديرها وجاوب المثانى والمثالث زيرها ولا تسأل عن حال استطاعتها فهى كاسفة بالى كاشفة عن خبالى لصبح لاح من خلال ذوائبى وتنفس فى ليل لمتى فادجى مطالع أعمالى وأرانى مصارع آمالى (وله فصل) ياليت شعرى كيف أتغير على بعضى وامنحه قطيعتى وبغضى (وله فصل) طلع علينا هذا اليوم يكاد يقطر من الغضارة صحوة ويقبس من الانارة جوه ويحيى الرديم اعتداله ويصبى الحليم جماله فلقينا زهرته وضمتنا بهجته ونضرته فى روضة أرضعتها السماء شآبيبها ونثرت عليها كواكبها ووفد عليها النعمان بشقيقه واحتل فيها المندى بخلوقه وبكر البهابل برحيقه فالجمال يثنى بحسنه طرفه والنسيم يهز لانفاسه عطفه وتمنينا ان يتبلج صبحك من خلال فروجه وتحل شمسك فى منازل بروجه فيطلع علينا الانس بطلوعك وتهديه بوقوعك ولن نعدم نورا يحكى شمائلك طيبا وبهجة وراحا تخالها خلالك صفاء ورقة وألحانا تثير أشجان الصب وتبعث أطراب القلب وندى من ترتاح اليهم الشمول وتتعطر بارجهم القبول ويحسد الصبح عليهم الاصيل ويقصر بجالستهم الليل الطويل

(الوزير الفقيه الكاتب أبو القاسم بن الجد رحمه الله تعالى)

راضع ثدى المعالى المتواضع العالى آية الاعجاز فى الصدور والاعجاز الذى جمع طبع العراق وصنعة الحجاز وأقطع استعارته جانبى الحقيقة والمجاز فأبداها شمسا وأهداها الاجساد معانيه نفسا اذا كتب ملأ المهارق بيانا وأرى السحر عيانا وله أدب لو تصور شخصا لكان بالقلوب مختصا ولو كان نورا لكان له السماك نجدا او المجرة غورا الى الاتسام بالوقار والحلم والافتنان فى أنواع العلم أقام زمنا معتكفا على دواوينه كلفا بالعلم وأفانينه مشتغلا بالدراسة معتزلا للرياسة والملك يضم ضلوعه على علائه ويرقب طلوعه فى سمائه الى ان استدعاه أمير المسلمين فأجاب بحكم الطاعة وأناب وأراه الغناء المستعظم والمناب بكتب تهزم الكتائب بأغراضها وترزق العيون باعاضها وقد أثبت من نثره البارع

ونظمه العذب المشارع ما هو أفتن للاسماع من مطرب السماع وألذ في الألباب من مناجاة الأحباب (فمن ذلك رقعة) راجعني بها عن معاتبة له في توقف عن مراجعة وهي لو أطعت نفسي أعزك الله بحسب هواها وتحمل قواها لما خططت طرسا ولا سمعت للقلم جرسا ولبثت في حجر العطلة مستريحا ولزمت بيت العزلة سادسا طريحا ولكني بحكم الزمان مغلوب وبحقوق الاخوان مطلوب فلا أجد بدا من اعمال الخاطر وان غدى طليحا وتناهى تبليحا وناطلع على تطالع خطابك الكريم في صورة المقتضى الغريم تعين الاداء ووجب الاعداء واتصل بالتلبية النداء وقد كنت تغافلت عن الكتاب الاول تغافل الساكن الى العذر المتأول فهزني من الثاني كلمات مؤلمات ولكنها في وجه الحسن والاحسان سمات لم توجد لي الى المعذرة طريقا ولا سوغتني في النظرة ريقا فتكلفت هذه الاسطار تكلف المضطر حفزه ثقل البر وأنت بفضلك تقبل وجيزها ولا تعجل بأن تجيزها والله يطيل بقاءك محمود النصابة ولا يخلي دعوتي لك من الاجابة (وكتب عن أمير المسلمين وناصر الدين أيده الله الى أهل اشبيلية) كتابنا أبقاكم الله وعصمكم بتقواه ويسركم من الاتفاق والائتلاف الى ما يرضاه وجنبكم من أسباب الشقاق والخلاف ما يسخطه ويأباه كتبناه من حضرة مراكش حرسها الله لست بقين من جمادى الأولى سنة اثنتي عشرة وخمسمائة وقد بلغنا ما تأكد بين أعيانكم من أسباب التباعد والتباين ودواعي التحاسد والتضاغن واتصال التباغض والتدابر وتمادي التقاطع والتهاجر وفي هذا على فقهائكم وصلحائكم مطعن بين ومغمز لا يرضاه مؤمن دين فهلا سعوا في اصلاح ذات البين سعي الصالحين وجدوا في ابطال أعمال المفسدين وبذلوا في تأليف الآراء المختلفة وجمع الاهواء المفترقة جهد المجتهدين ورأينا والله الموفق للصواب ان نعذر اليكم بهذا الخطاب فاذا وصل اليكم وقرئ عليكم فاقمعوا الأنفس الامارة بالسوء وارغبوا في السكون والهدوء ونكبوا عن طريق البغي الذميم المشنوء واحذروا دواعي الفتن وعواقب الاحن وما يجر داء الضمائر وفساد السرائر وعمى البصائر ووخيم المصائر وأشفقوا على أديانكم وأعراضكم وثوبوا الى الصلاح في جميع أغراضكم وأخلصوا السمع والطاعة لوالي أموركم وخليفتنا في تدبيركم وسياسة جمهوركم أخينا الكريم علينا أبي اسحق ابرهيم أبقاه الله وأدام عزه بتقواه

واعلموا

واعلموا ان يده فيكم كيدنا ومشهده كشهدنا فقفوا عندما يحضكم عليه ويدعوكم اليه ولا تخلفوا في أمر من الامور لديه وانقادوا أسلس انقياد لحكمه وعزمه ولا تقيموا على نهج عناد بين حده ورسمه والله تعالى يفيء بكم الى الحسنى وييسركم الى ما فيه صلاح الدين والدنيا بقدرته وله من قصيدة (طويل)

اني راق مرأى للحسان ومسمع * فخذ ناولك الغراء ابهى وأمتع
عروس جلاها مطلع الفكر فانثنت * اليها النجوم الزاهرات تطلع
زففت بها بكرا تضوع طيبها * وما طيبها الا الثناء المضوع
لها من طراز الحسن وشى مهلل * ومن صنعة الاحسان تاج مرصع

(وله فصل في جانب الفقيه الاجل أبي الفضل بن عياض الى ابن حمدين رحمه الله) أما وكنف برك لمن أمك من أهل الفضل ممهد وجفن رعايتك لهم مسهد ومنزل حمايتك بهم متعهد فكل وعر يلقونه في سبيل قصدك مستسهل ولا يروى بهم دونك منهل ولا يضل بهم وأنت العلم مجهل ومن رأى أن يقتحم نحوك ظهري لجة ومحجة ويقرن في أم كعبة فضلك بين عمرة وحجة ويرحل الى حضرتك المألوفة مهاجرا ويعتقدها في طلب العلم تاجرا ليجتهد في جمعه وكسبه اجتهاد مغترب ويملأ من بضائعه وفوائده وعاء غير سرب ومذهبه الاقتباس من أنوارك والاتباس برهة من الدهر بجوارك والاستئناس بأسرة تبشرك ومسرة بجوارك فلان وله في الفضل مذاهب يبهرج عندها الذهب وعنده من النبل ضرائب لا يفارق زندها اللهب وستقربه فتستغربه وتختبره فتكبره ان شاء الله وله مراجعا (طويل)

سلام كأنفاس الاحبة موهنا * سرت بشذاها العنبرى صبا نجد
سلام كايماض الغزالة بالضحى * الى الروضة الغناء غب الحيا العد
على من قضى اني بعجز شعره * فأعجز أدنى عفوه منتهى جهدى
غزانى من حولك اللسان بلامة * مضاعفة التأليف محكمة السرد
دلاص من النظم البديع حصينة * ترد سنان النقد منثلم الحد
عليها من الاحسان والحسن رونق * كما ديس متن السيف من صدا الغمد
وفيها على الطبع الكريم دلالة * كما افترضوا السقط عن كرم الزند
أبا عامر لازال ربعك عامرا * بوفد الثناء الحر والسودد الرغد
لقد جمتنى في حومة القول خطة * لففت لها رأسى حياء من المجد

(وكتب عن أمير المسلمين الى ابن حمدين فى أمر أبى الفضل بن عياض المذكور) وفلان أعزه الله بتقواه وأعانه على مانواه ممن له فى العلم حظ وافر ووجه سافر وعنده دواوين أغفال لم تفتح لها على الشيوخ أقفال وقصد تلك الحضرة ليقيم أودمتونها ويعالج رمد عيونها وله البنامانه مرعية أوجبت الاشادة بذكره والاعتناء بأمره وله عندنا مكانة حفية تقتضى مخاطبتك بخبره وانهاضك الى قضاء وطره وأنت ان شاء الله تسدد عمله وتقرب أمله وتصل أسباب العون له ان شاء الله (وله) مراجعا الى أحد الشعراء (طويل)

أما ونسيم الروض طاب به فجر * وهبت له من كل زاهرة نشر
تحامى له عن سره زهرة الربا * ولم تدر أن السر فى طيه نشر
ففى كل مهب من أحاديث طيبه * عمائم لم يعلق بحاملها وزر
لقد فغمتنى من ثنائك نفحة * ينافسنى فى طيب انفاسها العطر
تضوع منها العنبر الورد فانثنت * وقد أوهمتنى ان منزلها السحر
سرى الكبر فى نفسى لها ولربما * تجانف عن مسرى ضرائبى الكبر
وشبت بها سمعى من الراح مطربا * تخيل لى ان ارتياحى بها سكر
أبا عامر أنصف أخاك فانه * واياك فى محض الهوى الماء والخمر
أمثلك يبغى فى سمائى كوكبا * وفى جوك الشمس المنيرة والبدر
ويلتمس الحصباء فى نهب الحصى * ومن بحرك الفياض يستخرج الدر
عجبت لمن يهوى من الصفر تومة * وقد سال فى أرجاء معدنه التبر

(وكتب عن أمير المسلمين الى أهل سبتة) بولاية الامير أبى زكريا يحيى ابن الامير أبى بكر أيده الله ورحم أباه كتابنا أبقاكم الله وأكرمكم بتقواه ويسركم لما يرضاه وأسبغ عليكم نعماه وقد رأينا والله بفضله يقرن جميع آرائنا بالتسديد ولا يخلينا فى كافة انحائنا من النظر الحميد أن نولى أبا زكريا يحيى بن أبى بكر محل ابننا الناشئ فى حجرنا أعزه الله وسدده فيما قلدناه اياه من مدينتى فاس وسبتة وجميع أعمالهما حرسهما الله على الرسم الذى تولاه غيره قبله فأنفذنا ذلك له لما توسمناه من مخايل النجابة قبله ووصيناه بما نرجو أن يحتذيه ويمتثله ويجرى عليه قوله وعمله ونحن من وراء اختباره والفحص عن اخباره لانى بحول الله فى امتحانه وتجريبه والعناية بتخريجه وتدريبه والله عزوجل يحقق مخايلنا فيه

ويوفقه

ويوفقه من سداد القول والعمل الى ما يرضيه فاذا وصل اليكم خطابنا فالتزموا له
السمع والطاعة والنصح والمتابعة جهد الاستطاعة وعظموا بحسب مكانه منا
قدره وامتثلوا في كل عمل من أعمال الحق نهيه وأمره والله تعالى يمده بتوفيقه
وهدايته ويعرفكم يمن ولايته بعزته (وكتب عنه) أيده الله ونصره الى أبي محمد
عبد الله بن فاطمة رحمه الله كتابنا أطال الله في طاعته عمرك وأعز بتقواه قدرك
وشد في ما تولاه أزرك وعضد بالتوفيق والتسديد أمرك من حضرة مراكش
حرسها الله وقد رأينا والله ولي التوفيق والهادي الى سواء الطريق ان نجدد
عهدنا الى عمالنا عصمهم الله بالتزام أحكام الحق وايثار أسباب الرفق لما
نرجوه في ذلك من الصلاح الشامل والخير العاجل والآجل والله تعالى ييسرنا لما
يرضيه من قول وعمل بمنه وأنت أعزك الله ممن يستغني باشارة التذكرة ويكتفي
بلمعة التبصرة لما تأوي اليه من السياسة والتجربة فاتخذ الحق أمامك وملك
يده زمامك وأجر عليه في القوي والضعيف أحكامك وارفع لدعوة المظلوم حجابك
ولا تسد في وجه المضطهد المهضوم بابك ووطئ للرعية حاطها الله أكنافك وأبذل
لها انصافك واستعمل عليها من يرفق بها ويعدل فيها واطرح كل من يحيف
عليها ويؤذيها ومن سبب عليها من عمالك زيادة أو خرق في أمرها عادة أو غير
رسما أو بدل حكما أو أخذ لنفسه منها درهما ظلما فاعزله عن عمله وعاقبه في بدنه
وألزمه رد ما أخذ متعديا الى أهله واجعله نكالا لغيره حتى لا يقدم منهم أحد على
مثل فعله ان شاء الله وهو تعالى ولي تسديدك والملي بعضدك وتأييدك لا اله
غيره ولا خير الا خيره (وله عنه الى أهل غرناطة) كتابنا عصمكم الله بتقواه
ويسركم لما يرضاه وجنبكم ما يسخطه ويتحاماه من حضرة مراكش حرسها الله
يوم الجمعة التاسع عشر من شهر الصوم المعظم سنة سبع وخمسمائة وقد اتصل
بنا أنكم من مطالبة فلان على أولكم وفي عنفوان عملكم وانه لا يعدم تشغيبا
وتأليبا من قبلكم فالى متى تلحون في الطلب وتجدون في الغلب وتقرعون
النبع بالغرب لقد آن لجمرتكم في أمره ان تطفأ وللنائرة بينكم ان تهدأ ولذات
بينكم أن تنصلح ولوجوه المراشد قبلكم ان تتضح فاذا وصل اليكم خطابنا هذا
فاتركوا متابعة الهوى واسلكوا معه الطريقة المثلى ودعوا التنافس على حطام
الدنيا وليقبل كل واحد منكم على ما يعنيه ولا يشتغل بما ينصبه ويعنيه ولا بد

لكل عمل من أجل ولكل ولاية من غاية وان يسبق نفى أناه واذا أراد
الله أمرا سناه وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون
وفقكم الله لما فيه صون أديانكم واعراضكم وتسديد أنحائكم وأغراضكم بمنه
(وكتب أعزه الله) مرحبا بك أيها البر الفاتح والروض النافح فما أحسن
توبلك وأعطر تأرجك لقد فتحت بانبساطه بابا طالما كنت له هيابا ورفعت
حجابا تزلزل قلبى وجابا ومازلت أحوم عليه شرعة فلا أسيغ منها جرعة
وأغازلها أملا فلا أطيقها الهاعملا وألاحظها أمدا أذوب دونها كمدا

وفى تعب من يحسد الشمس نورها * ويجهد أن يأتى لها بضريب

الى ان ورد فى خطابك الخطير مشتملا على نظم من الكلام رائق الاعلام يقرب
من الافهام ويبعد نيله فى الاوهام قد أرهفت نواحيه بالتهذيب وطرزت
حواشيه بكل معنى غريب وحشيت معانيه باللفظ الرائع المهيب فازددت به
تهيبا ورعبا وعاينت منه مركبا صعبا وقلت التغافل عن الجواب أولى بالصواب
وان ألممت بالجفاء وقابلت الوفاء بالقفاء اذ ليس بلبيب من يعاوض السيل بوشل
ويناهض التشمير بفشل ويطاول الفيل بثلو متشل ولا بأريب من يقيس الشبر
بالباع والمد بالصاع والجبان بالشجاع والقطوف بالوساع فمن طلب فوق طاقته
افتضح ومن تعسف الطرق النازح رزح ومن سبح فى البحر كم عسى ان يسبح
لا جرم أنه اقتضانى فى المراجعة صديق لنا كريم لم يلتفت الى معذرة ولا سمح بنظرة
فتكلفتها بحكم عزمته تحت فادح حصر ونازح بصر فقد يكدى على عملك الخاطر
ويخوى النجم الماطر وربما عاد الانسان فى بعض الاوقات لكنا والجواد كودنا
وبحر القريحة ثمدا وحسام الذهن معضدا فان تفضلت بالاغضاء وسامحت فى
الاقتضاء سامت لك فى اليد البيضاء وبرزت لشكرك فى الفضاء واجتليت منك
أدام الله عزك فى معنى تعذر تلاقينا عند قرب تدانينا فصولا حسانا حسبتها
برهانا ورأيت بها السحر الحلال عيانا ولئن اعترض عائق الزمان دون ذلك
الامل وقد عارضنا من أمم وصار أدنى من يد لفم فان نفوسنا بحمد الله فى
المقاصد والاغراض متلاقية على موارد الاخلاص والامحاض والله تعالى
يحفظ جواهرها من الاعراض ويصونها من الانتكاث والانتقاض بمنه وطوله انه
على كل شىء قدير وبيده الامر والتدبير واما ماجلاه من صورة الود فى معرض

الجد فقد ثوى بين الجوانح محلا لا يسوم الدهر عقده حلا ولا يزال جفني في رعيه مسهدا وقلبي لصونه ممهدا ان شاء الله وأقرأ عليك يا سيدي المعظم في خلدي سلاما شريف النصاب كريم الاحساب والسلام الاتم الاعم ما طلعت الانجم وتضوّع المسك الاحم على سيدنا الاعظم ورحمة الله وبركاته

(ذو الوزارتين المشرف أبو بكر محمد بن أحمد بن رحيم أعزه الله)

رجل الشرق سوددا وعلاء وواحده اشتمالا على الفضل واستيلاء استقل بالنقض والابرام وأوضح رسم المجاملة والاكرام فله الشفوف في المجد والخفوف الى الوفد تجتليه بساما وتنتضيه حساما ان واخاك أبرم عقد اخائه وأعفاك من زهوه وانتخائه مع أدب بزخر بحره وتتزين به لبة الزمان ونحره وسجية خلصت خلوص التبر ونفس سلت من الخيلاء والكبر تتهاداه الدول تهادي الروض للنسيم وتفتقر اليه افتقار المصراع الى القسيم فيطلع بآفاقها طلوع الشمس وينشر سيرها الجيدة من الرمس قد أمنت غوائله وحسنت أواخره وأوائله وبنو رحيم من أعلام الشرق في القديم والحديث وعنهم يؤثر أطيب الحديث اتصلوا في الفضل اتصال الشؤبوب واتسقوا اتساق الانبوب على الانبوب وقد أثبت له ما تشفه رقا وتبصر له في سماء الاحسان شروقا (فمن ذلك) قوله من قصيدة (بسيط)

تفديك من منزل بالنفس واللذات * كم لي بمغناك من أيام لذات
تجنى بك العيش والآمال دانية * أعوام وصل قطعناها كساعات
نسقي لديك اغتباقات مسلسلة * والدهر قد نام عنا باصطباحات
يا قبة الدهر لا زالت مجددة * تلك المعالم ما دامت مقيمات
حفظت من قبة بيضاء حف بها * نهر تفضض يجري بين دوحات
عليك مني ريحان السلام كما * حيتك مسكة دارين بنفحات
خير البنيات لا تنفك آهلة * بمن حوت وهم خير البريات
لله يوم ضربنا للمدام بها * رواق لهو بطاسات وجامات
وللبلابل ألحان مرجعة * تجيبهن غوانينا بأصوات
وللرياحين انفاس معنبرة * مع الرياح توافينا لاوقات
وللمياه ابتسام في جداولها * كأنه شق جيوب فوق لبات

حدائق أحدقتها المنى شجر * خضر وأودية حفت بروضات
جنات أنس رعى الرحمن بهجتها * حسبت نفسي منها وسط جنات
منازل لست أهوى غيرها سقيت * حيا بهم وخصت بالتحيات

(ووصل) هو وابن رضاح سمير المرتضى وابن جمال الخلافة صاحب صقلية الى أحدى جنات مرسية فآووا منها الى قبة فوق جدول مطرد وتحت أدواح طيرها غرد وأقاموا يتعاطون رحيقهم ويعمرون بالمؤانسة طريقهم اذ بالجنان وقف عليهم وقال كان بموضعكم هذا بالامس صاحب الموضع ومعه شعور منشورة وخدود غير مستورة قد رفعت عنها البراقع وما منها نظرة الا وهي سهم واقع فاستدعى فحما وكتب في احدى زوايا القبة (خفيف)

قاد نادوتا اليك لجئنا * بنفوس تفديك من كل بوس
فنزلنا منازلا للبدور * وحللنا مطالعا للشموس

(وله) يهنئ الوزير المشرف أبا الحسن أخاه بمولود وكان أكرم من الغمام وأوقر من شمام وأصول من ليث بخفان وأغزل من ظبي بعسفان فطوى منه الخيام أوحدا أحلمه من الجوانح ملحدا (كامل)

جاءت اليك مع الاصيل الانور * أمنية مثل الصباح المسفر
غراء الا أنها من خاطري * بمكان أسود ناظري من محجري
أرجت شذا أرجاؤها فكأنها * قد ضمخت لجانح من عنبر
أهدت الى مع النسيم تحية * فتقت نوافجها بمسك اذفر
فأتت كما زارتك عاطرة اللمى * بيضاء صيغت جوهرا في جوهر
هيفاء رود ذات خصر صائم * ومعاطف لدن وردف مفطر
هزت جوانب همتي فكأنما * عجبا بها انا ثمل في حبير
يا حسن موقع ذلك الامل الذي * تزرى حلاوته بطعم السكر
نظم السرور كما انتظمت لآلئنا * بيد الصبابة في مقلد معصر
ورد الكتاب به فرحت كانني * نشوان راح في ثياب تبختر
لما انفضت ختامه فتبلجت * بيض الاماني من سواد الاسطر
قبلت من فرح به خد الثرى * شكرا ولاحظ لمن لم يشكر
يا مورد الخبر الشهي وحادي الامل القصي وهادي النبا السري

زدني من الخبر الذي أوردته * بارد ذاك على فؤاد المخبر
صفحا وعفوا للزمان فانه * ضحكت اسرة وجهه المتغير
طلع البشير بنجم سعد لاح من * أفق العلا وبشبل ليث مخدر
لله درك أي فرع سيادة * أعطيته وقضيب دوحة مثمر
طابت أرومته وأينع فرعه * والفرع يعرف فيه طيب العنصر
أنت الجدير بكل فضل نلته * وهو بتيه وبكل مكرمة حري
تهنا رحيما انها قد انجبت * برحيم المحمود أسنى مذخر
نامت عيون الدهر عن جنباته * وجت مناهله متون الضمر
وصفا له ولاخوة يتلونه * ماء الحياة لديك غير مكدر
فلأنت بدر السعد وهو هلاله * ولانت سيف المجد وهو السمهري
أفدى البشير بمهجتي وتالدي * وبطارف وعذرت ان لم يعذر
يابي أبوه أخي كبيري والذي * أسدى الي مواهبا لم تصغر
ذاك الذي علقت بعلق نفاسة * منه العلا وكأنه لم يشعر
مصباح من هامت به ظلماؤه * ومنار هدى السادر المتحير
بدر ولكن ان تطالع كامل * ليث ولكن عند عزمته جري
ندب تدل على علاه خلاله * كالسيف يدري فضله في الجوهر
سيف تحلى بالعلاء رياسة * وصفت جواهره لطيب المكسر
لو كانت العلياء شخصا ماثلا * لرأيته منها مكان المغفر
وكذا رحيم من نمته فانه * حاز السيادة أكبرا عن أكبر
نحن الرحيميون ان ذكر الندى * نذكر وان ذكر الخنى لم نذكر
ان أخبروك أو اختبرت علاهم * انساك فضل الخبر طيب المخبر
قسموا الثناء مع البرية والسنا * يوما ففازوا بالقداح الايسر
شرف سقاه الفضل وسمي العلا * فتضوع أزهار الثناء الاعطر
ساداتنا سادات كل معاشر * ان خلصوا ولانت سيد معشري
فاذا انلاحظت المكارم من فتى * مضر أشار اليك أهل الحضر
واذا جروا يوم المكر سبقتهم * وأتوا القصبة مغنما لم تحضر
واذا دهى خطب وأظلم ليله * جليت ظلمته بفضل تدبر

واذا وهبت فأنت أكرم واهب * واذا نطقت فأنت أصدق مخبر
اياك يعنى من غدا متناشدا * يتناورونه على مرور الاعصر
واذا تباع كريمة أو تشترى * فسواك بائعها وأنت المشترى
كم من يد عندى له أعيت يدى * ان حصلت أو عددت لم تحصر
هو مفخرى يوم الجدال ومنصلى * يوم النزال ورايتى فى العسكر
من أين لى شكر يقاوم بعض ما * قد سرنه وكثيره لم أذكر
فلأستعين عليه فى شكرى له * بالاوحد القاضى الاجل الاكبر
قاضى القضاة وماجد الامجاد والسيد المعظم والامام الاشهر
ملك الملوك ونخبة الاملاك من * كلب وكل متوج فى حمير
السامى النسبين ان ذكر العلا * والحرز الشرفين يوم المفخر
من ذروة المجد الذى حل السها * ويرى بسعد عطارد والمشترى
لولاه ما طلعت أهلة سودد * فينا ولو طلعت لنا لم تقمر
من لم يرد علياه لم يرد العلا * من لم يلذ بجريمه لم ينصر
طرزت ديباج القصيد بذكره * فأتى كمثل قناة حلة عبقرى
ونشرت بعض خلاله فكأننى * بالمسك قد أذكيت عود المجمر
هو مفخر الاشعار ان ذكرت به * فاذا خلت من ذكره لم تذكر
وغدت كأجسام مضت أرواحها * فتخالها منسية لم تقبر
يا باعثا جذلى الى ومخمدى * أبدا على صرف الزمان ومظهرى
من بعد ما قضيت حق أبى أمية ذى المعالى والسناء الابهر
هنأت نفسى ثم جئت مهنئا * أنا حاضر معكم وان لم أحضر
أنا ذلك الشيق الوفاء وانى * لا بالملول ولست بالمتغير
واذا تنكرت الاحبة فارضنا * منى الجزاء ولست بالمتنكر
انى لا صبر عند كل عظيمة * واذا ظلمت مجاهرا لم أصبر
وذى هو الود الذى يناى به * أولى تجرب ثم بعد تخير
مهما نقسى بالرجال وجدتهم * مثل الحصا ووجدتنى كالجوهر
واليكها مثل العروس زففتها * بكرى تجر ذيولها بتعثر
معتذرا الا انى حلتها * عذر التأخر انت لم أتأخر

واذا وهبت فأنت أكرم واهب * واذا نطقت فأنت أصدق مخبر
اباك يعنى من غدا متناشدا * يتناروونه على مرور الاعصر
واذا تباع مكرمة أو تشترى * فسواك بائعها وأنت المشترى
كم من يد عندى له أعيت يدى * ان حصلت أو عددت لم تحصر
هو مفخرى يوم الجدال ومنصلى * يوم النزال ورايتى فى العسكر
من أين لى شكر يقاوم بعض ما * قدمته وكثيره لم أذكر
فلأستعين عليه فى شكرى له * بالاوحد القاضى الاجل الاكبر
قاضى القضاة وماجد الامجاد والسمير المعظم والامام الاشهر
ملك الملوك ونخبة الاملاك من * كاب وكل متوج فى حمير
السامى النسبين ان ذكر العلا * والحرز الشرفين يوم المفخر
من ذروة المجد الذى حل السها * وجرى بسعد عطارد والمشترى
لولاه ماطاعت أهلة سودد * فينا ولو طلعت لنا لم تقمر
من لم يرد علياه لم يرد العلا * من لم يلذ بحريمه لم ينصر
طرزت ديباج القصيد بذكره * فأتى كما راقتك حلة عبقرى
ونشرت بعض خلاله فكأننى * بالمسك قد أذكيت عود المجمر
هو مفخر الاشعار ان ذكرت به * فاذا خلت من ذكره لم تذكر
وغدت كأجسام مضت أرواحها * فنخالها منسية لم تقبر
يا باعثا جذلى الى ومجددى * أبدا على صرف الزمان ومظهرى
من بعد ماقضيت حق أبى أسيمة ذى المعالى والسناء الابهر
هنأت نفسى ثم جئت مهنئا * أنا حاضر معكم وان لم أحضر
أنا ذلك شيق الوفاء وانى * لا بالملول ولست بالمتغير
واذا تنكرت الاحبة فارضا * منى الجزاء ولست بالمتنكر
انى لاصبر عند كل عظيمة * واذا ظلمت مجاهرا لم أصبر
وذى هو الود الذى يتأى به * أولى تجرب ثم بعد تخير
مهما انقسى بالرجال وجدتهم * مثل الحصا ووجدتنى كالجوهر
واليكها مثل العروس زففتها * بكرى تجرذ بولها بتبختر
معتذرا الا انى حملتها * عذر التأخر انك لم أتأخر

سقيت الملاماء المكارم والندى * وأطلعت فى روض العلا أينع الزهر
وقلدت جيد الدهر سلك محاسن * وصغت سوار المجد فى معصم الدهر
وألبستنيها من ثنائك حلة * مطرزة العطفين بالنظم والنثر
نثرت على القول دراً كأنه * سقيط رذاذ الغيث فى الورق الخضر
وكم لك عندى من يد ألمعية * يقل لها بذل البقية من عمرى
ومن مدح ضمنتها كل مفخر * حبيبة الانفاس مسكية النشر
تسير بها الركبان فى كل غارب * من الارض سيرا مثل سير القطا الكدر
بانشادها تحدو الحداة ويهتدى * بها كل من قد هام فى المهمه القفر
وهل أنت الا دوحة المجد أثمرت * انا فاجتنينا يانعا ثمر الفخر
نمالك الى العليا جهابذ سادة * نمتهم ذوو التيجان فى سالف الدهر
ومن يك من قحطان فهو ممجد * فقحطان ذو التاج المكلل بالدر
وكم لك من جد رفيع متوج * بتاجين من در وآخر من تبر
سفاحكم رب المكارم والعلا * وحيدا كما قد قيل عن بيضة العقر
وميسرة حاز البسيطة بالقنا * وبالمشرفيات المهندة البتر
وثار على ملك الأمين قائما * بملك بنى العباس ناهيك من فخر
بآرائه البيض ارتقى درج العلا * وحل ذرا العليا براياته الخضر
وقل عن أضحى النضار فانها * حمت أحمد المختار بالبيض والسمر
ولو لم يكن للحميريين غيرها * أتتنا به الآثار عن ملتقى بدر
ويوم حنين اذ دعاهم محمد * نبى الهدى فاستأصلت شأفة الكفر
فلا عزة ما لم تكن حميرية * ولا همة الا الى معتلى القدر
وان كانت الدنيا ارتك تجهما * فمن عادة الدنيا مطالبة الحر
وان قعدت بعض القعود فغادرت * بأنك حقا واحد الدهر والعصر
وقد علمت قوم بأنك تاجها * ولو أنها حلت ذرا الانجم الزهر
فتعسا لايام تحط ذوى العلا * وتعلى حطيط النفس والقدر والنجر
فدونكها كالروض ساحرة الحيا * وحياه غب المحل منسجم القطر
مقنعة خوف انتقادك خجلة * كما أقبلت عذراء فى حلل خضر
على أننى ادرى بانى مقصر * ولكننى أرسلتها بيدى عذر

فكنت كمن يهدي الى الماء نغبة * ويقصد أرض الهاشميين بالتمر
ولابد من وصل الزيارة قائما * بحق العلا مني على قدم البر

(وغنى) له في بعض أيام الانس شعرله لوطة بالنفس وهو (طويل)

خليلي سيراوا ربعا بالمناهل * وردا محيات الخليط المزايل
فان سأل الأحباب عني تشوقا * فقولا تركناه رهين البلابل

(فكان) بها من استحسنهما ورغب اليه في ان يذيلهما فقال (طويل)

وان يتناسوني لعذر فذكرا * بأمري ولا تدري بذاك عواذلي
لعل الصبا تأتي فتحيي بنفحة * فؤادي من علقاء من هو قاتلي
فياليت أعناق الرياح تقلني * وتنزلني ما بين تلك المنازل

(وفي بعض) الليالي غني له هذا الشعر (وافر مجزوء)

بدا فكأنه قمر * على ازراره طلعا
يفت المسك عن يقق السجين بنانه ولعا
وقد خلعت عليه الرا * ح من أثوابها خلعا

(وحضر بها) من استحسن الشعر والاعمال فرغب اليه في تذييلها فقال (وافر مجزوء)

فاهدى من محاسنه * الى أبصارنا بدعا
فلما فت أكبدنا * وحاز قلوبنا رجعا
ففاضت أعين أسفا * وفاضت أنفس جزعا

(وكانت بينه) وبين ذي الوزارتين أبي الحسن جعفر بن الحاج صداقة سافرة الصفاء عاطرة الارجاء فخاطبه بشعر روق سمعه وتعلق بالنفس وضعه وهو (طويل)

سلام كما نمت بروض ازاهر * وذكر كما نامت عيون سواهر
تحية من شطت به عنك داره * وأنت له قلب وسمع وناظر
فياسيد السادات غير مدافع * وياواحد الدنيا ولامن يفاخر
لك الشرف الاسمى الذي لاح وجهه * كما لاح وجه الصبح والصبح سافر
لئن شهرت في المعلوات أوائل * لقد شرفت بالمأثرات أواخر
سجايا استوت منهن فيك بواطن * أقامت عليهن الدليل ظواهر
أباحسن شكري لبرك حافل * وذكري وان لم أقض حقك عاطر
حرمت ندى تلك الظلال فاحرقت * فؤادي سموم للنوى وهواجر

وانى على فقد الصديق بجازع * على أن قلبى للحوادث صابر

حنانيك أغنيت العلاء جنته * أذكره عهدى فهل أنت ذاكر

فان كنت قد أخللت فالفضل باهر * وان كنت قد قصرت فالمجد عاذر

اما أنه لولا خلال تقتك الرضا * لما كان لى عذر ولا قام ناصر

فمد يد الصفح الجميل فاننى * على كل ما توليه أولاك شاكر

(وجرت) بينه وبين الاجل الفقيه القاضى أبى أمية ابراهيم بن عصام سنة قضائه بمرسية معاتبات واشعار ومراسلات أدخلت منها ما أسفرت له أوجه الاستحسان وقامت على طبعه شواهد الاحسان فمنها قوله من قطعة أولها (بسيط)

هى السيادة حلت منزل القمر * وأنت منها سواد القلب والبصر

وهى الجلالة لاتدرى لها صفة * لكنها عبرة جاءت من العبر

أما المعالى فقد حطت رواحلها * لديك والخبر يغنيك عن الخبر

ومنها (بسيط)

طرزت ثوب المعالى بعد ما درست * رسومه فأتانا معلم الطرر

رقت فراقت سناه للعلى شيم * كأنها قطعت من رقة السحر

وضاع عرف ثناء ذاع ريقه * كما انتشقت نسيم العنبر الذفر

لولا انثمالك انساب ماء المكرمات ندى * عندى ولا سفرت لى أوجه البشر

كم من يد لك فى أجيادنا كتبت * والله يعلمها فى صفحة القمر

لا تنثنى ابدا تثنى عليك بها * كأنما هى آيات من السور

يفديك كل من الاسوا سوى نفر * عاثت بغيهم لا كان من نفر

يخفون ضد الذى يبدون من ملق * فلا تثقهم وكن منهم على حذر

ان الحجارة تلفى وهى خامدة * حتى اذا قدحت جاءتك بالشرر

(وله أيضا) من قطعة ذهب أولها ولم يثبت الا تغزلها (خفيف)

خص يا غيث مربع الاحباب * وتعاهد بالعهد عهد التصابى

ولتسلم على معرس سلمى * ولتصل بالرباب دار الرباب

هى روضات كل انس وطيب * ومغان سكانها أصل ما بى

كساها العلاء ثوب بهاء * وسقاها الجمال ماء الشباب

ثم طارت ألبابنا فبقينا * بين أهل الهوى بلا ألباب

وصدت

وأصيبت بها القلوب فصارت * لشقائي مآلف الاوصاب
أمرضتني مرضى صحاح ولكن * عذابي بين الثنايا العذاب
أقسم الشوق أن يقسم قلبي * بين قوم لم يسألوا عن مصابي
فرقة آثرت صدودي وأخرى * أخذت جد سيرها في الذهاب
أي وجد أشكو وقد صار قلبي * رهن أيدي الصدود والاغتراب
بعت حظي من الوفاء متى ما * لم أمت حسرة على الاحباب
ولئن همت بالجمال فاني * أبدا عفت موضع الارتياب
ردعتني عن القبائح نفس * خلقت من محاسن الآداب

(وكتب اليه أبو العباس أحمد بن حمدوس القرباني) شاكرا زيارته له وناشرا الفضل صداقته معه (خفيف)

يا سريا تختال منه الوزاره * في الحلي تارة وفي الحلي تاره
بك تزدان خطة حلت منها * لك على شخصها بهاء وشاره
ظهرت قبلك للجلال خلال * وعلى المندب للسناء أماره
يا أبا بكر الوحيد بعصر * لم يزل جاهلا عليك مداره
زرت بالفضل والفضائل تقضي * أن توالي الى ذراك الزياره
دمت يا نخبة الكرام عزيزا * ما تلا الليل في الزمان نهاره

فراجعه (خفيف)

يا زكيا غدا بشيد فخاره * مرشد المعلايشيد ازاره
وحساما براحة المجد عضبا * شحذت راحة الذكاء شفاره
سامر الفضل منك روض وفاء * هصرت لي يد العلا أزهاره
وهمت ديمة الصفاء فروت * مربع الود بيننا وغاره
يا سنا مقلة الزمان أبا العباس يا حلي جيده يا نفاره
فاذا قيل من فتى الفضل يوما * وأشاروا فانت معنى الاشارة
زارني من سماء فكرك روض * مثل ما واصل الحبيب الزياره
مهرق جاء في ثياب عروس * أصبح المجد تاجه وسواره
أي شكر لأي بر يكافي * حق من سناه قد اناره
ومن العي أن أراجع بالشعر فتى لا أشق فيه غباره
غير أني وثقت اغضاء ندب * عبر الدهر عنه أي عباره

ولـه (كامل)

خطت بنان الشوق بين جوانحي * سر آلك فالتهبت من الوجد
وتحدثت نفسي بزورتك التي * قطعت بلا شك من الخلد
فتعللت بالوهم وانتعشت * سراً حشاشتها على البعد

ولـه (كامل)

يا بغيتي قلبي لديك رهينة * فلتحتفظه فرعاك قد ضاعا
أوقدته وتركته متضرما * بأوار حبك يستطير شعاعا
لا تسلبيه فإنه نزعت به * تلك الخلال الى هواك نزاعا
حاشى لمثلك أن يضيع ذمامي * ولمثل حبي ان يكون مضاعا
اني لاقنع من وصالك بالمنى * ومن الحديث بأن يكون سماعا

(وله) في الامير الاجل أبي اسحق ابرهيم بن يوسف بن تاشفين في شعبان سنة خمس عشرة وخمسمائة (وافر)

سقى الله الحمى صوب الولي * وحيا بالاراكة كل حي
وان ذكر العقيق فباكرته * سحائب معقبات بالروي
تروض مسقط العلمين سكبا * وتلبسه جنى الزهر الجني
ولا بليت لمرسية برود * مطرزة باشتات الحلي
ذكرت معاهدا أقوت وكانت * أواهل بالقريب وبالقصي
أقول وقد غدوت حليف شجو * أعلل لوعة القلب الشجي
لأصرف عفة كفي وطرفي * عن اللحظ العليل النرجسي
وأخزن منطقي عن كل شجو * وأهجر كل ملسان بذي
ولما أن رأيت الدهر يدلي * دنيا ثم يسطو بالسني
وجدت به على الايام غيظا * كما وجد اليتيم على الوصي
طلبت فما سقطت على خبير * يخبر عن ودود أو صفي
كما أني جثمت على كريم * فما ألفيت ذا خلق رضي
ولولا واحد لسددت عيني * فلم تقع على شخص سري
هو الملك المعظم من ملوك * ينير بها سنا الافق السني
له شيم تعالى كل حين * يفوت بها ذرى النجم العلي

وحسن

وحسن خلائق رقت فجاءت * كما هب النسيم مع العشى
مصون العرض مبذول العطايا * ندى الترب مبرور الندى
جواد جوده ان سيل سيل * ويأتى عرفه مثل الاتى
يمد الى العفاة يمين يمن * تلين قسوة الدهر الابى
تحلى ملكه بحلى نهاه * كما ازدان المقلد بالحلى
تدار عليه أكواس المعالى * فتأخذ من هزبر أريحى
يطارد بالضحى خيل الاعادى * ويأوى كل وفد بالعشى
لابراهيم عبد الله سر * يدق علا على النظر الخفى
يرى غيب الامور اذا ادلهمت * بعين الرأى والفكر البدى
ويوضح كل مشكلة فيرمى * بها فيصيب شاكلة الرمى
درت صنهاجة ولها علاها * بان علاه مفتخر الندى
وتعلم انه السيف المحلى * لدفع الخطب أو قرع الكمى
وكم من سيد فيهم ولكن * أتى الوادى فطم على القرى
أبا الملك الحروب ومن تردى * رداء الفضل والخلق الرضى
لقد أصبحت روح العدل حقا * وأسود مقلة الملك الحنى
سوالد يريح من وخد المطى * ويقصر عن مدى الامل القصى
وأنت تصادم العلياء لما * غدت مرقى لكل فتى على
تصادر كل معضلة نؤد * متى هجمت بصدر السمهرى
وتكشف كل غماء بهدى * حكى هدى النبى الهاشمى
أبا اسحق يا ابن أمير ملك * يقصر عنه ملك التبعى
ابو يوسف مفخر يروى ويتلى * كما تلى الحديث عن النبى
ركبت مناهج التقوى ففاقت * أمور لك كل أمر معتلى
وسرت بسيرة العمرين عدلا * ولم تقعد مضاه عن على
ابا ملك الملوك ادى قول * فوطئ لى على كنف وطى
وحسن فضل أخلاق كرام * اذا حيث فعن مسك ذكى
لك الفضل الذى أوليتنيه * فأشكره ولى حق الولى
وأمرى مظلم بالشرق حتى * تبلجه لدى المولى العلى

وقد اوتيت خدمة كل أمر * تسبب بي الى السبب الخفى
ومهما دار قول تختشيه * رجال لانتصاف الى سرى
فلا تسمع لمناء بسم * ودع أقوال هما زعوى
دعى في السفاه وليس يعطى * بقدر الحب والود الخفى
واثبت قلوبنا ثقت تدري * بما فضل الخؤن من الوفى
ونم سنى المجد غزوات فيه * جسيم الاجر بالسعى الزكى
كلامى قاده ودى فأ شدى * اليك قصيدة مثل الهدى
تخذها كالعروس تفوت طبعا * وبا ويل الشجى من الخلى

(وله) فيه من قصيدة وجه بها اليه في عيد الفطر سنة خمس عشرة وخمسمائة (بسيط)

لدى سرالك لعدو الجرد تصميم * وفي عدالك لبيض الهند تحطيم
وللمكارم لا زالت مخيمة * بساحة الدولة العلياء تخييم
تروى بربعك سل الارض منتظما * من الماء نثر منثور ومنظوم
آيات عدلك تتلى وهى معتبر * سر لكم في ضمير الدهر مكتوم
لله فيك حديث سوف يوضحه * وللمعالى على علياك تحويم

(ومنها)

تدبير ملكك بالتأييد مفتتح * مالم يكن هكذا ملك فمذموم
قسطت عدلك بين الناس فاعتدلوا * وللممالك تقسيط وتقسيم
لله فضلك ما يلقاك مكتئب * الا انثنى وهو مسرور ومعصوم
قضى الاله وجود منك يغمرنا * بان مالك بين الخلق مقسوم
لما سريت الى حمص وقد ظمئت * اسرى اليها سحاب منك مركوم
ووافت الريح تستسقى الغمام بها * مهما تهب فللانواء تغييم
كانما المحل والانواء تكنفه * جيشان ذا هازم يلقى ومهزوم
لما اكتسى الدهر وشيا من ازاهره * ومبرم المحل منبت ومفصوم
عاد الزمان ربيعا عند ما طلعت * منى اليها في سماء الفضل تعظيم
رق النسيم ورقت كل غادية * فالافق طلق وبرد الارض مرقوم

(ومنها)

قيدتنى بأياد منك طائلة * شتى فمنهن مجهول ومعلوم
كم منة لك عندى لا يقوم بها * شكرى على انه بالمسك مختوم

من لي بذا الدولو وافتك تحدني * السبعة الشهب والسبع الاقاليم

(ومنها)

يحف بي منك اعلاء وتكرمة * بر بمنطقة الجوزاء محزوم
من حق من هجر الاوطان من سعة * وقاده نحوكم حب وتتيم
ان يعتلي ويرى في النجم منزله * يحفه منك تكريم وتنعيم

(ومنها)

بيني وبين النوى دخل فان صدعت * شملي فعندي تفويض وتسليم
وان تكن نثرت سلكي نوى قذف * فان سلك رجائي فيك منظوم
سقيا لعهد خليط لست اذكره * الا حننت كما قد حنت الهيم
مهما تنسمت من تلقائه نفسا * شوقا تحدر من عيني تسنيم
فالنفس من بعده جرله صفة * ميم وواو وجيم بعدها جيم
عسى الليالي بعدا الملك تنظمنا * ان أنصف الدهر والانصاف معدوم

(الوزير الكاتب أبو محمد بن القاسم رحمه الله)

رجل زهت به السياسة والتدبير وجبل دونه يلملم وثبير ووقار لا يستفز ولو دارت عليه العقار اذا كتب باهت البدر رقعته وقرطست أفئدة المعالي نزعته وضعته الدولة في مفرقها وأطلعته في مشرقها فأظهر جمالها وعطر صباها وشمالها فسهل لراجيها حزنها وصاب بأحسن السير مزنها واتضح بشرها ونفح بعرف الاماني نشرها وجادت يده بالحيا وعادت به أيام الفضل بن يحيى الا ان الايام انقته فما أبقته وخشيه مكرها فغشيه نكرها فخلت عنه الدولة تخلي العقد عن عنق الحسناء وأعرضت عنه اعراض النسيم عن الروضة الغناء وانها العاطلة بسنائه هائمة بغنائه ولكن الزمان لا يريد شنوفا ولا يرى أن يكون بالفضائل محفوفا ويقيم مقام درياق سفوفا وهو اليوم قد انقبض عن أنواع الناس وأجناسهم واستوحش من ايناسهم وأنس بنتائج أفكاره وهام بعيون العلم وأبكاره وكلف بفنونه وتصرف من سهوله الى حزونه ونبذ الدنيا نبذ النواة وانتبذ من ملابسة الغواة وصرف وجهه تجاه البر والتقوى وترك ربع الحفارة عافيا قد أقوى وعلم ان الله به حفي وانه له صفي حين أعلقه بأسبابه وصرفه عن باب الملك الى بابه وقد أثبت من نثره المنتخب ونظمه المستحلى المستعذب

ما تعاطيه مدامة ولا يدانيه قدامة (فمن ذلك) ما راجعني به عن رقعة كتبتها اليه مودعا ووصفت فيها النجوم عذري من سامح بيان وذا ترجمان ومظاهر ابداع واحسان ما كفاه أن اعتام الجواهر اعتياما وجلاها في أبهج مطالعها نثرا ونظاما حتى حشر الكواكب والافلاك وجندها نحوي كتائب من هنا وهنالك وقدما حمل لواء البداهة وأجر أذواء البداهة فكيف بمن كل حتى عن الروية ورفض الخطابة رفضا غير ذي مثنوية وليس الغمر كالثرد ورويدك أبا النصر فما جمعت فحالتقع علينا أبواب المعجزات ولا ما ليت سروا لترتقي علينا الى الانجم الزاهرات فتأتي بها قبيلا وتريدمنا أن نسومها كما سمت قودا وتذليلا وأنى لنا أن نساجل احتكاما أو نباسل اقداما من أقدم حتى على الثمرين وتحكم حتى في انتقال الفرقدين وقص قوادم النسرين ثم ورد المجرة وقد تسلسلت غدرانها وتفتح في جاماتها أقحوانها وهناك اعتقد التخييم واعتمد المراد الكريم حتى اذا رفع قبابه ومد كما أحب أطنابه سم الدهناء وعمم المضاء فاقتصم على العذراء رواقها وقصم عن الجوزاء نطاقها وتغلغل في تلك الارجاء واستباح ما شاء أن يستبيحه من نجوم السماء ثم ما أقنعه أن بهر بادلاله حتى ذعرها بجياد أقواله وغمرها باطراد سلساله فلم تخيل وسيل لا جل لهما ثم عن سوق التوأمين ذيل وتعلق برجل السفينة سهيل هنالك سلم المسالم وأسلم المعارض والمقاوم فالاسد وان لبس الزبرة لبدا واتخذ الهلال مخلبا وانما انتهض تحت صباأعنته وقبض على شبا أسنته وما الشجاع وان هال مقتحما وفغر على الدواهي فا وقد أطرق بما رآه وما وجد مساغا لما اباه وما الرامي وقد أقعس عن مرامسه ووجئت لبته بسهامه أو السماك وقد قطر دفينا وغودر بذابله طعينا وما الفوارس وقد جللت سريتها العجاجة وصبغت حليتها زجاجة ولذلك قطب زحل واضطرب المريخ في نار وجده واشتعل ووجل المشترى فامتقع لونه وضياؤه وشعشع بالصفرة بياضه ولألاؤه وتاهت الزهرة بين دل الجمال وذل الاستبسال فلذلك ما تتقدم تارة وتتأخر وتغيب ونة ثم تظهر وأما عطارد فلاذ بكناسه ورد بضاعته في أكياسه وتحجبت الشمس بالغمام واعتصم بغمره بدر التمام هذه حال النجوم معك فكيف بمن يتعاطى أن يشرع في قول مشرعك أو يطلع في ثنية فضل مطلعك وقد أدنى وشك اقتضائك

واقتضابك

واقتضابك وبعد من اغضابك فاعتمدت على اغضائك لهذا السانح من عفوى وتجاوزعن مقتى وصفوى ثم متعنى بفكرى فقدرجع قليلا ودع لى ذهنى عسى أن يتودع قليلا وأنى وقد أضله من بينك الشغل الشاغل وودعه من قربك الظل الزائل ولا أنس بعدك الا فى تخيل معاهدك وتذكر مصادرك النبيلة ومواردك فسر فى أمن السلامة محافظا وتوجه فى ضمن الكرامة مشاهدا بالاوهام ملاحظا رعاك الله فى حلك ومرتحلك وقدمت على السنى من مقامك والمرضى من أملك عن الله وفضله وأقرأ عليك سلاما يلتزمك فى مقامك وسفرك ويصحبك سرى امامك وتاويا على أثرك ورحمة الله وبركته (ولما اشتهرت) المخاطبة والجواب وبهر الابداع منهما والاغراب وتهاداها كل ذكى وتعاطاها وتوسد خد نباهته أبردى أرطاها كتب اليه الاجل الفقيه الحافظ أبو الفضل بن عياض فى ذلك قد وقفت أعزكما الله على بدائعكما الغريبة ومنازعكما البعيدة القريبة ورأيت ترقيكما من الزهر الى الزهر وتنقلكما الى الدرارى بعد الدر فأبحتما حمى النجوم وقذفتماها من ثواقب أفهامكما بالرجوم وتركتماها بعد الطلاقة ذات وجوم فللسماء بسيطها غارة شعواء لهاما عوت أكلب العواء هنالك افترست الفوارس ولم تغن عن السماك الداعس وغودرت النثرة نثارا وأغشى لالأها انقعا مثارا كان لكما قبلها ثارا وأشعرت الشعرى بان ذعرا قطعت له احداهما أواصر الاخرى فأخذت بالحزم منها العبور وبدرت خيلكما وسيلكما بالعبور وحذرت المحاق عن ان تعوق عن منحى العيوق فخلفت أختها تندب عهد الوفاء وتجهد جهدها فى الاختفاء وكان الرياحين ترتم بقطبها اتقتكم بيمينها فجذذتم بنانها وبثلتم المخضب امانها فعندها استسهل سهيل الفرار فأبعد بينه القرار وولى الدبران اثره مدبرا وذكر البعاد فوقف متحيرا وعادت العوائد بشامها وألقت الجوزاء للأماني نطاقها ونظامها فهلا أعزكما الله سكنا الدهماء فقد ذعرتما حتى نجوم السماء فغادرتماها بين برق وفرق وغرق أوحرق فترجحا فى مجدكما قليلا واجعلا بعدكما للناس الى البيان سبيلا فقد أخذتما بآفاق المعالى والبدائع لكما قراها والنجوم الطوالع (فكتب اليه مراجعا عنها) بمثل نباهتك سارت الاخبار وفيك وفى بداهتك اعتبار لقدنلت فيها كل طائل وقلت فلم تترك مقالا لقائل وعززت بثالث

هو الجميع وبرزت نأين من شأو لك الصاحب والبديع جلاء بيان في خفاء معان هذا أثبت للمرمى جلالا وأشاد فيه لذوي النهى أمثالا وذلك رفع للاقدار لواء وألقى على شمس النهار بهجة وضياء أقسم بسبقك ومقدم حقك لئن أفحمت بالمنطق لقد أفهمت عن أي صبوح رقفت ومهما أبهمت تفسيرا فدونك منه شيأ يسيرا لما اعتمدنا نحو ذلك المظاهر فأبعدنا هنالك الاثر بل اقتصدنا في الاصعاد وقدنا من تلك السيرات كل سلس القياد حتى اذا اشمأز طلقها فعزأ بلقها وصبحنا مواردها فافتتحنا ماردها وثنينا عنان الكريمة وارتضينا اياباً ببعض الغنيمة حيث أنت هبوب زيد الفوارس وقربت تقريب الاسد المداعس تومض في وجوم وتتعرض للنجوم فاستخرجتها من أيدينا وأزعجتها عن نواحينا ثم صيرت اليك شملها وكنت أحق بها وأهلها ومن هنالك وصلت سرالك فصحت الفيالق وفتحت المغالق وتسنمت تلك الحصون وأقسمت لتخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون فأذعن الشرطان والشرطان وازدحمت بالبطين حلقتا البطان وثار بالثريا ثبور وعصفت بالدبران دبور وهكذا استعرضت المنازل واستهضم جميعها الخطب النازل ثم تيامنت نحو الجنوب فواها للمعاصم والجنوب (بسيط)

لم يبق غير طريد غير منفلت * وموثق في حبال القد مسلوب

استخرجت السفينة من لججها وجالت الناقة بهودجها وغودرت العقرب بحقق فؤادها وذعرت النعائم فخاب اصدارها وايرادها ولما مسحت تلك الآفاق فأثخنت فيها وشددت الوثاق وعطفت الشمال وانبعث أسباب الشمال فلا مطلع الا ألقى اليك باليمين واستدارت حوله النكبة فسميت قصعة المساكين وانتهيت الى القطب فكان عليه المدار وتبوأته ففيه من جلالتك اقتطار ثم أزحت صعادك وأرحت ممسك الاعنة جيادك ونعمت بدارمنك محلال ثم مانت عن ذي اكبارك واجلال تنبه بسحر الكلام وتجشمه أن يستقل استقلالك بالاعلام واذ لا يتعاطى مضمارك ولا يشق غبارك فدونك ما قبلي من بضاعة مزجاة واليك مني معطى طاعة وطالب نجاة ان شاء الله عز وجل (وكتب) الى الوزير الكاتب أبي بكر بن عبد العزيز مجاوبا عن كتاب خاطبه به مسليا عن نكبته (متقارب)

ولولم أقل شباة الخطوب * بجد كحد ظبي الصارم
ولم ألق من جندها المقيت * بصبر لابطا لها هازم
ولم أعتبر حادثات الزمان * بخبر خبير بها عالم
لكان خطابك لى ذكرة * تنبه من سنة النائم
ورد أرد صعاب الامور * على عقب الصاغر الراغم

فكيف وقد قرعت النائبات اصغارا ولقيت هبوبها اعصارا ولم أستعن فى شئ منها بمخلوق ولا فوضت فى جميعها الا لاعدل فاتح وأحفظ موثوق أسأله أن يجعلها كفارة للسيئات وطهارة من درن الخطيئات بمنه وكرمه وان خطاب السيد وصل غب ما تجافى وبطل فكان الحبيب المقبل حقه أن يستمال ويستنزل ولا عتب عليه فيما فعل وقد علمت انه أبطا برهة متصلة فما أخطأ حفاظا بظهر الغيب وصلة واغا نهنه عن مقتضى نظره لينبه بفحوى تأخره على ان العوائد أحمد من البادئات والفوائد فى النتائج لا فى المقدمات كما ختم الطعام بالحلواء بل كما نسخ الظلام بالضياء وبعث محمد آخر الانبياء وان احتفاءه لمقدور حق قدره ووفاءه لجدير بالمبالغة فى شكره ولقد بلغت مكارمه مداها وسات مساهمته عما اقتضاها وقد آن أن ندع من ذكرى نهب صيح فى حجراته واستبيح من جهاته وخطب قد صرف الله عداه وكشف بفضله غماه ولكن حديثا ما حديث بصر جلوته مقالا وسموت به الى المهيع الا مخالا يخترق الحجب الى صميمها ويرقى الآداب فى تقاسيمها ويخيل بالمعجزات عيانها ويستميل الى غرائب المبتدعات أذهانها أبابل فى ضمن أقلامك وما أنزل على الملكين فى وزن كلامك أم هو البيان لا غطاء دونه وما أحقه أن يكونه فى السحر الاجلال ولا تذر نتيجة لعقول الا أطاعتها بأهدى مقال وان قسمك الجلال لقدرك وحمك المتناهى فى برك تصفح ثناءك مجدا وطولا واستوضح اخاءك عقدا وقولا وأعطاك صفقة يمينه على المودة والاكبار وولاك صفوة يقينه صادقة الاعلان والاسرار فلن تزال بتوفيق الله تجده حيث تنشده وتعهده على أبر ما تعتقده ان شاء الله (ولما) نفذ فى أمره ما نفذ وانفصل عن أمير المسلمين وانتبذ خيره فى بلاد المغرب فاختار سلا واعتقد انه يأنس فيها ويسلى بمجاورة بنى القاسم الذين غدوا بدور سمائها وصدور أسمائها فلما حلها انقبض عنه

أبو العباس انقباضا نعى عليه أقبح نعى ونسب فيه الى قلة الوفاء والرعى وكان بينهما أيام وزارته مودة محمودة التواخى مشدودة الاواخى واشتملت اذذاك على أبى العباس مساع أدجت مطلعه وحنت على الوجد أضلعه فجذب فيهما أبو محمد بضبعه وألقاه بين بصر العضد وسمعه فلما وردت مشيبت اليه وتقمت عليه صدوده وايحاشه لمن كان ودوده وعرفته بحرمانه وأوقفته على هوانه فاعتذر بما يخاف من أمير المسلمين ويحذر وكتب اليه (بسيط)

واحرمتا لصديق ماله عوض * ان قلت من هولا يا قائل معترض
أتقاه بالنفس لا بالجسم من حذر * لعله ما رأيت الحر ينقبض

فكتب اليه أبو محمد مراجعا (بسيط)

شر الجياد اذا أجريت منقبض * ما للوجيه على الميدان معترض
أنى تضاهيه فرسان الكلام ومن * غباره فى هوادى من مانفضوا
جرت على مستو من طبعه كلم * هى المشارب لكن مالها فرض
كأن منشدها نشوان من طرب * أو بلبل من سقيط الطل ينتفض
تحية من أبى العباس زاربها * طيف من العذر فى اثنائها عض
لا بالجلى فتستوفى حقيقته * ويستبان بعين مابها غمض
لكن أغض عليه جفن ذى مقة * كما يستقمد الجوهر العرض
يا من يعز علينا أن نعاتبه * الا عتاب محب ليس يمتعض
ناشدتك الله والانصاف مكرمة * أما الوفاء بحسن الود مفترض
هب المزار لمعنى الريب ممتنع * ما للوداد يظهر الغيب منخفض
أما لكل نبيه فى العلا حيل * تقضى الحقوق بها والمرء منقبض
كن كيف شئت فن دأبى محافظة * على الذمام وعهدى ليس ينتقض
وهمة لم تضق ذرعا بحادثة * ان الكريم على العلات ينتهض
والحر حر وصنع الله منتظر * والذكر يبقى وعمر المرء ينقرض

* (الوزير الكاتب أبو عامر بن أرقم رحمه الله تعالى) *

فريد الوقت وابن فريده وعميد الكلام وابن عميده كان الوزير الكاتب أبو الأصبغ أبوه قد أربى على أهل أوانه واستقل بكتابة زمانه فنبت أبو عامر فى تربة العلم ونشأ فى حجره وشدا بين سحر البيان ونحره ثم لم يزل على كد الطلب وتعبه

أصبر من عود وقد عضت جنباه مخلبه حتى اروى من صافى الادب وغيره واحتمى من صوحه وتضيره فجمع حفظه بين الغريب الحوشى والمولد الرياضى وله شعر ونثر يمعضان بسعة باعه ورحب ذراعه ويشهدان أنه يغرف من عجاج ويدع محاربه يعمه فى عجاج (فمن ذلك) قوله يمدح الامير عبد الله بن مزدلى (بسيط)

سريت والليل من مسراك فى وهل * مبرأ العزم من أين ومن كسل
وسرت فى جحفل يهدى فوارسه * سنا تحت الدجى والعارض الهطل
والبدر محتجب لم تدر أنجمه * أغاب عن سرر أم غاب عن خجل
هوت أعاديك من سار يؤرقه * ركض الجواد وحمل اللامة الفضل
اذا الملوك نيام فى مضاجعهم * مستحسنون بهاء الحلى والحلل
لله صومك برا يوم فطرهم * وما توخيت من وجه ومن عمل
نحرت فيه الكماة الصيد محتسبا * وحسب غيرك نحر الشاء والابل
اذا اصرير المذاكى هزهم طربا * ألهاك عنه صرير البيض والاسل
وان ثنتهم عن الاقدام عاذلة * مضيت قدما ولم تأذن الى العذل
كم ضم ذا العيد من لاه به غزل * وأنت تنشد أهل اللهو والغزل
فى الخيل والخافقات البيض لى شغل * ليس الصبابة والصهباء من شغلى
ظللت يومك لم تنقع به ظمئا * وظل رمحك فى عل وفى نهل
وكم ارامت الروم الفرار أتت * من كل أوب وضمتها يد الاجل
فصار مقبلهم نهبا ومدبرهم * وعاد غانمهم من جملة النفل
فكم فككت من الاغلال عن عنق * وكم سددت بهذا الفتح من خلل
أنت الامير الذى للمجد همته * وللمسالك يحميها وللدول
وللمواهب أو للعظائم له * مالم تحن الى الخطية الذبل
لمزدلى لواء كان يرفعه * مناسب كالضحا والشمس فى الحمل
الجابرين صدوع المعتفى لهم * والكاسرين الظبا فى هامة البطل
والعادلين عن الدنيا ونضرتها * والسالكين على الاهدى من السبل
خير التبابع والاذواء من يمن * الغالبين على الآفاق والملل
يسود فى آخر الاعصار آخرهم * وساد أولهم فى الاعصر الاول
يا أيها الملك المرهوب صولته * والمرتجى غوثه فى الحادث الجلل

من كابد العدم لم يكمل له أمل * والعدم من أقطع الاشياء بالامل
لولاه لم تبت الاشعار مرسلة * عني وحقك لا نقضيه بالرسل
فاصفح لعبدك يامولاى مغتفرا * ما كان من خطأ أو منطق خطل
بقيت للدين والدنيا تحوطهما * اذا حلا الغمض في الاجفان للمقل

(وكتب الى الوزير الكاتب أبي جعفر بن مسعدة) سيدى الاعلى وعلق الاغلى وذخرى الاجلى أطال الله بقاءك محسود الجناب محمود المقام والمثاب من كرم دام عزك خيمه وشرف حديثه وقديمه أمطر قبل ان يستبرق وأثمر قبل ان يستورق وأقبل دون ان يستقبل واحتمل قبل ان يستحمل سجية نفس تواقة الى الحسنى نزاعة الى الاعلى من الفخار والاسنى وكانت لك أعزك الله في جاى مجالس ومشاهد ومصادر وموارد وصلت بها جناحى ومددت أوضاحى وبهت من ذكر البيت فأثقلت ظهرى وأوجبت على الشكر دهرى وما تأخرت عن حضرتك لا شد العزلك وقاضيا حق مبرتك الا عن حال لا تعين على الترحال فعذرا عذرا وغفرا غفرا وعندى ود كماء المزن وثناء كروض الحزن جزاك الله ياسيدى جزاء الواصل وقد قطع الالمام المواصر وخوات الايام الناصر ولست أجدد الرغبة اليك في شيء من أمرى جار على الكريم بين يديك قبل الهزفريت وقبل النزول بساحتك قريت وان مننت بالمراجعة شفعت المكارمة بالمكارمة وأتبعت المساهمة بالمساهمة وتطولت ان شاء الله والسلام العاطر الناضر عليك ورحمة الله (وكتب الى أحد اخوانه شافعا لرجل يعرف بالزريزير) ياسيدى الاعلى وعلق الاغلى وشهابى الاجلى ومن ابقاه الله والامكنة بمساعيه فسيحة والالسنة بمعاليه فصيحة موصله وصل الله جدك حيوان يصفر كل أوان ويسفر بين الاخوان رقيق الحاشية أنيق الشاشية يعتمد على كدواء ويستمع بجدواه ينظر من عين كانها عين ويلقط بمنقار كانه من قار أطبق على لسانه تخاله اغريضة في ثوب احريضة يسلى المحزون بالمقطع والموزون وينفس عن المكظوم بالمنثور والمنظوم مسكى الطيلسان تولد بين الطائر والانسان كما سمعت بسمع الفلاة وعمر بن السعلاة قطع من منابت الربيع الى منازل الصقيع ومن مطالع الزيتون الى مواقع السحاب الهتون فصادف من الجليد ما يذهب قوى الجليد ومن

البرد مالايدفعه ريش ولابرد والحدائق قد غضت أحداقها واقشعرت أوراقها والبطاح قد قيدت الفور بحبائل الكافور وأوقعت الصرد في شباك الصرد فبق البائس بما لم يعهده كأوسم بالزرزور ولم يشهده ولما قال رأيه وأخفق أو كاد سعيه التفت الى عطفة أشمط والى أدعة أرقط فساح ثم سوى الجناح وقد تذكر مزاجه ونسي ألحانه وأهزاجه ولاشك انه واقع بفنائك وراشف من انائك آمل حسن غنائك واعتنائك وأنت بارق ذلك العارض ورائد ذلك الانف البارض تهيء له حبا يجزيك عنه ثناء جميلا رحبا وقد تحفظ يا سيدي رسائل عذاب تسام بها أهل الآداب سوء العذاب ويدعى البطيء منهم الى الاهذاب (بسيط)

وابن اللبون اذا مالزّ في قرن * لم يستطع صولة البزل القناعيس

واذا ألقى كتابي اليك يفسر هذه الجملة عليك لازلت منافسا في العلوم آسيا للاحوال والكلوم ان شاء الله عز وجل وهو المستعان والسلام عليك ورحمة الله (ومن كلامه) في مقامة انشأها في الامير تميم بن يوسف أيده الله ووصلها بالقرطبية أولها قال فلان بن فلان ولما اجتليت مانصه واستوفيت ماقصه قلت أحق منزل ببرك فحثت الى الرواحل لاطوي المراحل آمل كعبة الآمال وقبلة الامال فبينا أنا أسير وقد لظى الهجير ولاقعيد ولاناطح الا الآكام والاباطح ولاسانح ولابارح الا الآل والبارح اذ رفع لي شخص يقربه ذميل ونص واذا فتى عليه برة تشهد له بالعزة يركب وجناء كأنها سبيكة لجين قد أخلصتها يد القين ويجنب دهماء تسبح سبحا وكأنها بالدل يباري صبحا فلما دنا وقف فطرف ووضع من لثامه وأوجز في سلامه فرددت كما رد العجل وتوقعت فوته فقلت من الرجل فقال (كامل)

انى امرؤ لايعتري خلقي * دنس يفنده ولا أفن
من منقر في بيت مكرمة * والاصل ينبت حوله الغصن
فصحاء حين يقول قائلهم * بيض الوجوه مصاقع لسن
لايفطنون لعيب جارهم * وهم لحفظ جواره فطن

قلت في كل عود نار واستمجد المرخ والعفار لله أنت فما أصون جارك وأكرم نجارك لم تدب الضراء ولم تمش الخمراء فالتفت نحوي عرضا قائلا الشبع بقرع

بعضه بعضا ثم أداه الاهتبال الى السؤال فقال أين أهلك وما هنالك قلت غرناطة فقال حيث الامة المشفقة المحتاطة والسدى والندى والامجاد والانجاد والاصراخ والانجاد والغور والنجاد أكرمت فارتبط قلت وما علمك بها فقال هى المطلع واليها بحول الله المرجع قلت دنا مرادك وأجدى مرادك وشتان قلت أرض جاهلها وقيل أرضا عالمها فنهم النزعة فقال سل عما بدا لك على الخبير سقطت (طويل)

أأجهلت فى الساعين أسأل عنهم * سؤالك بالشئ الذى أنت جاهل

قلت فسلاطينها فقال قصور تقر لها ارم بالقصور وسور أعين الحوادث عنه صور كأنه الثغر المبتسم والسلك المنتظم ومن شعره فيها (متقارب)

ترى الخيل يقتادها ذبلا * خفافا تبارى القنا الذابلا
ترى كل أجرد سامى التليل تحسبه غصنا مائلا
وجرداء ان أوجست صارخا * تذكرك الظبية الخاذلا
اذا شنون بأرض العدا * تصير عاليها سافلا
ولم أدر بدر تمام سواه * يسمونه الاسد الباسلا
أقام الصباح سماء عليه * وأقسم أن لا يرى آفلا
ولم تصرف الهول هماته * ومن يصرف القدر النازلا

(الوزير الكاتب أبو محمد بن سفيان رحمه الله تعالى)

من بلغت همته السماء وجلت أسرته الظلماء له الرتب المكينة وعليه الوقار والسكينة أخدم يراعه العوالى واستخدم الاحرار والموالى وأقام بدولة آل ذى النون وأقعد وتبوأ أسماكها واقتعد فسما به قدرها وهمى بسيبه قطرها وحسنت سيرها وأمنت غيرها وحمدت أيامها ووردت جمام الامانى خيامها وله أدب غض القاطف رطب المعاطف ان نثر فالنجوم فى أفلاكها أو نظم فالجواهر فى أسلاكها قد أخذ بمجامع القلوب كله وأغدق فى طرق الابداع قله وقد أثبت له ما تستهديه زهرا وترتديه بردا محبرا (فن ذلك) قوله يخاطب أبا عيسى بن لبون (وافر)

أبا عيسى أتذكر حين كنا * على هام الكواكب نازلينا
ندوس بخيلنا زهر الثريا * ونوردها المجرة ان ظمينا

وتنزل

وننزل جبهة الاسد اعتسافا * اذا ما البدر مرّ بها كمينا
ونطرق هودج العذراء وهنا * فنسدخله عليها آمنينا
اذا غنت لنا الجوزا مددنا * لحمل نطاقها منا يمينا
وان عرضت لنا كف الثريا * سلبناها الخلاخل والبرينا
اذا ما غار من دوننا سهيل * على الشعرى نخلت به حزينا
تجاوزنا العبور الى الغميصا * ولم نرهب شجاعهم المبينا

(وله) مراجعا الى الحاجب ذى الرياستين أبى مروان بن رزين رحمه الله (بسيط)

يا ابن الملوك أتتني عنك معجزة * تنأى وان قربت فى عين رائيها
يشق سامعها من جيبه طربا * ويسمع الصخرة الصماء راويها
لو أن هاروت لاحت لناظره * لقال ما السحر الا بعض ما فيها
سماء ذهن لا بل روضة رشفت * ماء الغمامة فاخضرت حواشيها

ومن بديعه الحسن ومطبوعه المستحسن هذه القطعة يخاطب بها القادر بالله يحيى بن ذى النون رحمه الله (كامل)

خطبت بسبقى فى الزمان براعة * سجدت الى كفى وصلى المنصل
أولست من وطئ السماء تأودا * وسما فقد سفل السماك الاعزل
أغشى العوالى والمعالى بأسها * وأقول فى الخطب البهيم فأفصل
ومتى أعد ليلا لنهار صحيفة * وضحت كواكبه عليه تهلل
واذا أجلت جياد فكرى فى مدى * سبقت فكبر حاسدون وهللوا
رمدت عيون الحاسدين أما ترى * قمر العلا والمجد ليلة يكمل
ما الذنب عندهم ودونك فاخبرن * الا هوى بالمكرمات موكل
هم الى صرف العلا مصروفة * ويجى أقوام وقد تزحزح يذبل
وبلاغة بلغت بنا آفاق الدنا * وغدت تحية من يقيم ويرحل
ولئن يضع فضلى ويذهب نقصهم * صعدا فأرجح كفة من يسفل
فلأغشين الحادثات بصارم * خذم غراره حريق مشعل
وبصيرة تذر العقول لو انجحا * فكأنما فى كشفهن تخيل
ومشرب كالنار ان يذهب به * حصر وان يسكن فماء سلسل
نهد اذا استنهضته لملمة * أعطاك عفوا عدوه ما تسأل

قيد الاوابد والنواظر ان بدا * قلت الجواد أم الحبيب المقبل
ومفاضة زغف كأن قتيرها * ماء الغدير جرت عليه الشمال
ترد العوالى منه شرعة حتفها * وتعب فيه مناصل فتفلل
وصرائم بيض الوجوه كأنها * سرج توقد أو زمان مقبل
شيم عمرن ربوع مجد قدخلت * فأضاء معتكر وأخصب ممحل

(وكتب) الى الوزير أبى محمد بن القاسم كتبت وماعندى من الود أصفى من الراح وأضوأ من سقط الزند عند الاقتداح وليس فيما أدعيه من ذلك لبس كيف وهو ماتجزى به نفسا نفس فان شككت فيه فسل ماتنطوى لى جوانحك عليه أو اتهمته فارجع الى ما أرجع عند اشتباه الامر اليه تجده عذبا قراحا سائل الغرة تياحا ولم لايكون ذلك وبيننا أذمة تجل أن تحصى بالحساب بيض الوجوه كريمة الاحساب لو كانت نسيم الكانت بليلا أو كانت زمانا لم تكن الا سحرا أو أصيلا (فراجعه أبو محمد برقعة فيها) كتبت عن ود لا أقول كصفو الراح فان فيها جناحا ولا كسقط الزند فربما كان شحاحا ولكن أقول أصفى من ماء الغمام وأضوأ من القمر متوافى التمام (فراجعه عنها) كتبت أدام الله عزلك عن ود كماء الورد نفحة وعهد كصفائه صفحة ولا أقول أصفى من صوب الغمام فقد يكون معه الشرق ولا أضوأ من قمر التمام فقد يدركه النقص ويمحق وليس ما وقع فيه الاعتراض مختصا بصفو الراح ولا بسقط الزند عند الاقتداح فان أمور العالم هذه سبيلها وجياد الكلام تجول كيف شاء مجيلها وانما نقول ماقيل ونتبع ما أجاد التحصيل وحسن التأويل فنستعير ما استعاروا ونسير من التمليح فى القول الى ماساروا وبين أيامنا زرد من الراح الجناح ولا من الزند الشحاح ولا من ماء الورد مافيه من مادة الزكام ولا زيادة فى بعض الاسقام (وله متغزلا وهو مما تبوأ فيه الاحسان منزلا) (بسيط)

ياضرة الشمس قلبى منك فى وهج * لو كان بالنار لم تسكن ذرى حجر
أبيت أسهر لا أغفى فان سنحت * اغفاءة فكمثل اللمح بالبصر
اذا رأيت الدجى تعلو غواربها * والنجم فى قيده حيران لم يسر
أقول ما بال بازى الصبح ليس له * وقع وما لغراب الليل لم يطر
فان سمحت بوصل أو بخلت به * شكوت ليلى من طول ومن قصر

لا أفقد النجم أرعاه وأرقبه * فى الوصل منك وفى الهجران من قمر

(وله فصل من رقعة) عمادى الاعلى أعزه الله شهاب اذا أظلم أفق ووفاء اذا ضاع عند كريم حق لا جرم انه للسرو منار ولمسيل الصفو قرار به أنار ما أظلم واستكمل ما نقص من بهاء أدب واستتم هذا ولم يبلغ أشده ولا استوفى فيما كمال حده فكيف اذا أغر زهره وأبدر قمره وتجاوز فى الانتهاء رتبة وحاز الى الطبع الكريم دربة فسما ليحرز المعالى وليخدم البراع العوالى وان أبى ذلك آب أو نبا فيه عن فهم الحقيقة ناب ومجده أنا ان لم أراجعه عتابه به أسعدى واثقب بنواحى الفضل منه ازندى فلان القلم جمح فى ميدان ما شرع والكلم تعلق بافنان ما اخترع فكان كالزهرة قطفت من رياضه والنغبة ارتشفت من حياضه ومحال ان أدعى معه صناعته أو أهدى اليه بضاعته وله متغزلا (كامل)

نفسى فداك وعدتنى بزيارة * فظللت أرقبها الى الامساء
حتى رأيت قسيم وجهك طالعا * لم تنتقصه غضاضة استخفاء
فعلمت أنك قد حجبت وأنه * لوراء وجهك ما سرى بسماء

(وله) الى أبى أمية ابراهيم بن عصام يعرض بأحد الملوك رحمهم الله (منسرح)

امرر بقاضى القضاة ان له * حقا على كل مسلم يجب
وقل له ان ما سمعت به * عن سر من راء كله كذب
قد غرنى مثل ما غررت به * لجنته يستخفنى الطرب
حتى اذا ما انتهيت صرت الى * سراب قفر من دونه حجب
وملة للسماح ناسخة * لها نبى الهه الذهب

(وله) الى أبى أمية وقد كتب اليه عين زمانه فوقعت نقطة على العين فتوهمها واعتقدها وعددها وانتقدها (كامل)

لا تلزمنى ما جنته براحة * طمست بريقتها عيون ثنائى
حقدت على لزامها فتوكلت * أفمى تمج سمامها بسخاء
غدر الزمان وأهله عرف ولم * أسمع بغدر براحة وإناء

(ذو الوزارتين أبو الحسن بن الحاج رحمه الله)

شيخ الجلالة وفتاها ومبدأ الفضائل ومنتهاها مع كرم كانسجام الامطار وشيم

كالنسيم المعطار أقام زمناً في المدامة معتكفاً ولثغور البطالة مرتشفاً لا يفيق ولا يعلا ولا يروح الا بنشوة مشتملا وجوده أبداً عاطل وجيده الا من المعالي عاطل ثم فاء عن تلك الساحة واختار تعب النسك على تلك الراحة فراح حليف خشوع وأصبح بين سجود وركوع وله شعر له في النفس شروق وكأن الحسن منه مسروق وقد أثبت منه أنواعاً يضم عليها الاستحسان جوانح واضلاعا ويحلها من تجويده منازل ورباعا (أخبرني الوزير) أبو عامر بن يشتغير أنه حضر معه في مجلس ابن لبون في يوم صرف عنه الزمان صرفه وغمض فيه الحدثان طرفه وزفت اليه الاماني أبكارها وأطلعت عليه شموسها وأقمارها وهزت فيه المدام أعطاف ندامه وصار السعد من خدامه وذو الوزارتين أبو الحسن بن الحاج قد تنسك وعف وأمسك عن الشهوات وكف ولم تبق فيه للطرب الابقية لا تقبل انسا ولا تستحسن من أجناس اللهو جنسا فحياه فتى وسيم بكاس متمسكا عليه ومتواقعا وطامعا أن يخرق من توبته ما غدا له راقعا وأطمعه بفتور لحظ حسب أنه يفتنه وتشوف فيه فتنه فأعرض عنه اعراض زاهد غير كلف بالمحاسن ولا واجد وقال (كامل)

ومهفهف مزج الفتور بشدة * وأقام بين تبذل وتمنع
يثنيه من فعل المدامة والصبا * سكران سكر طبيعة وتطبع
اومالي بكاسه فرددتها * وذنا فشفعها بلحظة مطمع
والله لولا أن يقال هوى الهوى * منه بفضل عزيمة وتورع
لذهبت من تلك السبيل مذهبي * فيما مضى ونزعت فيه منزعي

وله في أبي أمية بن عصام (كامل)

لي صاحب عميت على شؤونه * حركاته مجهولة وسكونه
يرتاب بالامر الجلي توهما * واذا تيقن نازعته ظنونه
ما زلت أحفظه على شرفي به * كالشيب تكرهه وأنت تصونه

وله في ذلك المعنى (منسرح)

أسهر عيني ونام في جذل * مدرك حظ سعى الى أجل
دنياه مقصورة عليه فما * يطويها طائر لذي أمل
قد لفقت بالمحال فاجتمعت * من خدع جمة ومن حيل

كم محنة قد بليت منه بها * وهو يرى انه بليد قبلى

وله فى ذلك (وافر)

أخ لى كنت آمنه غرورا * يسر بما أساء به سرورا
هو السم الذعاف لشاربيه * وأن ابدى لك الارى المشورا
ويوسعنى اذى فأزيد حلما * كما جذ الذبال فزاد نورا

وله فى الغزل (خفيف)

من عذيرى من فاتر ذى جفون * صلن فى صولة القدير الضعيف
علق مجد علقته وقديما * همت بالحسن فى النصاب الشريف
يطلع الشمس فى المساء ويهدى * زاهر الورد فى زمان الخريف
يا مديرا من سحر عينيه خمرا * أنا مما أدرت جد نزيف
علل المستهام منك بوعد * وليت الخيار فى التسويف

وله فى مثل ذلك (سريع)

آه لما ضمت عليه الجيوب * من زفرات وقلوب تذوب
جاء بى الحب الى مصرعى * فى طرق سالكها لا يؤب
واستلبت عقلى خمصانة * نابت مناب الشمس عند الوجوب
يسحرنى منها اذا كلمت * وجه مليح ولسان خلوب
تقول ان أشكو اليها الهوى * سبحان من ألف بين القلوب

وله فى مثل ذلك (طويل)

أزورك مشتاقا وأرجع مغرما * وأفتح بابا للصبابة مبهما
أمدعى السقم الذى أدعى له * عزيز علينا أن تصح وتسقما
منعت محيا منك أبسر لحظة * تبل غليل الشوق أو تنقع الظما
وما رد ذاك السجف حين رميته * عن القلب سهما من هواك مصمما
هوى لم تعن عين عليه بنظرة * ولم يك الا سمعة وتوهما
وملتقطات من حديث كأنما * تثير به سلك الجمان المنظما
دعون اليك القلب بعد نزوعه * فأسرع لما لم يجد متلوما

وله الى القاضى أبى أمية (طويل)

تقاصر ظل منك وازور جانب * وأحرز حظى من رضاك الاجانب

وأصبح طرفا من صفاتك مترعى * وأى صفاء لم تشبه الاشائب
رويدا فلى قلب على الخطب جامد * ولكن على عتب الاحبة ذائب
وحسبك اقرارى بما أنا منكر * وانى مما لست أعلم تائب
أم ادنظر افى سالف العهد انه * لأوكد مما تقتضيه المناسب
ولا تعقب العتبى بعتب فانما * محاسنها فى أن تتم العواقب
وأغلب ظنى أن عندك غيرما * ترجمه تلك الظنون الكواذب
لك الخير هل رأى من الصفح ثابت * لديك وهل عهد من السمح آيب
بعث ركابى أننى بك هائم * وينى عنانى اننى لك هائب
وان سؤتنى باسخط فى غير معظم * فها أنا منك اليوم نحوك هارب

(وله الى ذى الوزارتين أبى بكر بن رحيم) فى محرم سنة سبع عشرة وخمسمائة (منسرح)

يادوحة ما يرعها ثمر * وروضة كل نبتها زهر
يا مزنة لا تغب نافعة * والمزن فى طول صوبه ضرر
يا منهلا قد صفا فلا كدر * يصد عن ورده ولا خطر
يا عصرة الحرجين لا عصر * يوجد فى حادث ولا اسر
برك ذاك الخفى أثقلنى * وحمل مالا أطيقه خطر
فلتعفنى من نداك تتبعه * حسبك ما لقيت يا عمر
قد ذهبت جلة الوفاء فما * فى الناس خبرها ولا خبر
وصرت فى معشر عقودهم * تعدوا اذا كملت أو نظروا
بنى رحيم ركبتم سننا * فى المجد لا يقتفى له أثر
كل أفانين بركم عجب * وكل أيام دهركم غرر

وله (كامل مجزوء)

عجبا لمن طلب المحا * مد وهو يمنع ما لديه
ولباسط آماله * فى المجد لم يبسط يديه
لم لا أحب الضيف أو * أرتاح من طرب اليه
والضيف يأكل رزقه * عندى ويحمدنى عليه

(وله رمل)

كل من تهوى صديق ممحض * لك مالا تتـــقي أو ترتجي
فاذا حاولت نصرا أو جدا * لم تقف الاسباب مرتج

وله يتغزل (طويل)

وبيضاء ينبو اللحظ عند التفاتها * وهل تستطيع العين تنظر في الشمس
وهبت لها نساعني كريمة * وقد علمت ان الضنانه بالنفس
أعالج منها السخط في حالة الرضا * ولا أعدم الايحاش في ساعة الانس

وله مع تفاح أهداه (وافر)

بعثت بها ولا آلونك جهدا * هدية ذي اصطناع واعتلاق
خدود أحبة وافين صبا * وعدن على ارتماض واحتراق
فحمر بعضها خجل التلاقي * وصفر بعضها وجل الفراق

وله في زرزور (كامل)

يارب أعجم صامت لقنته * طرف الحديث فصار أفصح ناطق
جون الاهاب أعيرفوه صفرة * كالليل طرزه وميض البارق
حكم من التدبير أعجزت الورى * ورأى بها المخلوق لطف الخالق

وله يعاتب المعتمد بن عباد لما أجرى مرتبه على يد ابن ماض (وافر)

عدمت بصيرتي وسداد رأيي * ولوعا بالحديث المستفاض
وصرت مؤملا أملا لحص * ورود الهيم مسفرة الحياض
وردناها فألفينا أمورا * مصرفة على رأى ابن ماض
كأن رئيسها الاعلى يتيم * يدور عليه منه حكم قاض
وان من الغرائب أن مثلي * يحل بهم فيرحل غير راض

وله عند انفصاله من اشبيلية (طويل)

تعزعن الدنيا ومعروف أهلها * اذا عدم المعروف في آل عباد
أقمت بهم ضيفا ثلاثة أشهر * بغير قرى ثم ارتحلت بلا زاد

وله (بسيط)

كم بالمغارب من اشلاء محترم * وعاثر الجد مصبور على الهون
أبناء معن وعباد ومسلمة * والحميريين باديس وذي النون
واحوالهم في هضاب العزابنية * وأصبحوا بين مقبور ومسجون

وله (طويل)

كفى حزناً أن المشارع جمة * وعندى اليها غلة وأوام
ومن نكد الايام أن يعدم الغنى * كريم وأن المكثرين لئام

وله يتغزل في معذر (متقارب)

أبا جعفر مات فيك الجمال * فأظهر خدك لبس الحداد
وقد كان ينبت زهر الرياض * فأصبح ينبت شوك القتاد
أبن لى متى كان بدر السما * يبدل بالكون أو بالفساد
وهل كنت في الملك من عبد شمس * فأخفى عليك ظهور السواد

وله يتغزل (كامل)

ومعذر رقت محاسن وجهه * فقلوبنا وجداً عليه رقاق
لم يكس عارضه السواد وانما * نفضت عليه صباغها الاحداق

* (ابنه ذو الوزارتين أبو محمد أبقاه الله تعالى) *

له بدائع مأنسات الاعطاف مستعذبات الجنى والقطاف تتبسم أزاهر كمام وتتوسمها بدر تمام وترودها روضة مجاورة وتراها على الاعجاز مجبولة مفطورة وتخالها كواعب في خيام الافهام مقصورة وتثنيها اليك افنانا بأيدى الاذهان مهصورة مع تفاوت معلواته وتهافت أدواته وكرمه المنسجم الغمائم وهممه السامية مذ نيطت عليه التمائم فمن ذلك رقعة خاطبنى بها يا سيدى أبا النصر أبقى العصر منى الوزارة وسنى الامارة كيف أساجلك في الادب وأنت ملأ الدلو الى عقد الكرب وأنا امتاح من وشل وأستنجد بفشل وأستعين بنفس قد شعب الدهر اجتماعها وقصر باعها وأملها عطية كريمة عندما أظهر سواها شيمة ذميمة وهى الايام جرت بها الكرام ولا أبعد وأنت الماجد الاصيد تحالفك فيما تعد والدول تتقول لو حلى عاطل أجيادنا وتولى تصريف انجادنا وجيادنا لمكان اشراقنا روق كما طلعت البروق فهى تعترف والحظ لا ينصف وصباها تلين ولعل اسعادها يبين فتنتجز للعفو وعدا وتردلنا النعماء عدا ان شاء الله (ووافيت بالنسبة) صادراً عن سرقسطة فكتب الى مستدعياً فسرت الى مجلس منتضد بالآس مشيد بالايناس معزز الجلاس معطر الانفاس فتنادير الانس وتعاطاه وقد وسد السرور خدودنا ابردى ارطاه فلما كان

من الغد كتب الى * واحدى أبا النصر منق الوزارة كيف استنسق لموضع اجتلالك وحسبه صوب نوالك وامترى الغمام لمنازلك وكفاها فيض أناملك ترسل من نوافلها دررا وتنظم فى لبات الزمان من محاسنها دررا فسما أولا وقفة حنت عليها من دواعك عطفة انهزتها مولعا بجلالك صبا وقد يؤخذ العلق الممنع غصبا مالاح للانس علم ولاسكن لنوال ألم فانما ألمعت بساعات قربك الماعا ملأت بها عيونا وأسماعا ومددت فيها للادب والجبن باعا وساعا لم تمتع بحفظها حتى جعلت تسلمها وداعا فلئن رحلت فان هذه نفوس تشيع وقلوب تذوب فتدمع وما هى أبا النصر الابديهة خاطر فى التعرض لك مخاطر ارجو لسكف شباة نقدك عنها فضل ودك ولمأمول اغضائك باهر علائك فلازالت حلالك رائقة وعلالك شائقة ان شاء الله

(الوزير الكاتب أبو محمد بن عبدون رحمه الله تعالى)

منتمى الاعيان ومنتهى البيان المطاول لسحبان والمعارض لصعصعة بن صوحان الذى أطلع الكلام زاهرا ونزع فيه منزعا باهرا نخبة العلاء وبقية أهل الاملاء الشامخ الرتبة العالى الهضبة الذى فاق الافراد والافذاذ ومشى فى طرق الابداع الوخد والاغذاذ وراقت رقة ما يحويه العراق وبغداذ له الادب الرائق البهج والمذهب العاطر الارج فاز بمقاد الانتقاد وأمسك عن عنان الافتنان وقد أثبت له من البدائع الروائع ما هو أصفى من ماء الوقائع وأبهى من الشمس فى المطالع حللت يابرة فأنزلنى واليها بقصرها ومكننى من جنى الامانى وهصرها فأقت لى أجر على المجرة ذيلى وتطارد فى ميدان السرور خيلى فلما كان من الغد باكرنى الوزير أبو محمد مسلما ومن تنكبى عنه متألما ثم عطف على القائد عاتبا عليه فى كونى لديه ثم انصرف وقد أخذنى من يديه فحللت عنده فى رحب وهمت على من البر أمطار سحب فى مجلس كأن الدرارى فيه مصفوفة أو كأن الشمس اليه مزفوفة فلما حان انصرافى وكثر تطلعى الى قيامى واستشرافى ركب معى الى حديقة نضرة مجاورة للحضرة فأقمنا عليها أيدى عيسنا ونلنا منها ما شئنا من تأنيسنا فلما امتطيت عزمى وسددت الى غرض الرحلة سهمى أنشدنى (طويل)

سلام يناجى منه زهر الربا عرف * فلا سمع الا ود لو أنه أنف

حنيني الى تلك السجايا فانها * لآثار أعيان المساعى التى أقفو
دليل اذا ماضل فى المجدكوكبى * وان لم يعقه لا غروب ولا كسف
نأى لانأى عهد التواصل بيننا * فجد به رسم التواصل لا يعفو
وأطلعه يستام العقول كأنما * يلاحظنا من كل حرف له طرف
تقابلنا منه السطور بواسما * أثغر تفترى عن لمى الخبرام حرف
معان وألفاظ كمارق زاهر * من الروض أودارت معتقة صرف
تحل حبا الاحلام هزا كأنما * اسامعها فى كل جارحة عطف
يود بجدع الانف شانيك أنها * لناظره كحل وفى اذنه شنف
فأنت الذى لولاه مافاه لى فم * ولا شجعت نفس ولا كتبت كف
نصيرى أبا نصر على الدهر لاالنوى * فمنك لنا نصر وأنت لنا كهف
رحلت ولا شسعى ولامس كبى مى * فلا حافر يقفى ودادى ولا خف
ولست على التشييع ان سرت قادرا * فلا عيشة تصفو ولا ريشة تضفو
عزيز على الدنيا وداعك لى غدا * فلا أدمع تهمى ولا أضلع تهفو
سأشكو اليك البين حسبى وياله * ولو غيره ماضاق عدل ولا صرف
اقلى بلى أشكو اليك لياليا * مضت وعلى اظفارها من دمى وكف
وان حبيبا بنت عنه لعاطل * وان عرينا غاب عنك لملتف

وله (متقارب)

سقاها الحيا من مغان فساح * فكم لى بها من معان فصاح
وحلى أكاليل تلك الربا * ووشى معاطف تلك البطاح
فما أنس لا انس عهدى بها * وجرى فيها ذيول المراح
ونومى على حبرات الرياض * يجاذب بردى مر الرياح
بحيث لم أعط النهى طاعة * ولم أصغ سمعا الى لى لاح
وليل كرجعة طرف المريب * لم أدره شفقا من صباح

وله (وافر)

أخلانى وفى قرب الصدور * ظباء تقضى على قم الدهور
وقد ضمت جوانحنا قلوبا * أبت غير القبور أو القصور
اذا الكرماء باتت تحت ضيم * فما فضل الكبير على الصغير

فقبل أبي المدينة قيس عبس * ولم يصغ الى قول العشير

وله (متقارب)

وما أنس ليلتنا والعشا * قد مزج الشكل منا بكل

الى ان تقوس ظهر الظلام * واشمط عارضه واكتهل

ومس رقيق رداء النسيم * على عاتق الليل بعض البلل

وله (كامل)

هل تذكر العهد الذي لم أنسه * ومودتي مخدومة بصفاء

ومبيتنا في نهر حمص والحيا * قد حل عقد حبابه بالصهباء

ودموع طل الليل تخلق أعينا * ترنو الينا من عيون الماء

وله (طويل)

وما أنس بين النهر والقصر وقفة * نشدت بها ما ضل من شارد الحب

رميت بعيني رمية جمحت بها * فلم انتهى الا ومجروحها قلبي

وله (وافر) أقول لصاحبي قم لا بأمر * تنبه ان شأنك غير شأن

لعل الصبح قدوا في وقامت * على الليل النوائح بالاذان

وله (طويل)

صرت على الايام من كل جانب * أصعد فيها تارة وأصوب

بنيرني الثغران صبح وصارم * ويكتفي القلبان ليل وغيهب

وقد لفظتني الارض الا تنوفة * يحدثني فيها العيان فيكذب

وله والقسم الاول للمتوكل بن الافطس (مجتث)

الشعر خطة خسف * لكل طالب عرف

للشيخ عيبة عيب * وللفتى طرف ظرف

(وكتب) الى مراجعا قدرماني على فوت من بياني بيانك وقد تولى احسانى وارجح احسانك بعينين من النظم والنثر جلاوتين لو رقرقهما النوء الثريا اتهلل برقها واستهل ودقها وفصلين من در وياقوت بل أصلين من سحر هاروت وماروت اذ لمحت النثرقات لو نظم هذا الفسد واذا تصفحت النظم قلت لو نثر هذا التبدد ولئن أشرعت الى من البيان رماحا فيه نصلان مامن طرفيه الاعاليه ركب فيه سنان قاض ولامن شفرتيه الافاربة لا يثبت لهاجنان ماض

وما يلتقى من كتائب الكتابة ومقانب الخطابة بطفيلها وبابنه عامر قائد خيلها وبابى براء ملاعب أسنتها وبابن الصمة صاحب أعنتها ودريدها بن نقيبه وزفرها كثرة عدة منها وكتيبه فالى أى لامة تسدد رماحك وعلى أى هامة تجرد صفاحك هل تجد الامن يمر بين يديك فى شخص ضئيل وينظر اليك من طرف كليل وهل تحس الاضلوعا من ساكنيها اقفارا أودموعا من التأسف على التخلف حارا ولا تستعد الابالتسليم لسبقك والتعظيم لحقك انصارا بأدنى لمحة من تيمك أونظيم فيرد من الاوهام والافهام كل لفحة ولو كانت من نار ابراهيم وتركد من البصائر والخواطر كل نفحة ولو كانت من الريح العقيم دع ذا وعد القول فى هرم هذا الزمان معلى همم الاعيان جمال الدين والدنيا الرئيس الاسق أبى يحيى وأقسم بمساعيه العظام وأياديه الجسام الحلية لاعناق الكرام المزرية باطواق الحمام لقد نشرت عليه ثوب احسان تقصر عنه صنعة قس وسحبان وانه لا يبصر بكرامة الضيفان من زرقاء اليمامة بعسكر حسان واماذلك المصحف المبدل للمعانى والاغراض المقابل لما لا يفهمه بالاعتراض فالحساب لما طنّ الذباب اذا طنّ لا يناوبه بصفيره العصفور فكيف يجاوبه بزئيره الليث الهصور ولولا تعريت الزمان بذكره وتلويث الاوانى بقبائحه ونكره لأريتك من خطله وزلله ما يضحك الثكلى ويستدرك به الجاحظ باب النوكى دع عنك رواحل الضليل والاشتغال بالاباطيل من الاقاويل ألحق الله ثانية ابن أبى سلمى بخيار أهل ملته فلقد انتفع السلف والخلف بحكمته ونادى عليه لسان الزمان فأسمع من كانت له اذنان وكأنه ما عنى غير ذلك الانسان وان كان فى غير هذا الاوان (طويل)

وذى خطل فى القول يحسب أنه * مصيب فما يلمم به فهو قائله
عبأت له حلما وأكرمت غيره * وأعرضت عنه وهو باد مقاتله

وفى القطر الذى انت فيه أدام الله بسطة ناصره وحاميه ووصل عزة حاضره وباديه شرف قديم وسلف كريم وآداب وعلوم وألباب وحلوم وأودية يجتابها الفضل والطول عذاب واندية يتشابه القول والفعل رحاب وعليك سلام الله مالاح شهاب ووكف سحاب

(الوزراء بنو القبطرنية من أهل بطليوس)

هم للمجد كالأثافى وما سواهم الاموفور القوادم والخوافى ان ظهروا زهروا

وان تجمعوا تضوعوا وان نطقوا صدقوا ماؤهم صفو وكل واحد منهم
اصاحبه كفو أنارت بهم نجوم المعالى وشموسها ودانت لهم أرواحها ونفوسها
ولهم النظم الصافى الزجاجة المصقول الفجاجة وقد أثبت منه ما ينفع عطرا
ويسفح قطرا فمن ذلك ما كتب به الى أبو محمد منهم (طويل)

ابا النصران الحق لاشك عاذر * وان زمانا شاء بينك جائر
فلا توجت من بعد بعدك راحة * براح ولا حنت عليها المزامر
ولا كحلت من بعد نأيك مقلة * بنوم ولا ضمت عليها المحاجر
ولى رغبة جاءتك وهى مدلة * تسوق اليك الحمد وهو أزاهر
لتعلم أنى عن جوابك عاجز * ومعتذر فيه فقل أنا عاذر
وكيف اجارى سابقا لم تقم له * هبوب الصبا والعاصفات الخواطر
اذا قيل من هذا يقولون كاتب * وان قيل من هذا يقولون شاعر
وان أخذ التحقيق فيه بحقه * وقيل ومن هذا يقولون ساحر
تشيعك الالباب وهى أواسف * وتتبعك الالحاظ وهى مواطر

وله (كامل)

ياصاحبى تنبها المدامة * صفراء تجلى فوق كف أحور
واستقبلا برد النسيم وطيبه * تحت الدجى فوق الكثيب الاعفر
واستعملاها سكرة تروية * قبل الصباح وقبل صوت العصفر
فاليوم بين محدث ومخبر * وغدا ترى أحدوثة المستخبر

وله (رمل مجزوء)

ياخليلى لقلب * نيل من كل الجهات
لم ان هام بربا * بالبنينا والبنات
وبان صادنه سمر * بين بيض خافرات
بلحاظ ساحرات * وجفون فاترات
وبجيد الظبية ارنا * عت فظلت فى التفات
وبعينى مغزل تر * عى غزالا فى فلاة
تمشى بين أترا * ب لها حور لذات
وعليها الوشى والخز وبرد الحبرات

واعهيا لما التقينا * مادرت من فتكات
منيرت ذعرا فقلنا * واها للعاثرات
فضحكت عجبا وقالت * لا تخص الفتيات
راجعيه ثم قولي * ائتنا في السمرات
وارقب الاعداء واحذر * للعيون الناظرات
فاذا أعلق فيها النوم اشراك السنات
وطلا البدر جلابيب لباس الظلمات
فاطرق الحي تجدنا * في ظهور الحجرات
فالتقينا بعد يأس * بدليل النفحات
وتلازمنا اعتناقا * كالتواء الالفات
وبثثنا بيننا شجوا * واكتفت الراقيات
وبردنا لوعة الحب بماء العبرات
وتشاغلنا ولم نعلم بأن الصبح آت
وبدت منه تباشير ومشيب في شتات

وله (طويل)

ومنكرة شيبي لعرفان مولدي * ترجع والاجفان ذات غروب
فقلت بسوق الشيب من قبل وقته * زوال نعيم أو فراق حبيب

وله يخاطب الوزير أبا محمد بن عبدون (بسيط)

يا خابط الليل فوق الفوق الجون * مسهدا لجفن يحدو والبين بالبين
يكابد النوم قد مالت عمامته * أبلغ معطرة عني ابن عبدون
مسكية ربعت في حومل وشنت * بالجزع ما بين قيصوم ونسرين
وزارت الغور طورا وسارية * ساري الجنوب على اكتاف دارين
تذكر العهد قد شدت أواخره * ورائة عن سطاعيم مطاعين
وتحمل الود قد صانت أواخره * اصالة من مناجيب ميامين
ورغبة تجعل العليا متوجة * اليك عن صاحب بالغيب مأمون

وله (وافر مجزوء)

اذا ما الشوق أرقني * وبات الهم من كثب

فضضت العابنة الحمرا * عن صفراء كالذهب

(وله) في زوجه وقد أقلقه الحزن وتدفقت دموعه مثل المزن (بسيط مخلع)

يا كوكب أسعدا حزينا * اسهر ليل القريض عينه

يا ويلتي كان لي حبيب * فرق بيني المدى وبينه

أهون وجدي على نواه * وجد جميل على بثينه

وله فيها أيضا (وافر)

معاذ الله أن اسلو ببدر * وأن أصبو الى كاس وخمر

ولا لاراكة نهضت بحقب * ولا لروادف وهضيم خصر

ولا تفاحة طلعت بخد * ولا رمانة نبتت بصدر

وان ألهو من الدنيا بشئ * وأم الفضل يا أسفي بقبر

(وبات) مع أخويه في أيام صباه واستطابة جنوب الشباب وصباه بالمنية المسماة بالبديع وهي روض كان المتوكل يكلف بموافاته ويبتهج بحسن صفاته ويقطف رياحينه وزهره ويقف عليه اغفاءه وسهره ويستفزه الطرب متى ذكره وينتهز فرص الانس فيه روحاته وبكره ويدير حمياه على ضفة نهره ويخلع سره فيه لطاعة جهره ومعه أخواه فطاردوا اللذات حتى أنضوها ولبسوا برود السرور وما نضوها حتى صرعتهم العقار وطلحتهم تلك الاوقار فلما همّ رداء الفجر أن يندى وجبين الصبح ان يتبدى قام الوزير أبو محمد فقال (خفيف)

يا شقيقي وافى الصباح بوجه * ستر الليل نوره وبهاؤه

فاصطبح واغتنم مسرة يوم * ليست تدري بما يجي مساؤه

ثم استيقظ أخوه أبو بكر فقال (خفيف)

يا أخي قم ترى النسيم عليلا * باكر الروض والمدام شمولا

في رياض تعانق الزهر فيها * مثل ما عانق الخليل خليلا

لا تنم واغتنم مسرة يوم * ان تحت التراب نوما طويلا

ثم استيقظ أخوهما أبو الحسن وقد ذهب عن عقله الوسن فقال (بسيط)

يا صاحبي ذرا لومي ومعتبتي * قم نصطبح خمرة من خير ما ذخروا

وبادرا غفلة الايام واغتنما * فاليوم خمر ويبدو في غد خبر

وللوزير أبي بكر منهم مراجعالي (طويل)

الى الله مني ما لقيت برقعة * ودني وأجت في ضلوعي مكاويا
أتمتق أبا نصر وأنسى معرّس * عزائم عزت في نوالك عزائيا
بطرس وحبر راثقين تطلعا * من الحسن اسطارا فعدن افاعيا
لدغن فؤادي اذ يثنين لي النوى * فأصبحت لا الفي لبيني راقيا
فهذي دموعي تستهل صبابة * ونفسي من وجد تحل التراقيا

وله يستدعي (متقارب)

دعاك خليلك واليوم طل * وعارض خد الثرى قد بقل
لقدر ين فاحا وشمامة * وابريق راح ونعم المحل
ولو شاء زاد ولكنه * يلام الصديق اذا ما احتفل

وله في مثل ذلك (متقارب)

هلمّ الى روضنا يا زهر * ولح في سماء المنى يا قمر
هلمّ الى الانس سهم الاخاء * فقد عطلت قوسه والوتر
اذا لم تكن عندنا حاضرا * فما الغصون الاماني ثمر
وقعت من القلب وقع المنى * وحسنت في العين حسن الحور

وله الى الوزير أبي الحسن بن سراج بقرطبة يذكر لمة من اخوانه (كامل)

يا سيدي وأبي هدى وجلالة * ورسول ودّي ان طلبت رسولا
عرّج بقرطبة اذا بلغتها * بأبي الحسين وناده تعويلا
فاذا سعدت بنظرة من وجهه * فاهد السلام لكفه تقبيلا
واذكر له شوقي وشكري مجملا * ولو استطعت شرحته تفصيلا
بتحية تهدى اليه كأنما * جرّت على زهر الرياض ذيولا
وأشمّ منها المصحفيّ على النوى * نفسا ينسي السوسن المبلولا
والى أبي مروان منها نفحة * تهدي له نور الربا مطلولا
واذا لقيت الاخطل فأسقه * من صفو ودّي قرقفا وشمولا
وأبا علي بل منها ربعه * مسكا بماء غمامة محلولا
واذكرا لهم زمنا يهب نسيمه * أصلا كنفث الراقيات عليلا
مولى ومولى نعمة وكرامة * وأخا اخاء مخلصا وخليلا
بالعبر لا عبست هناك غمامة * الا تضاحك اذخرا وجليلا

يوما ولـولا كان ذلك كله * سحرا وهذا بكرة وأصيلا
لا أدركت تلك الاهلة دهرها * نقصا ولا تلك النجوم أفولا

الحير الذي ذكره هنا هو حير الزجالي خارج باب اليهود بقرطبة الذي يقول فيه أبو عامر بن شهيد (متقارب)

لقد أطلعوا عند باب اليهو * د شمسا أبى الحسن أن تكسفا
تراه اليهود على بابها * أميرا فتحسبه يوسفا

وهذا الحير من أبدع المواضع وأجملها وأتمها حسنا وأكملها صحنه مرمر صافي البياض يخترقه جدول كالحية النضناض به جابية كل جنة فيها كابية وقد قرنست بالذهب واللازورد سماؤه وتأزرت بهما جوانبه وأرجاؤه والروض قد اعتدلت أسطاره وابتسمت من كمائمها أزهاره ومنع الشمس أن ترمق ثراه وتعطر النسيم بهبوبه عليه ومسراه شهدت به ليالي وأياما كأنما صورت من لمحات الاحباب أو قدت من صفحات أيام الشباب وكانت لابي عامر بن شهيد به فرج وراحات وغدوة وروحات أعطاه فيها الدهر ما شاء ووالى عليه الصحو والانتشاء وكان هو وصاحب الروض المدفون بازائه أليفي صبوة وحليفي نشوة عكفا فيه على جريالهما وتصرفا بين زهوهما واختيالهما حتى رداهما الردى وعداهما الحمام عن ذلك المدى فتجاورا في الممات تجاورهما في الحياة وتقاصت عنهما وارفات تلك الفيئات والى ذلك العهد أشار وبه عرض وبشوقه صحح وما مرض حيث يقول عند موته يخاطب أبا مروان صاحبه وأمر أن يدفن بازائه ويكتب على قبره (بسيط مخلع)

يا صاحبي قم فقد أطلنا * أنحن طول المدى هجود
فقال لي لن نقوم منها * ما دام من فوقنا الصعيد
تذكر كم ليلة نعمنا * في ظلها والزمان عيد
وكم سرور همى علينا * سحابة ثرة تجود
كل كأن لم يكن تقضى * وشؤمه حاضر عتيد
حصله كاتب حفيظ * وضمه صادق شهيد
يا ويلنا ان تنكبتنا * رحمة من بطشه شديد
يا رب عفوا فأنت مولى * قصر في شكرك العبيد

(وله) يخاطب الوزير أبا محمد بن عبدون رحمه الله ويستدعى منه شوذانقا (طويل)

اغادية بانت مع الروض والنقى * على الغور ريح الفجر مرت بدارين
خطت فوق أرض من عرار وحنوة * وحطت بروض من بهار ونسرين
وبانت بوادى الشيح تحت ندى الصبا * الى الصبح فيما بين رش وتدخين
ومرت بوادى الرند ليلا فأيقظت * به نائمات الورد بين الرياحين
اذا ملت عن مجرى الجنوب فبلغى * سلامى مبلول الجناح بن عبدون
وبين يدى شوقى اليه لبانة * تخفق من قلب لذكراه محزون
مضى الانس الا لوعة تستفزنى * الى الصيد الا اننى دون شاهين
فمن به ضافى الجناح كأنه * على دستبان الكف بعض السلاطين
اذا أخذت كفاه يوما فريسة * فمن عقد سبعين الى عقد تسعين

وله يرثى زوجه (بسيط)

يا ربة القبر فوق القبر ذو حرق * يرثى لها القبر من شجو ومن شجن
تباينت فيك أحوالى أسى فضنى * الى اقائك صبرى طالب الوسن
وخالف القلب فيك العين من كمد * فاسود بالغم وابيضت من الحزن

(وله مراجعا لابى الحسن بن الرماد عن قطعة كتبها اليه من السجن) وذلك أن أهل أشبونة ثاروا بأبى زكريا يحيى بن تين ابراهيم وأضحوه من ظلالها ورموه بصائبات نبالها وانتزوا على أمير المسلمين فيها وغزوا واصلها وموافيها وأوقدوا نارا اصلوا بجمرها وأقاموا حربا عادوا غرقى بحرها وكان أبو الحسن من أصلهم فيها عودا وانقهم بروقا وأصولهم رعودا فلما انجلى ليلها وتقلص ذيلها وظفر الامير رحمه الله بظلهم ومقدامهم وأخذهم بنواصيهم وأقدامهم وعاقبهم على جرائمهم واقدامهم بعثه الامير الى بطليوس مصفودا ووجه اليه من النكايات وفودا فكتب الى أبى بكر يسترجم من بثه ويريح نفسه بنفثه فراجعه (طويل)

أتتنى على رغمى فما شئت عبرة * أرشت بها عيناى طلها والوبل
ومن زفرة أمسكتها لو بعثتها * لذاب لها النكلان قيدك والقفل
تساوت بنا حال وان كنت سارحا * فدارى بكم سجن ونعلى بكم كبل
عن الجد عاق الجبل رجلك والعلا * كما حبست دون المدى السابح الشكل

ولا عجب ان ضمك السجن انه * لعمر العلا غمد وأنت له نصل

ولاخيه أبي الحسن (متقارب)

ذكرت سليمى وحرّ الوغى * بجسمي ساعة فارقتها

وأبصرت بين القنا قدّها * وقد ملن نحوى فعانقتها

(وركب الى سوق الدواب بقرطبة) ومعه أبو الحسين بن سراج فنظر الى أبي الحكم ابن حزم غلاما كأعق عاقه وهو يروق كأنه زهر فارق كمائمه فسأل أبا الحسين ابن سراج أن يقول فيه فأرتج عليه فثنى عنان القول اليه فقال (طويل)

رأى صاحبي عمرا فكلف وصفه * وحملني من ذاك ماليس في الطوق

فقلت له عمرو كعمرو فقال لي * صدقت ولكن ذا أذب عن الطوق

(الوزير الكاتب أبو محمد بن الحبير رحمه الله تعالى)

شيخ الاوان القاعد على كيوان الذي بهر بابداعه وظهر على الصبح عند انصداعه وعطل العوالي بيراعه وأطلع الكلام رائقا وجاء به متناسقا وقد أثبت من محاسنه ماتخال الروض عنه مبتسما وترى الاحسان في زمانه مرتسما نزلت عنده في احدى سفراتي نزولا أجناني أزاهر مسراتي وأولاني كل مستحسن سهل وأراني أيام ابن الجهم مع الحسن بن سهل وأقطفني كل نضر يانع وأباح لي كل أمل لم تعقه أيدي الموانع فلما أردت الانصراف أنشدني (طويل)

يذكرني نيل الهمام أبي نصر * زمان اهتمامي بالقريض وبالنثر

على حين خلت اليراعة غاضبا * عليها وأخليت الدواة من الحبر

ومالي لاأهدي الملام اليهما * وقد رفعا من قدر كل عرغمر

فلله مايبدى ويلحم طبعه * وينثر من شذر وينظم من در

ولله منه همة عربية * أبت أن ترى الاعلى قمة النسر

لقد أحرزت علياه كل فضيلة * مطرزة الابرادعا طرة النشر

الى حسب كالماء يصقله الصبا * وعرض كعرف الروض غب حيا يسرى

وله أيضا (وافر)

بدار الملك من صرف الزمان * حوادث تجتليها الناظران

تبدلت الحوافر من خدود * وعز الخيل من غر الغواني

مطالع أوجه الغيد الحسان * غصص بكل يعبوب حصان

كأن نسور أيديهن فيها * بطأن غراب عيني أو جناني

وله (بسيط)

يا هاجرين أضل الله سعيكم * كم تهجرون محبيكم بلا سبب
ويا مسرين للاخوان غائلة * ومظهرين وجوه البر والرحب
ما كان ضركم الاخلاص لو طبعت * تلك النفوس على علياء أو أدب
* أشبهتم الدهر لما كان والدكم * فأنتم شر أبناء لشر أب *
ما زدتمو قدري أيام وصلكم * نباهة لا ولا ذكرى ولا حسبي
ولا ازدريتم به أيام هجركم * فلستم من صعودي لا ولا صببي

وله (متقارب)

رأيت الكتابة والجاهلو * ن قد لبسوا عزها لامة
فقلت لكل فتى كاتب * بديع الفصاحة علامة
اذا عزّ غيركم بالمداد * فلا أنبت الله أقلامه

وله أيضا (كامل)

أركابكم شطر العزيب تساق * يوم النوى أم قلبي المشتاق
عميت على عيون رأيي في الهوى * لله ما صنعت بي الاشواق
ولقد أقول لصاحب ودعته * وقد استهل بدمعي الاهراق
يا قائزاقبل بروية دوحة * أضفت ظلال فروعها الاطواق
من تغلب الحرب التي ان غولبت * شقيت بحد سيوفها الاعناق
فهم اذا ما جالسوا أووا كبوا * أخذوا بجمعهم الصدور وفراقوا
قاض كأن الليث حشو بروده * وكأن ضوء جبينه الاشراق
بالله ربك خصه بتحية * من ذي خلوص قلبه تواق
يصبو الى تلك المعالي كأنه * صب أصابت لبه الاحداق
ناو بأرض بداوة لكنها * بالمالكين الكرام عراق
قوم اذا ومضت بروقهم همى * صوب الحيا وأنارت الآفاق
واذا استقل بنانهم براعة * لبست وشيع برودها الاوراق
واذا اندوا وتكلموا أنسيت ما * صاغته من أعلاقها الاحقاق
أنصاركم وحماة مجدكم وما * أولاكم من العلا الخلاق

بلقالق ذلق كأن حديثها * درر يفصل بينها النساق
فهم اذا ألقوا حبال بنانهم * غلبوا جهابذة الكلام ففاقوا
لا بحروا وشأوا وانالوا ما اشتهوا * وثنوا أعنتهم وهم سباق
نصبت لهم حسدا على ما خولوا * من سودد ونفاسة أوهاق
وكتب أيضا

يا أيها القمر الذى يجلو دجى الخطب البهيم لناسناه
هل لامرئ ألقت اليك به يد التأميل ان يلقى مناه

مع انه لا يحاول غاليا ولا يطاول عاليا وانما يطلب ماطف ويخطب ماخف وذلك لاحتشاد الكساد فى اسواق صناعته واقتار البوار باعلاق بضاعته التى هى جواهر فى أعناق جآذر وقلائد على أطواق خرائد ونهود مفصلة العقود وقدود موشاة البرود وخمائل مصندلة الغلائل وجحاب مطاولة الاشجار وجنان معسولة الثمار من أدب كالذهب وكلام كالمدام يسكر عما يسحر ان من البيان لسحرا ولكنها أطواق اختطف عمرها وأعلاق خسف بدرها فجهلت قيمتها وجعلت تلو الخرز يتيمتها ولولا هذه البقية النقية العادلة الفاضلة الزكية الشريفة المنيفة التغلبية أعلى الله قدرها وأوزع وجميع الآملين شكرها مابقى لصناعة البراعة رسم الادثر (كامل)

بل بدلت أعلى منازلها * سفلى وأصبح سفلها يعلو

لتمحق فتلحق من الداثر المعدوم بسدوم (طويل)

وذلك أن الدهر يحسد نفسه * على كل فضل أو يؤب به خسرا

ولا الصناعة البلاغة اسم الابشر باداله أهله واذا تفضله ليخنق فيلق من الغابر المفقود كمفقود هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا فبالدرر الآداب واستعبار تجارها من بوارها وبالغرر نتائج الالباب واستقدار أقدارها فى احتقارها وبالفصاحة تستطير الاقلام وزجاجة تحير الافهام وقد * أخنى عليها الذى أخنى على لبد * فلا دار ولا سند ولا نوى ولا مظلومة جلد (خفيف)

كل شئ مصيره للزوال * غير ربى وصالح الاعمال

* على مثله فليبك من كان باكيا * ثم يرجع الحديث الى ابن اسحق فانى والله ما قصدت

الذى سردت من تأبين هذه المعادن لكن الحديث ذو شجون (كامل)

وربما ساق الحديث بعض ما * ليس الندى اليه بالمحتاج

ولا أردت الذى أوردت من الاعلان بهذه الاشجان

* ولكن تفيض العين عند امتلائها * وأما الذى أردته فهو أمر أوردته على الحبر ابى وعبده ثم حددت له أن لا يخرج عنه الا بن يدى مجده ان حل من عقد لسانه التقريب واستقل بعين بيانه الترحيب ولئن كان ذلك فلا حلين ما هنالك من سلف كريم وشرف صميم وهم نفوس أبية وشم أنوف تغلبية بشذور منثور هى الغناء المعبدى وعيون موزون هى السناء الابدى (بسيط)

انى اذا قلت قولا مات قائله * ومن يقال له والقول لم يمت

وان أخذ باذيال حسن الاصغاء والانقع عوامل تأميلى عنده دام عزه فى باب الالغاء وجد بذلك الاحسان جواهر تقرط بها الآذان وصكا يفتق رعنبرا يحرق ان شاء الله تعالى (وكتب) اليه أيضا (كامل)

قولوا لقصرة اذ تسائل حومها * جيئى جهينة ترجعى بيقين

اقذيت عينى بالزمان وأهله * حتى نظرت الى بنى حمدين

الوارثين المجد عن آبائهم * والحاملين العلم عن سحنون

قوم اذا حضروا الندى تميزوا * بعلوم سنة ونور جبين

مترافعين الى الاله فشأنهم * اصلاح دنيا أو اقامة دين

بمحمد لله در محمد * من مستهام بالعلا مفتون

قاضى القضاة المستضاء بعسفر * من رأيه مثل الصباح مبين

طود من الفضل استقل زماعه * باغاثة الملهوف والمحزون

ويا حمد الباقى العلا نلت المنى * وأخذت رايه بغيتى بيمينى

قاض كان الحق نور ساطع * يغشى الورى من وجهه الميمون

قرا كواكب تغلب ابنة وائل * ذات الغنى والايد والتمكين

الوارثين كلهم فهم اذا * ما نوزعوا فى المجد أسد عرين

واذا يلينهم خضوع منازع * فلوا لهم من غربه باللين

أهل الرصانة والفطانة والنهى * والعلم بالتقليد والتدوين

فعليهم منى السلام تحية * كالفاغم المجلوب من دارين

أيد الله الفقيه الأجل والغيث الواكف المنهمل قاضي الجماعة وسيدها وعاضدها ومؤيدها انه أعلى الله قدرك وأوزعني وأهل هذا العصر شكرك لما أذابتني لفحات الاشواق الى تلك الآفاق التي تشرقون بها أقمارا وتفهقون فيها بحارا (وافر)

وما دهري بحب تراب أرض * ولكن حب من سكن الديارا

وانما هو كما قيل (طويل)

أحب الحمى من أجل من سكن الحمى * ومن أجل أهليها تحب المنازل

ورابتني غمرات الوجد بذلك المجد العالية قلله الغالية حلله الرائع طرزها الخالص ابريزها كما * راب العليل لغامز العواد * عاينتها انفساصبة وقلباقد حشي محبة بمفارقته لعلائنس برود كصفحات الخدود (كامل)

جادت عليها كل عين ثرة * فتركن كل حديقة كالدرهم

ونظمته من حلاك كلاما لو شرب لكان مداما ولو ضرب به لكان حساما ثم أنهيته بعدما أمهيته (طويل)

ليعلم مولاي بأني عبده * وأن فؤادي عنده وهو في صدري

وأني لا أنفك أخدم مجده * بكل بديع من قريضي ومن نثري

ويأخذ بأذيال ما وصفته من هذه الحال (متقارب)

انه رماني الزمان بأحداثه * فبعضا أطقت وبعض فدح

ومن أثقلها وأفدحها وأعلها وأفضحها وأغلبها وأعزها وأسلبها وأبزها ومن عز بز أنه كان لي نسيب قريب وربيب حبيب (بسيط)

ربيته وهو مثل الفرخ أعظمه * أم الطعام ترى في ريشه زغبا

فلما شب دب ليلقط الحب فاخمص حتى قنص ولا أخذ في الحركة حتى وقع في الشركة * ويعدو على المرء ما يأتمر * وذلك انه أم قرطبة حرسها الله طالبا بجدم مال كان قد تصدق به عليه جده رحمه الله فاذا به قد ألفي هنالك عاصبه وهو قد نصب له مجانبه وفتح أشراكه وبسط تحت هذا المطمع شباكه فنازل حتى كتف ولا حصل حتى تقف فأصبح مغلولا مسجونا محزونا مشجونا (طويل)

اذا قام غنته على الساق حلية * بها خطوه وسط البيوت قصير

هكذا أعزك الله أورد بعض من ورد وبه أخبر بعض من استخبر

* وفى النوى يكذبك الصادق * فانه قد حدث غيره أنه فى وثاق لكنه غير على الساق وفى اعتقال شديد ولكنه بغير حديد (طويل)

ومن يسأل الركبان عن كل غائب * فلا بد ان يلقى بشيرا وناعيا

فلو ترى أمة أمتك سترها الله وهى من اليم اشفاقها وعظيم وجدها وانطباقها قد ذهبت أو كادت بل قاربت وزادت لولا ناظر غريق بطرف وعين خفية تذرف و* ورب عيش أخف منه الحمام * لاحتدمت فارحمت ولا استعبرت فأبصرت وهذا المظلوم المسجون المكظوم المحزون الذى غلب صبرها همه وملا صدرها امله فقتلها مما أذهلها فتى يعرف بفلان أقال الله عثرته وأزال غربته فهل لك أن تتدارك هذه المسكينة بحسنة تعدل عند الله عبادة ألف سنة لقوله عز وجل ومن أحياها فكأنما أحيى الناس جميعا لتبهت الخير أهله حيث خاطبت مولاى فهززت فضله ومن نبه عمرنام ومثله أعزه الله ممن بذ الكرام وشح فى مثلها بالحسام ثم أمر كاسا بالاىجام (طويل)

والا فلم قالوا عتيبة فارس * يشب وقود الحرب بالحطب الجزل

فعل ان شاء الله تعالى ما هو أهله وعند ربه من حسن الثواب عدله انه لا يضيع أجر من أحسن عملا بحوله وطوله ومنه ويمنه والسلام

* (الوزير الكاتب أبو محمد بن عبد الغفور رحمه الله تعالى) *

قد كنت نويت أن لا أثبت له ذكرا ولا أعمل فيه فكرا وأدعه مطرحا وأقطعه الاهمال مسرحا لتهوره وكثرة تقعره فانه بادى الهوج واعر المنهج له ألفاظ متعقدة وأغراض غير متوقدة لا يفك معماها ولا يعلم مرماها مع نفس فاسدة الاعتقاد ثابتة الاحقاد تتنكد بالافراح وتحسد حتى على الماء القراح وتغص بفارس براعة وتتربص الدوائر بحامل يراعة الى لسان لا ينطق الا هجرا وأجفان لا ترمق من توقد الحقد فيها جمرا فهى ترى الظلم مكان الانوار وتود أن ترى النجاد كالاغوار أستغفر الله الا نظمه فرعاه ألم فيه بالبدائع الماما وملك لها زماما وصرف فيها السانا صناعا وأسال لها بالمحاسن تلاعا وله سافه نبيه أعقله فى حبالة هذا الديوان وألحقه بأعيان الاوان وربما ندرت فى نثره ألفاظ سهلة الشرض مستقبلة الغرض سلسة القياد وارية الزناد تقرب مما جمعت وتعترج عما روقت وشعشعت لئلا أكون ممن قصد اغفالا واعتمد اخمالا

وتعصب باطلا ورك مكان الحـلى عاطلا فقد علم الله أنى انحرف عن التعليـل وأغفر الكثير القليل وانغافل فى الهنات لذوى الهيئات وآخذ الحسنة من اثناء السيئات وقد أثبت له ماشذ من ابداعه ولم أبخل بتضمينه فى هذا التصنيف وايداعه ورفضت كثيرا من كلامه فقليلا ما يتوضح فجر احسانه فى ظلامه فما انتخبت له قوله يمدح الامير يحيى بن سير ويذكر فرسا أشهب جاء سابقا (بسيط مخلع)

يا ملكا لم يزل قديما * بكل علياء جد وامق
وسابقا فى الندى أتتنا * جياده فى المدى سوابق
لله منها أسيل خد * أهديت شدقه كالجوالق
حديد قلب حديد طرف * ذو منكب يشبه البواسق
ذو وحشة فى الصهيل دلت * منه على أكرم الخلائق
أشهب كالرجع مستطير * كأنه الشيب فى المفارق
خب غداة الرهان حتى * أجهد فى اثره البوارق
ما أنس لا أنس اذ شآها * مشربات مثل البواشق
وبذها ضربا عتاقا * لم ترض عن خصرها العواتق
فقمن يمسحن منه رشحا * مطيبات به المخانق
أفديه من شافع لبيض * قد كن عن بغيتى عوائق
انصع منه لرأى عينى * سود عذار الفتى الغرانق

وله فى الامير يحيى (بسيط مخلع)

انّ الامير الاجل يحيى * نجل الامير الاجل سير
بدر تمام بلا محاق * يجل عن هذه البدور
حف به كل ذى سناء * أبهى من الكوكب المنير
كالنجم فى رجمه عداه * بكل ماضى الشبا طرير
أرعى من النجم للرعايا * أروع سام عن النظير
لذت به من صروف دهرى * فكان من جورها مجيرى
ومد نحوى يدا بجود * أهمى من العارض المطير
ألق شعاعا على ليلا * خلتنى فى سنا منير
حمى فأرضى الاله ثغرا * حتى له لذة الثغور

قرت به أعين الرعايا * فأعملوا أكؤس السرور
وأصبح الشرك في ثبات * يدعون بالويل والثبور
يا أيها الملك اقبلنهم * على يعابيبك الذكور
وانهد اليهم بكل نهد * يأبى عن الاين والفتور
وشن غاراتها عليهم * مثل العراجين من ضمور
أهلة لا تزال تسرى * لتحرز الحظ من ظهور
أصدرك الله ذا انتقام * من العدى شافي الصدور

وله فيه حين ارتحل الى قصر اشبيلية (كامل مجزوء)

هذا محلك يا أمير * فاعمره متصل السرور
قصر تضاءلت القصو * ر له ودانت بالقصور
فاصحب به قبل العلا * ممدى الليالى والدهور
وانعم باحراز الاما * نى فى الوفود وفى الظهور

لا تزال به أبدا ثيبا ولا تزال لك من كل ليث ضبارم خيسا تداس فيه بين يديك جماجم الاعداء حتى تكل أنامل العد والاحصاء ويتردى من قادة ذويك واخوتك السادة وأقربيك بنجوم رجال كالجبال أنت بدرها المنير ورضوى ما ثلا بينها أوثبير ان دنا من علائك شيطان فتنة رجمته بشرعات الاسنة وان زحم ركن سنائك منكب عظيم حطمته بقرطات الاعنة تطيع انجامها باللجم وتفهم عن أهلة لثم كأنما اقتعدت من صهواتها بروجا واعتقدت الى حيث المنازل المقدرة لاشباهها عروجا لتتم هذه البدورا وتمثل قدرا مقدورا وتحدق بك فى الهيجاء احداق مقلة العين بانسانها وتجرى فى اللقاء على سنن أوليتها واستنانها (كامل مجزوء)

وبمثل قومك جالت السـ ـفيل اليعابيب الذكور
وحكت سماوتنا السما * بهم نجوما أو بدور
وبمثل رأيك آذنت * دهم الحوادث بالسفور
ماض اذا أعملته * أغناك عن عضب ذكير
وأراك من صور العوا * قب كل محتجب ستير

تفل الصوارم ولا يفل وتحل العزائم ولا يحل لو ضرب بالعود اعاد أبيض فاصلا

أو عالج شعر المولود لاصبح أسوده البهيم ناصلا (كامل مجزوء)

فليهننا انا خصصتنا منه بالعلق الخطير

يربو على ملء العيو * ن اذا بدا ملء الصدور

لو جاور البحر الخضم ألم بالنزر اليسير

أو ديمة وطفاء لم * تنسب الى مطر غزير

ان لم يقع شكرى لكم * أذكى من الزهر المطير

لا نلت من زمنى سرو * را أرتجيه ولا حبور

وعليه منى ما حييت * تحية الروض النضير

وكتب اليه فى غزاة غزاها (كامل)

سر حيث سرت تحله النوار * وأراد فيك مرادك المقدار

واذا ارتحلت فشيعتك سلامة * وغمامة لا ديمة مدرار

تنفى الهجير بظلها وتنيم بالرش القتام وكيف شئت تدار

وقضى الاله بأن تعود مظفرا * وقضت بسيفك نحبها الكفار

هذا اما تمناه الولى لا ما تمناه الجعفى فانه قال حيث ارتحلت وديمة وما تكاد تنفذ معها عزيمة واذا سفحت على ذى سفر فاسراها بأن تعوق عن الظفر ونعتها بمدرار فكان ذلك أبلغ فى الاضرار (وافر)

فسر ذا راية خفقت بنصر * وعد فى جحفل بهج الجمال

الى حمص فانت بها حلى * تغاير فيه ربات الحجال

(الوزير الاجل أبو بكر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى)

ماضى البراعة مشهور البراعة متحقق بالادب ينسل اليه من كل حدب وله سلف يقصر عن مداناته الاقدار وشرف تمكن فيه القطب المدار مع سالفة يتفق عليها ولا يختلف ومنزلة يطلع اليها ويستشرف وهمة طالت كالصعدة وطاولته وتناولت كل ما حاولته وبنو عبد العزيز بنو سبق وتبريز ما منهم الاعالم مناظر ولا فيهم الامن هو للدهر ناظر وقد أثبت له ما يبهر النفس ويروقها ويحسده طلوع الشمس وشروقها فمن ذلك قوله (خفيف)

قد هززناك فى المكارم غصنا * واستنمناك فى النوائب ركنا

ووجدنا الزمان قد لان عطفا * وتأتى فعلا وأشرق حسنا

فاذا ما سألته كان سمعا * واذا ماهززته كان لدنا
مؤثرا أحسن الخلائق لا يعـ * ـرف ضنا ولا يكذب ظنا
أنت ماء السماء أخصب واديـ * ـه ورقت رياضـــــه فاتصعنا
نزعت بي الى ودادك نفس * قل ما استصحبت سوى الفضل خدنا

وله يودع الوزير أبا محمد بن عبدون (بسيط)

في ذمة المجد والعلياء مرتحل * فارقت صبري اذ فارقت موضعه
ضاءت به برهة أرجاء قرطبة * ثم استقل فسد البين مطلعه

(وكتب الى الوزير أبي محمد بن القاسم) كيف رأى مولاي في عبد له وهو أنا يرى الوفاء دينا وملة ولا يعتقد في حفظ الاخاء ملة قصرته الاقدار عن رأيه وأخرته الايام عن سعيه فادرع العقوق وابتست الخلة وضيع الحقوق ولم يضع الخلة أيرده بعيب ما جناه الدهر أم يسمح فشيمته الصبر بل يعفو ويصفح ولو كان الغضب يفيض على صدره ويطفح فله أعزه الله العقل الارجح والخلق الاسمح والاناة التي يزل الذنب عن صفحاتها ولا يتعلق العيب بصفاتها وان كتابه العزيز ورد لي مشيرا الى جملة تفصيلها في يد العواقب والزمان المتعاقب ولقد اتفقت في أمره مشافهات انجلت عن تخيير في الاقطار واتباع الخصب في مواقع القطار حاشى ما استثنى من الجمع وافرد بالحظر والمنع وفلان أيده الله كما يدريه يردد محاسنه ويرويها وينشر فضائله ويطويها الا ان الامور انقلبت عليه في هذه البلاد فلا تعرف له حالة الا وقد داخلتها استحالة وربما عاد ذلك الى نقصان في الوفاء وان كان باطنه على غاية الاستيفاء ولله تعالى نظر وعنده خير منتظر ويشهد الله أني أفرده بالجلال واتخذ نفسي من أشياعه وأتباعه في كل الاحوال (متقارب)

فلا تلزمني ذنوب الزمان * الى أساء واياي ضارا

فسح الله مدته وجازى مودته وأعلى رتبته وأحسن في كل حال وترحال صحبته لا رب سواه (وكتب اليه مسليا عن نكبته) الوزير الفقيه أدام الله عزه وكفاه ماعزه أعلم باحكام الزمان من ان يرفع اليها طرفا أو ينكر لها صرفا ويطلب في مشارعها مشربا زلالا أو صرفا فشهدها مشوب بعلقم وروضها مكمن لكل صل أرقم وما خانه أعزه الله الحوادث نكبة ولا حطته النائبات عن

رتبة ولا كانت الايام قبل رفعته بوزارة ولا كتبة فهو المرء يرفعه دينه ولبه وينفعه لسانه وقلبه ويشفع له عمله وحسبه وتسمو به همته وأدبه ويعنو بين يديه شانيه وحاسده ويثبت فى أرض الكرم حين يريد أن يجتثه حاصده ويفديه بالفضل من لا يودّه وينصره الله باخلاصه حين لا ينصره سواعده ولا ودّه (طويل)

وان أمير المسلمين وعتبه * لكالدهر لا عار بما فعل الدهر

وما هو أدام الله عزه الا نصل أغمد ليجرد وسهم سدّ طريقه ليسدد وجواد ارتبط ليخلى عنانه وقطر تأنى سحابه وسيسيله بنانه وان المهارق لتلبس بعده ثياب حداد وان ألسنة الاقلام لتخاصم عنه بألسنة حداد وسيجلى هذا القتام عن سابق لا يدرك مهله ويعتمده الملك الهمام باكرام لا يكدر منهله ويؤنس ربع الملك الذى أوحش ويؤهله ويرقيه أيده الله الى أعلى المنازل ويؤهله وينشد فيه وفى طالبيه (كامل)

وسعى الى بعيب عزة نسوة * جعل الاله خدودهن نعالا

وأنا أعلم انه أعزه الله سيبرم بهذا الكلام ويوليني جانب الملام ويعد قولى مع السفاهات والاحلام فقد ذهب فى رفض الدنيا مذهبا وجلا التوفيق عن عينيه غيهبا وتركا عبيد الشهوات تمسك بخطامها وترتع فى حطامها وأسأل الله عملا صالحا وقلبا مصالحا ويقينا نافعا واخلاصا شافعا بمنه ان شاء الله

(الوزير الكاتب أبو جعفر بن أحمد رحمه الله تعالى)

كاتب مجيد وفاضل مجيد انخفض عن الارتفاع ونفض يده من الانتفاع فلم يلح فى سماء ولم يرد مورد ماء وكانت له نفس علية تزهو بها الجوانح والضلوع وسجية سنية يعبق منها الفضل ويضوع وما زال يغص بالايام وحالها ويتغص بباطنها ومحالها حتى أضله الحمام وغشاه وأجنه التراب فى حشاه وقد أثبت من كلامه ما تنشرح له النفوس ويلذ بسماعها الجلوس دخلت جنة بجانة ليلا وجفونها بالظلام مكتحلة ومتونها من الانس ممحلة فتشوفت مستوحشا ووقفت منكمشا لا أجد أين أريح ولا أرى معي من أستريح فبعدونية لقيني من أنزلني بها فى سنية نائية عن الديار خالية من العمار فما حططت حتى وافانى رسوله يحمل رغبته فى الانتقال اليه والنزول

عليه فاعتذرت له وشكرت تطوله وتفضله فما كان غير بعيد حتى وافانى مسليا لى ومؤنسا وأعادلى المكان مكنسا وبتنا بليلة لم أجد للدهر غيرها ولم أحمدالا طيرها ولما كان الغلس تركنى منمعا وانفصل عنى مودعا فلما حل موضعه كتب الى استكمل الله تعالى لمثنى الوزارة سعادة واستوصله من عوّدها عادة وأساله المسرّة بدنوّها معادة كيف لا أراقب مراقى النجوم وأطالب مآقى العين بالسجوم وقد أنذر بالفراق منذر وحذر من لحاق البين محذر ويالبت لمنا غير محجوب وشمسنا الاتطلع بعد وجوب فلا تروع بانصداع ولا تفجع بوداع حسبنا الله كذا بنيت هذه الدار وأبى سبحانه أن تصل شمس انسنا الاقدار ولعلها تجود بعد لاى وتعود الى أحسن رأى فننتظر رحيلا وتعمر ربعا محيلا وكنت كثيرا ما أخاطبه على البعد وأواصله بتجديد العهد فوافى بلنسية فلم يكن لقاؤه ولم يتمكن بقاؤه فارتحل وكتب الى ياسيدى المخول كريم الصفاء المفضل فى زمرة ذوى الاخاء المؤهل للمحافظة على الوفاء ومن لاعدمت من أمره انصافا ومن برّه اسعافا وددنا كالسراب بعده أنس وقربه يأس وعهدنا كالشباب حظه منحوس وفقده تتوجع منه النفوس فنحن نتجمع بالسؤال ونتمتع بالخيال ونلتقى على النأى تمثلا ولانبتغى فى الحى تأملا وما كذا ألفت الحميم ولا على هذا خلقت الرأى الكريم ولا أدرى لعل للاقطار خواص تغير وللاحرار أخلاق تسير فيجب ان أعتدلكل خلق خلقا وأسلك فى معاشرة الناس طرقا مقال لو كان حقا وألى من قائله صدقا وأنى وهو بالاحتمال قمين وبحسن التأويل ضمين ولكنها زفرة شوق لاعج وضجرة توق هائج تثور ثم تسكن وتتأمل عينها فتحسن وحبذا فعل الصديق كيف تقلب ومذهبه حيث ذهب وأكرم بقدره ما أنجب وبذكره ما أطيب وأعذب لازلت أتمتع ببقائه ولا أمنع من لقائه بمنه (وكتب) الى الرئيس أبى عبد الرحمن بن طاهر وقد وصل بلنسية ليلا لا أشتكى من الليل طولا ولا أذم جنحه موصولا وقد زادت بى حال صباحه وكافحنى أشد كفاحه ووصلت البارحة على حين هجوع السمير وامتنع الى حضرة المجد المسير وفى يومنا للرجاء امتداد وللوفاء معاد ولدى شوق يطير بى اليه مطارا ولا يوجد من دونه استقرارا فسكنت من استطارته قليلا وبردت من برحائه غليلا وعبرت

فى مبادرة الحق ومواصلة البر تسبيلا والله عز وجهه يعيد الى أقتناحسن ضمانه ويعين فى المتعين على قضائه لاشريك له والسلام الاتم يتردد على الولى الوفى ورحمة الله وبركاته (وكتب الى القاضى أبى الحسن بن واجب) أبنقضى يوم الصب وقد عذب اليه أرقا وفرق القلب فرقا ويقبل جنحه وقد حجب عنا فلقا وأجرى العيون علقا فسال منها ماءه دفقا وتعسا للمطى وان جد بنا المناما حين أوردناظلاما ووافى بنا الحى نياما وكنت أحببت مصابحة مجده فعاجلنى مباكرة الغمام وفاجأنى غيبه مبادرة بالانسجام فلم يمكنى أن أبلغ من ذلك أملا ولا أن أرد به منهلا ولا عتب الا على الزمان فيما أذنب ولوشاء لأرضى وأعتب واتخذته تحية مشتاق ورائد تلاق وبودى أن ينجلى الغمام منجابا ويكتسى غدنا من الصحو جلبابا فأنال فيه من هذا الحظ وفورا وآمل به جذلا وحبورا ان شاء الله تعالى (وكتب) وقد أهدى اليه مشموم ورد زارنا الورد بأنفاسك وسقانا مدامة الانس من كاسك وأعادلنا معاهد الانس جديدة وزف الينا من قنيات البرخريدة فاحمر حتى خلته شفقا وابيض حتى أبصرته من النور فلقا وأرج حتى كأن المسك من ذكائه وتضاعف حتى قلت من حبائه فليتصور شكرى فى مرآه وليتخيل فى نفحته ورياه ان شاء الله تعالى

(ذو الوزارتين القائد أبو الحسن بن اليسع رحمه الله تعالى)

عامر أندية النشوة وطلاع ثنايا الصبوة كاف بالحيا كلف حارثة بن بدر وهام بفتى سماط وفتاة خدر فجعل للمجون موسما وأبتها فى جبين أوانه ميسما وكان قبل ان ترقيه الرياسة أعوادها وتحله فؤادها لايجد عمادا ولايرد الا غادا فلما أصبح عاقد كتائب وقائد جنائب وصاحب الوية ومنفذ بديهة فى الامور وروية جرى الى لذاته ملء العنان وغدا بها مجنون الجنان وترك الملك مهملا ومشى فى طرق الاستهتار خببا ورملا فأغرى به الملأ من أهل مرسية أى اغراء ورأوا قتله أوكد حجة واعذار فنصبوا له الحرب وعصبوا به الطعن والضرب حتى أعطى الدنية ونزل لهم عن تلك الثنية فقنعوا بارتفاع وباله وامتنعوا من حربه وقتاله وخلعوه عن تدمير وسقوه الرنق بعد النمير وله شعر رقيق المعانى أنيق المغانى يشهد له بالنطارة ويبعد كهولته الى

العبارة وقد أثبت منه فنونا يكحل بها الاستحسان جفونا فمن ذلك قوله يخاطب أبا بكر بن اللبانة وكان على طريقين فلم يلتقيا (طويل)

تشرق آمالى وسعدى يغرّب * وتطلع أوجالى وأنسى يغرب
سريت أبا بكر البك واننما * أنا الكوكب السارى تخطاه كوكب
فبالله الا ما مضت تحية * تكربها السبع الدرارى وتذهب
وبعد فعندى كل علق تصونه * خلا ثق لا تبلى ولا تتقلب
كتبت على حالين بعد وغمة * فياليت شعرى كيف يدنو فيعرب

(وللمامات بن لبون) صاحب لورقة ووصل أمرها اليه وحصل تدبيرها فى يديه طلب ملكا يعطيه صفقتها ويحطيه صموتها اذ لم يصح له توليها والعدو يلطط براوحها باغارته ويغاديها فوصل الى المعتمد رحمه الله ملقيا اليه تلك المقالد ومجنيا له أفنانها الاماليد فتلقى بالبر وفادته وصلته وأنزل عليه أعماله وجلته (وأخبرنى الوزير أبو الحسين) بن سراج والوزير أبو بكر بن القبطرنة أن المعتمد أمرهما بالمشى اليه والنزول عليه تنويها بالمقدمه وتنبيها على حظوته لديه وتقدمه فسارا الى بابه فوجداه سفرا من حجابه فاستغربا خلوه من خول وظن كل واحد منهما وتأول ثم أجمعا على قرع الباب ورفع ذلك الارتياب فخرج وهو دهش وأشار اليهما بالصبة ويده ترتعش وأنزلهما خجلا ومشى بين أيديهما عجلا وأشار الى شخص فتوارى بالحجاب وبارى الريح سرعة فى الاحتجاب فقعدا ومقلة الخشف ترمق من خلل السجف فانصرفا عنه وعزما أن يكتبا اليه بما فهماه منه فكتبا اليه (وافر مجزو)

سمعنا خشفة الخشف * وشمنا طرفة الطرف
وصدقنا ولم نقطع * وكذبنا ولم تنف
وأغضينا لاجلالك * عن الأكرومة الظرف
ولم تنصف وقد جئنا * وما ننهض من ضعف
وكان الحكم ان تحمل * أو تردف فى الردف

فراجعهما فى الحين بقطعة منها (وافر مجزو)

أيا أسفا على حال * سلبت بها من الظرف
ويا لهفى على جهلى * بضيف كان من صنف

(وأخبرني الوزير) أبو الحسين بن سراج أنه ركب معه في عشية الشك من شعبان ومعه لمة من أعيان قرطبة وقد غلبوه على المسير معهم وألزموه مجتمعهم فخرج وهو مكره لا يتطلع الى ذلك ولا يشره ونفسه متعلقة بنشوة أطمعها بها وسلوة أطلع لها كوكبها فكان يروم التفلت ويكثر التلفت وكلهم قد حف به ووقف دون مذهبه حتى أخذ معهم في أمر جواده وعتقه وبالغ في وصف مباراته وسبقه ثم قام على متنه يريهم أنه يجريه ويعرض عليهم تباريه فطار بجناح وصار الى بغيته دون جناح فانتظروه ليسفر عنه العجاج وتطلعه تلك الفجاج فلم يروا الا منهبه ولا اقتفوا عوضا منه الا رهجه فعلم أبو الحسين ما حنه وأشاعه فيهم وبثه فما انصرفوا الا وهلال رمضان لائح وهو على راحه رائح فكتب اليه أبو الحسين بن سراج (كامل)

عمري أبا حسن لقد جئت التي * عطفت عليك ملامة الاخوان
لما رأيت اليوم ولى عمره * والليل مقتبل الشبيبة دان
والشمس تنفض زعفرانا في الربا * وتفت مسكتها على الغيصان
أطلعتها شمسا وأنت عطارد * وحففتها بكواكب الندمان
وأتيت بدعا في الانام مخالدا * فيها قرنت ولات حين قران
ولهوت عن خلي صفاء لم يكن * يلهيهما عنك اقتبال زمان
غنيا بذكرك عن رحيق سلسل * وحدائق خضر وعزف قيان
ورضيت في دفع الملامة ان ترى * متعلقا بالعذر من حسان

فكتب اليه مراجعا قطعة منها (كامل)

وأنا أسأت فأين عفوك مجملا * هبني عصيت الله في شعبان
لو زرتني والآن تحمد زورة * كنت الهلال أتى بلا رمضان

وكتب في حينه ذلك الى أبي بكر بن القبطرنة (طويل)

فديتك لا عرف لدي ولا نكر * ولا حجة لي قد أبى ذلك السكر
اذا قلت جئ ماذا يقول محمد * وليس له في أن يجيب بلا عذر

(وأخبرني الوزير) أبو بكر بن القبطرنة أنه كان قاعدا ببابه ببطليوس في غدوة الجمعة وقد اجتمعت العساكر وروعت تلك المكانس والدساكر ولا أحد الا راغب في الشهادة مؤمل موته هنالك واستشهاده اذا برجل قد وضع بيده رقعة لا عنوان

لها فلما تأملها وجد فيها (طويل)

عطشت أبابكر وكفاك ديمة * وذبت اشتياقا والمزار قريب
فخفف ولو بعض الذى أنا واجد * فليس بحق أن يضاع غريب
ووفرانا من تلك حظاري بها * تشاوى وبعد الغزو سوف تؤوب

فقال له ابن اليسع صاحب هذه الرقعة أوقد حل فى هذه البقعة فقال له نعم فاستغرب ما قصد اليه وذهب ووجه اليه من التضييف ما وجب وقرن به خمرا وكتب معه (طويل)

أبا حسن مثلى بمثلك عالم * ومثلك بعد الغزو ليس يؤوب
فخذها على محض الصفاء كأنها * سنا مالها بعد الحساب ثؤب

(الوزير المشرف أبو محمد بن مالك)

وردنم را لمجرة علاء وقلد نحره الزمان ولاء مع شيم أنافت على الكواكب وكرم صاب كالغمام الساكب ووقار لا تخيل الحركة سكونه ومقدار تمنى محيران يكونه وشيم كصفو الراح أو الماء القراح لو كانت فى الروض ما ذوى أو ظهرت للخلق ما رشد أحد بعد ما شوى ولم يزل بما اعتقل من الاصالة والنهى ينقل من سماك الى سها حتى أقطعه أمير المسلمين وناصر الدين خلد الله ملكه ماله بالاندلس من حصة وأقعده على تلك المنصة وبوأه المراتب اللائقة به المختصة وله أدب زاخر اللجة باهر الحجة لائح البهجة واضح المحجة يروق مجتليه ويزف زهره لمجتنيه وقد أثبت من فائق كلامه ورائق نثره ونظامه ما تديره الاوهام راحا وتتعاطاه وتوسد الباهة خدها أردى أرطاه فمن ذلك قوله فى مجلس أطربه سماعه وبسطه احتشاد الانس فيه واجتماعه (خفيف)

لا تلمنى بأن طربت لشدو * يبعث الانس فالكريم طروب
ليس شق الجيوب حقا علينا * انما الحق أن تشق القلوب

(ولما كثر) اختلال الشرق وفساده وظهر استفحال العدو فيه واستئساده صرف أمير المسلمين اليه وجه اهتمامه وجد فى صرف الشوائب عن جمامه وجعل رأيه فيه سميره وأنعل نظره له جده وتشميره ووجه أمو الارم خلاله وحسم علله واقامة ميله وانتعاش رجله وخيله ثم خاف أن ينتهبها العمال وتتعذر تلك الآمال فقلده طوقها وحمله أوقها ووجهه لبناء الاقطار وبهم

لقضاء تلك الاوطار فاستقل بها أحسن استقلال ونظم مصالحها نظم اللآل فاجتزت عليه بطرطوشة فألفيته مباشر الامور بنفسه هاجرا لها مواصلة انسه فأقمت معه أياما وأوردت منهل بدائعه جوانح كانت عليه حياما وأنشدني كل مستحسن وأسمعني كل مستطاب استطابة العين للوسن فمن ذلك قوله (بسيط)

سالت بي صروف الدهر والنوب * وبان حظك منها وانقضى السبب
فماء حزنك في الخدين منسجم * ونار وجدك في الاحشاء تلتهب
تعجب الناس من حاليك واعتبروا * وكل أمرك فيه عبرة عجب
ضدان في موضع كيف التقاؤهما * النار مضرمة والماء منسكب

(وخرجت باشبيلية) مشيعا الاحد زعماء المرابطين فألفيته معه مسايرا له في جملة من شيعه فلما انصرفنا مال بنا الى معرّس أمير المسلمين أدام الله تأييده الذي ينزله عند حلوله اشبيلية وهو موضع مستبدع كأنّ الحسن فيه مودع ماشئت من نهر ينساب انسياب الاراقم وروض كما وشت البرود يد راقم وزهر يحسد المسك رياه ويتمنى الصبح أن يسم به محياه فقطف غلام وسيم من غلمانه نورة ومد يده الى وهي في كفه فعزم على أن أقول بيتا في وصفه فقلت (طويل)

وبدر بدا والطرف مطلع حسنه * وفي كفه من رائق النور كوكب

فقال أبو محمد (طويل)

يروح لتعذيب النفوس ويغتدي * ويطلع في أفق الجمال ويغرب
ويحسد منه الغصن أي مهفهف * يجيء على مثل الكثيب ويذهب

(وكتبت اليه) يوما مودعا فجاوبني جوابا مستبدعا وأخبرني رسولي أنه لما قرأ الكتاب وضعه وروّى وكتب وما فكر ولا روّى ياسيدي الاعلى جرت الاقدار بجمع افتراقك وكان الله جارك في انطلاقك فغيرك من روّع بالطعن وأوقد للوداع جاحم الشجن فانك من أبناء هذا الزمن خليفة الخضر لا تستقر على وطن كأنك والله يختار لك ما تأتيه وتدعه موكل بفضاء الارض تذرعه فحسب من نوى بعشرتك الاستمتاع ان يعتدك من العواري السريعة الاسترجاع فلا يأسف على قلة الثوى وينشد وفارقت حتى ما أبالي من النوى

(الوزير الكاتب أبو القاسم بن السقاط)

التكحل في العين ورونق التشبيب في مصوغ التبر واللجين وقد رتبه النهى أشرف ترتيب وبوبته العلا أبدع تبويب فأحقه بصدر النادى وأسبقه الى المرتبة بشرف المنادى رعاية لاوامر الآداب والمحافظة على الخلة الواشجة في أعصر الشباب وتذكر الربوع الصبا وأطلاله وعهود اللذات المتتابة في بكره وآصاله وما سحبت الليالى في ميادينه من لبوس نعيم وبوس وأجنت الايام في بساتينه من زهرات أتراح ومسرات حذو الخلق الاكمل وأخذا بقول الاول (بسيط)

ان الكرام اذا ما أسهلوا ذكروا * من كان يألفهم في المنزل الخشن

وموصله وصل الله سراءك وأثل علاءك أبو فلان ذاكر مشاهدك الغر الحسان وناشر ما تعتمد في صلته من مقاصد الحسن والاحسان أبقاه الله ما نظمني معه سمط ناد ولا احتوانى واياه مضمار شكر واحماد الا وأبت من مآثرك خايطى الدر والمرجان وجاء بطليعة السوابق في احصاء مفاخرك رخى اللبب مرخى العنان ولقد فاوضنى من أحاديث ائتلافكما في العصور الدارسة العافية وانتظامكما في زهرات الانس في ظلال العافية واتساقكما في حبرات العيش الرقاق الضافية وارتشافكما سلافة النعيم المزة الصافية بأفانين الغيطان والنجود وزخارف الروض المجود ومعاطف الطرر بين خيلان الخدود ما لو لاقيت بشاشته الصخر لمنح بهجة الايراق ولو ألقيت عذوبته في البحر لاصبح حلو المذاق ولو رقى به البدر لوقى آفة المحاق ولو مر ببيداء لعادت كسواد العراق وأزمعان يسير بنواعج لواعجه في طرقه ومناهجه ويطير بجناح الارتياح في الدو الى متقاذف ذلك الجو ليكحل بالقاحك جفونه ويجلو بوضاحك دجونه ويجدد بلقائك عهد الم يبج البين رسمه ويشاهد بمشاهدة علائك سرورا محت يد البعد وسمه ويحط من افناء بشرك بالاهل العامر ويسقط من أنواء برك على الحافل الغامر فخاطبت معرضا عن التحريض ومجتزيا بنبذ العرض ولمح التعريض وتابعا له باسرارك تلك الخطرات ذكر العهود القديمة وارتياحك للقاء مثله من أعلاق العشرة الكريمة وأنت ولى ما تلقاه به من تأنيس ينشر ميت رجائه ويعمر مقفر أرجائه لا زلت عاطفا على الاخلاء بكرم الود قاطفا زهر الثناء من كمام الحمد بحول الله وقوته

وله (طويل)

ويوم لنا بالخيف راق أصيله * كما راق تبر للعيون مذاب

التكحل في العين ورونق التشبيب في مصوغ التبر واللجين وقد رتبه النهى أشرف ترتيب وبوبته العلا أبدع تبويب فالحقه بصدر النادى وأسبقه الى المرتبة بشرف المنادى رعاية لاوامر الآداب والمحافظة على الخلة الواشجة في أعصر الشباب وتذكار لربوع الصبا وأطلاله وعهود اللذات المنسابة في بكره وآصاله وما سحبت الليالى في ميادينه من لبوس نعيم وبوس وأجنت الايام في بساتينه من زهرات أفراح ومسرات حذوا للخلق الاكمل وأخذا بقول الاول (بسيط)

ان الكرام اذا ما أسهلوا ذكروا * من كان يألفهم في المنزل الخشن

وموصله وصل الله سراءك وأثل علاءك أبو فلان ذاكر مشاهدك الغر الحسان وناشر ما تعتمد في صلته من مقاصد الحسن والاحسان أبقاه الله ما نظمني معه سمط ناد ولا احتوانى واياه مضمار تكرر واحاد الا وأبنت من ما ثرك خليطى الدر والمرجان وجاء بطليعة السوابق في احصاء مفاخرك رخى اللبب مرخى العنان ولقد فاوضني من أحاديث ائتلافكما في العصور الدارسة العافية وانتظامكما في زهرات الانس في ظلال العافية واتساقكما في حبرات العيش الرقاق الضافية وارتشافكما لسلافة النعيم المزة الصافية بأفانين الغيطان والنجود وزخارف الروض المجود ومعاطف الطرد بين خيلان الخدود ما لواقيت بشاشته الصخر لمنع بهجة الايراق ولو ألقيت عذوبته في البحر لاصبح حلو المذاق ولو رقى به البدر لوقى آفة المحاق ولو مر ببيداء لعادت كسواد العراق وأزمع ان يسير بنواعج لواعجه في طرقه ومناهجه ويطير بجناح الارتياح في الدو الى منتهاد فيذلك الجو ليكحل بالتماحك جفونه ويجلو بأوضاحك دجونه ويجدد بلقائك عهد النهج البين رسمه ويشاهد بمشاهدة علائك سرورا محت يد البعد وسمه ويحط من افناء بشرك بالاهل العامر ويسقط من أنواء برك على الحافل الغامر فخاطبت معرضا عن التصريح ومجتزيا بنبذ العرض ولمح التعريض وتابعاله بأسرار تلك الخطرات ذكرا لعهود القديمة وارتياحك للقاء مثله من أعلاق العشرة الكريمة وأنت ولي ما تتلقاه به من تأنيس ينشر ميت رجائه ويعمر مقفر أرجائه لازلت عاطفا على الاخلاء بكرم الود قاطفا زهر الثناء من كمام الحمد بحول الله وقوته

وله (طويل)

ويوم لنا بالخيف راق أصيله * كما راق تبر للعيون مذاب

نعم مناديه والنهر ينساب ماؤه * كما انساب ذعراحين ريع حباب
وللموج تحت الريح منه تكسر * تولد فوق المتن منه حباب
وقد نجمت قضب لدان بشطه * حكتم اقدود للحسان رطاب
وأينع مخضر النبات خلالها * كما أقبلت نعمى وراق شباب

(وكتب) عن أحد الامراء الى قوم عليه شفعوا الجناة طاعتكم أبقاكم الله ثابتة الرسوم واضحة الوسوم وضمانتكم بالسلطان عصمه الله ضمانة الجبان بالحياة واعدادكم للمكافحة عن الدولة وطدها الله اعداد المهلب للبيات فالكم والشفاعة لرعاع ندوا عن عصمة الجماعة ونفروا وخاسوا بذمام الطاعة وختروا ثم ودوا لو تكفرون كما كفروا فارفضوهم عن جماعتكم وذودوهم عن حياض شفاعتكم ذياد الاجرب عن المشرب فنحن لا نقبل على توسل مستخف بالنفاق مستتر ولا نقبل الخدعة ممن تمادى على الغواية مصر ان شاء الله (وله) فصل من رسالة في اهداء فرس وقد بعثت اليك ايدك الله بجواد يسبق الحلبة وهو يرسف ويتهل متى ترمق العين فيه تسهل يزحم منكب الجوزاء بل منكبه وتزل عن متنه حين تركبه ان بدا قلت ظبية ذات غرارة تعطو الى عرارة أو عدا قلت انقضاض شهاب أو اعتراض بارق ذي التهاب فانعمه الى أري جيادك واتخذه ليومي رهانك وطرادك ان شاء الله عز وجل (وأصبحت) يوما منبسط النفس معترض الانس فزلي فارس يحمل كتبا اليه وينقض للسرعة من دونه فحملته بيتين يضعهما في يديه وهما (طويل)

عسى روضة تهدى الى آنيقة * تدبج اسطارا على ظهر مهرق
أحلي بها المجرى علاء وسوددا * وأجعلها تاجا بها بمفرق

فكتب الى مراجعا (طويل)

اتتنى على شخص العلاء تحية * كرأد الضحا في رونق وتأنق
انم من الريحان ينضح بالندى * واطرب من سجع الحمام المطوق
سطيران في مغزاهما أمن خائف * وسلوة مشغوف وأنس مشوق
نصرت أبا نصر بها هم العلا * وأطلقت من آمالها كل موثق

(وحللنا) الوزير القاضي أبو الحسن بن أضحى الى احدى ضياعه بخارج غرناطة ومعنا الوزير أبو محمد بن مالك وجماعة من أعيان تلك المسالك فحللنا بضيعة لم

يصت المحل أنلها ولم ترمق العيون مثلها وجلنابها في أكناف جنات الضفاف فانشأت من دوحة لفاء وغصن يميس كعطفي هيفاء وماء ينساب في جداوله وزهر يضمخ بالمسك راحة متناوله ولما قضينا من تلك الحدائق أربا واقتضضنا منها اترابا عربا ملنا الى موضع المقيل وزلنا عن منازه تزري بمنازه جذيمة مع مالك وعقيل وعند وصولنا بدا الي من أحد الاصحاب تقصير في المبرة عرض لي منه تكدير لتلك العين القريرة فأظهرت التثاقل أكثر ذلك اليوم ثم عدلت عنهم الى الاضطجاع والنوم فاستيقظت الاوالسماء قد نسخ صحوها وتغيم جوها والغمام منهمل والثرى من سقياه غل فبسطني بتحفيه وأم جني بر لم يزل يتممه ويوفيه وأنشدني (بسيط)

يوم تجهم فيه الافق وانتثرت * مدامع الغيث في خد الثرى هملا
رأى وجومك فارتدت طلاقته * مضاهيا لك في الاخلاق ممتثلا

(وكتب) يستدعي الى مجلس أنس يومنا أعزك الله يوم قد نقبت شمسه بقناع الغمام وذهبت كأسه بشعاع المدام ونحن من قطار الوسمي في رداء هدي ومن نضير النوار على نظائر النظار ومن بواسم الزهر في لطائم العطر ومن غر الندمان بين زهر البستان ومن حركات الاوتار خلال نغمات الاطيار ومن سقاة الكؤس ومعاطي المدام بين مشرفات الشموس وعواطي الآرام فرأيك في مصافة الاقمار ومنافثة الانوار واجتلاء غرر الظباء الجوازي وانتقاء درر الغناء الحجازي موفقا ان شاء الله تعالى

(ذو الوزارتين الكاتب أبو عبد الله بن أبي الخصال أعزه الله)

حامل لواء النباهة الباهر بالروية والبداهة مع صون ووقار وشيم كصفو العقار ومقول أصنى من ذي الفقار وله أدب بحره بزخر ومذهب يباهي به ويفخر وهو وان كان خامل المنشا نازله لم ينزله المجد منازله ولا فرع للعلاء هضابا ولا ارتشف للسناء رضابا فقد تميز بنفسه وتحيز من جنسه وظهر بذاته ونفر بأدواته والذي الحقه بالمجد وأوقفه بالمكان المنجد ذكاء طبع عليه طبعه ونجم في تربة النباهة غربه ونبعه وتعلق بأبي يحيى بن محمد بن الحاج وهو خامل الذكر عاطل الفكر فلك قياد أمره وهبة من حر قد خوله وقدح استعماله اياه زناد ذكائه وأبدى شعاع زكائه ولم يزل عاثرا معه ومستقلا ومثريا حينا وحينا

مقلا الى أن تورطوا فى تلك الثنية التى اقتحاماها وما انحوا شخاليلها وطمعوا ان يقتنالوا من أمير المسلمين ملكا معصوما وابره وامن كيدهم ما غدا بيد القدرة منصوما وفى أثناء بغيهم وخلال حربهم الوبيل وسعيهم كانت ترد عليهم من قبله ايده الله كتب تحل ما ربطوه وتروعهم عما أبطوه فلم يكن لهم بد من ادنائه لحسن منابه فى المراجعة عنهم وغنائه فورد عليهم ليلة كتاب راعهم وانساهم جلادهم وقراعهم وهم بمجلس أنس فصحوا من حباه ومحوا منه عبق الانس ورياه فاستدعاه فى ذلك الحين للمراجعة عن فصوله والمعارضة لفروعه واصوله فأبان عن الغرض وخلص جوهره من كل عرض وأبدع فى احكامه وبرع فى قضاياه واحكامه فحمل ابا يحيى بن محمد استحسان ما كتبه ان خططه للعين واقتبه والمدام لرأيه البائل مالكة وبعقله فى طرق الخبال سالكة فلم يعمل فيها فكرا ولم يتأمل أعرفا أتى أم نكرا فجرت عليه لقبا وأعلته من الاشتهار مرقبا وصار مرتسما فى العلية متسما بتلك الحلية وسازالت الدول تستدنيه نائيا وتنشه دانيا ولا تجعله مجتنيا عليه ولا جانيا فما بيده رفع شومه ولا محو وشومه وقد أثبت له ما تجتليه فتستحليه وتلمحه فتستمطه فن ذلك قوله فى مغنى زار بعد ما أغب وشط منه المزار (كامل)

وانى وقد عظمت على ذنوبه * فى غيبة قبحت بها آثاره
فمحا اساءته بها احسانه * واستغفرت لذنوبه أوتاره

(وكتبت اليه) عندما وصل امير المسلمين وناصر الدين الى اشبيلية صادرا عن غزوة طلبيرة سنة ثلاث وخمسمائة ووصل فى جملته ونزل بمحلته واتفق لى شغل توالى واتصل الى أن رحل أمير المسلمين أيده الله وانفصل فسألت عنه فاعلمت انه سار معه وما فارق مجتمعه فكتبت اليه مستدعيا من كلامه ما أثبته فى الديوان وأثبته فيه زهر بستان فوافاه رسولى من البلد على مرحلة فى ليلة من ضياء البدر محملة فكتب الى مراجعا الحذر أعزك الله يؤتى من الثقة والحبيب يؤذى من المقة وقد كنت أرضى من ودك وهو الصحيح بلمحة وأقنع من شمائلك وهو المسك بنفحة فمازالت تعرضنى للامتحان وتطالبنى بالبرهان وتأخذنى بالبيان وأنا بنفسى أعلم وعلى مقدارى أحوط وأحزم والمعيدى يسمع به لأن يرى وان وردت أخباره تترا فشخصه مقتحم مزدرى ولا سيما من لا يجلى

ناطقا ولا يبرز سابقا فتركه والظنون ترجمه والقال والقيل يقسمه . والاوهام تحمله وتحرمه وتخفيه وتخترمه أولى به من كشف القناع والتخلف عن منزلة الامتاع وفى الوقت من فرسان هذا الشان وأذمار هذا المضمار وقطان هذه المناهل وهداة تلك المجاهل من تحسد فقره الكواكب وتترجل اليه منها الراكب فاما الازاهر فلقاة فى رباها ولو سلت عن المسك حباها وصيغت من الشمس حلاها فهى من الوجد تنظر بكل عين شكرا لا نكرا واذا كانت أنفاس هؤلاء الافراد مبثوثة وبدائعهم منثورة وخواطرهم على محاسن الكلام مبعوثة فما غادرت مترددما ولا استبقت لمتأخر متقدما فعندها يقف الاختيار وبها يقع المختار وأنا أنزه ديوانه النزيه وتوجيهه الوجيه عن سقط من المتاع قليل الامتاع ثقيل روح السرد مهلك صر البرد الآن يعود به جماله ويحرس نقصه كماله وهبه أعزه الله قد استسهل استخلاقه وطامن له اخلاقه أتراني أعطى الكاشحين فى اثباته يدا وأترك عقلى لهم سدا وما خالك ترضاها لى مع الود خطة خسف ومهواة حتف لا يستقل غبينها ولا يبل طعينها (وله فصل منها) فلم نحل بطائل وصرنا تحت قول القائل (كامل)

ترك الزيارة وهى ممكنة * وأتاك من مصر على جمل

الزيارة ههنا أعزك الله مثل لا لفظ محتمل لانى أوجبها ولا استوجبها وأفرضها ولا أفترضها والتأويل على كل حال لا يتعدى الجميل مذهبا ولا يتخذ ايل الشك مركبا وأنت المفتتح للصلة المولى للمنة المشتملة وان رسولك وافانى بكتابك الخطير والشمس واجبة سقوط منازع وحياة الذى يقضى حشاشة نازع والبيت قد غص ببانيه وضاق لفظه عن معانيه فاختلست أحرفى هذه اختلاس مسارق والتماح بارق والخاطر مخاطر والشغل مساهم مشاطر يصدر فكرى اليه ويخلع فترى عليه الاصبابة لا ترد صبابة ورسيسا لا يشفى نسيبا فدونك واهن الدعائم واهى العزائم يتبرأ تابعه من متبعه وينفر سامعه من مسمعه ولولا أن الجواب فرض يجرح معطله ويخرج عن ملة التصافى مبطله لاعتذرت واقتصرت واكتفى أو رحقك وان أبقى على دركا ويواتى دركا وقد جاءت فلا ناما اسمع به الوقت وان اشتبه على القصد والسمت وحاضرت بما يسرت الى ذكره على شريطة كتمانه وستره انقيادا الى أمرك وتصديا الى عقوقك بيرك (وله) أيضا

ايدك الله ليست الاذناب كالاعراف ولا الانذال كالاشراف ولا كل اشراف باشراف فمنهم من يصم ماولى ويعمى عن الصبح وقد جلى ان ذكرني وان عدل فكانما أغرى وكثيرا ما يمتد شططه فيحذف نقطه ويهجر غلطه وان سامحناه في الضبط واتحفناه بالنقط نبذ الوفاء فخذفنا القفاء وجفا الكريم فالغينا اللئيم (وله بعد ما يليق ما ألق) وان أشرف فعلى الخطر العظيم وان اطلع ففي سواء الجحيم ورب طويل الضاد غريق في الاتهام والانجاد ولا يته أمان وعمله جنان وخلقه رضوان تود النجوم ان ينظمها في كتاب أو ينسقها نسق حساب قد ارتقى بخفته باذخ السماء وأخذ بضبعها رافعها الى السماء فهنالك وأنت ذالك طاب الجنى ودنت المنى وأيقن الشرف انه في حرم وحمى اقسم بالمبتسم البارد والحبيب الوارد قسما تبقى على الشيب جدته ويعز على المشيب حدته ذكرى من ذلك العهد مدت بسببه ومتت الى القلب بنسبه ليعتون على الكرام وليجترؤن على الانام وليأخذن فوق أيديهم وليكفن من تعديهم مالهم تحت اللائم وتسمهم بغير سماتهم وتصفهم بصفاتهم وتعلهم بعلاتهم فأين أنت من الدبة وسنام قد استؤصل بالجب وكيف ارتياحك بغير خران دارت ولمكرمة كالشمس أشرقت وأنارت لاجرم انك منها على ذكر وبمدرجة حمد وشكر وما هو الا الشريف الاوحد ومن لا يشكر فضله ولا يجحد أبو بكر أعزه الله وناهيك ثناء وحسبك علاء وسناء فتى دهى في ضيعته هذا الدواء ورمى بخطوب غير ريوث ولا سواء ورأيك أصاب الله برأيك وجبر الاولياء بسعيك في تحصين مراعاته وترفيهه ومحاشاته ولولا عذر منع لكان على أفقك النير قد طلع ولكنه استناب فلانا وحسبه ان يؤدي كتابا ويقتضي جوابا ويتصرف على حكمك جيئة وذهابا ان شاء الله (وله) يعتذر من استبطاء المكاتبة (طويل)

ألم تعلموا ان القلب رهن لديكم * يخبركم عني بمضمره بعدي
ولو قلبتني الحادثات مكانكم * لانهبتها وفرى وأوطأتها خدي
ألم تعلموا أني وأهلي وواحدي * فداء ولا أرضى بتفدية وحدي

(ولما نكب) الوزير أبو محمد بن القاسم النكبة التي أنبأت بتعذر الاوطار لذوي الاخطار وأعلنت بكساد الفضائل والمعالي واستيناء الوضيع على الماجد العالي لانه كان طود كمال وبحر اجمال وناظم خلال وعالم جلال وحين ثل الدهر

عرشه وأحل سواء فرشه خاطبه كل زعيم مسليا عن نكبته واتقالهم عن رتبته
فكتب اليه هو في جملة من كتب وان كان نازلا عن تلك الرتب برقعة مستبدعة
وهي مثلك ثبت الله فؤادك وخفف عن كاهل المكارم ما أدهى بك وآدك يلقى
دهره غير مكترث وينازله بصبر غير منتكث ويبسم عند قطوبه ويفل شباة
خطوبه فما هي الا غمرة ثم تنجلي وخطرة يليها من الصنع الجميل ما يلي لا جرم أن
الحر حيث كان حر وان الدر برغم من جهله در وهل كنت الا حساما انتضاه
قدر أمضاه وساعد ارتضاه فان أغمده فقد قضى ما عليه وان جرده فذلك اليه
أما انه ما ثلم حده ولبس جوهر الفرند خده لا يعدم طبنا يشترطه وعينا يخترطه
هذه الصمصامة تقوم على ذكرها القيامة طبقت البلاد أخباره وقامت مقامه
في كل أفق آثاره فأما حامله فنسي منسي وعدم منهي كلا لقد فنيت الحقائق
وأنهيت تلك العلائق فلم يصحبه غير غرار ومتن عار وكلاهما بالغ ما بلغ ووالغ
معه في الدماء أي والغ وما الحسن الا المجرد العريان وما الصبح الا الطلق
الاضحيان وما النور الا ما صادم الظلام ولا النور الا ما فارق الكمام وما ذهب
ذاهب أجزل منه لعوض واهب وممن قضى حق المساهمة في هذه الحال التي
التوى عرضها وتأخر لاعذار القاطعة فرضها أسف يردد وارتماض يجدد
وذنوب على الايام تحصى وتعدد وحباء الاثام منها تحل وتعقد فيعلم الله عز وجهه
لقد استوفيت فيك هذه الايام ونهيت فيك حتى المزن عن الابتسام انتهى (وقال)
أبو نصر وفي أيام مقامي بالعدوة اتفقت بيني وبين أبي يحيى محمد بن الحاج سقى الله
مصرعه وأورده منهل العفو ومشرعه مودة استحكم تواخيها وشدت
أواخيها وغدونا بها حليفي صفاء واخلاص وأليفي انحاء واختصاص والزمان
مساعد وصرفه متباعد والشباب غض يانع والدهر يبيح ما هو له اليوم مانع
والدنيا سرور وايناس والارض ظباء وكناس فوقع بيني وبينه في بعض الايام
تنازع أدى بنا الى الانفصال وتعطيل تلك البكر والآصال ثم نمي الي عنه
قول ضاق به ذرعي واجتث منه أصلي وفرعي فكلما صدني عن الرحلة صممت
ونكثت من عرى التلوي ما كنت أبرمت وبعد انفصالي علمت ان ذلك
القول غدا زورا ووشى به من غص ان يرانا زارا وحضورا فانقشعت تلك المخيلة
وتحركت لوعة مودته الدخيلة وأكدت تجديد ذلك العهد الرائق وكف أيدي

تلك العوائق فكتبت اليه (طويل)

كعبة علياء وهضبة سودد * وروضة مجد بالمفاخر تمطر
هنيأ الملك زان نورك أفقه * وفي صفحتيه من مضائك أسطر
واني لمشتاق الجناحين كلما * سرى لك ذكرا ونسيم معطر
وقد كان واش هاجنا للتهاجر * فبت واحشائي جوى تتفطر
فهل لك في ودّ ذوي لك ظاهرا * وباطنه يندى صفاء ويقطر
ولست بعلق بيع بخساوانني * لارفع اعلاق الزمان وأخطر

(فأمر بمراجعتي) فكتب عنه بقطعة منها (طويل)

ثنيت أبانصر عنانى وربما * ثنت عزمة الشهم المصمم اسطر
ونالت هوى مالم تكن لتناله * سيوف مواض أوقنا متأطر
وما أنا الا من عرفت وانما * بطرت ودادى والمودّة تبطر
نظرت بعين لونظرت بغيرها * أصبت وجفن الرأى وسنان أشطر
وقدما بدات الود والحب فطرة * وما الودّ الا ما يمحض و يفطر

(وكتب) الى الوزير المشرف أبي بكر بن رحيم يهنئه بولاية خطة الاشراف بحضرة اشبيلية وذواتها في شوال سنة خمس عشرة وخمسمائة (وافر)

اذا ماشرّف الاشراف قوما * فان بنى رحيم شرفوه
ومن يعرف به لهم قديما * وان رغمت أنوف عرّفوه
كفاة للملوك بلى سبيل * ودين نصيحة ماحرفوه
أبو بكر له واهم كفيل * بكل كفاية اذ صرّفوه
وما الاشراف الاعبد قنّ * لهم فتى تولى استصرفوه

(هذه) أعزك الله بديهة البشرى وعجالة كعجالة القرى وبريد الى أم الك القرى فانالها بالاقبال ضمين وعلي آلية وبين لصوطنها أقلامك وتصمدت فيها مقامك ولتعرفن بالغرر والحجول أيامك فالفلك السعد ولاعدمك الملك الجعد وأبل وأخلق مثلهابعد دابعد وماحق من بشر باعتلائك وسرى بأنبائك الى أوليائك ان يؤخر مراده ويضيع ودّه واعتقاده وان الحاج أبا عبدالله بن شقران آملك الداعي لك أبقاه الله وجبره أشعرني بهذه المسرة والدعة الثرة ولقد هممت على هذا البرد بخلع البرد وحل العقد وفض النقد فدافعني

انقباضا وأعلى ان له فى عملك انماه الله أغراضا تحكون على ذلك أعوانا وأعواضا وأرانى عقدا يشهد بعدمه وصحة ما استحثه فى مقدمه وانه ليس له سوى غرس قد صار عليه كلا بل استدار فى ساقه كبلا والتوى فى عنقه غلا وآض له غلا لا مغلا ولك الطول ان تفتح نظرك وفقه الله بالتخفيف على مثله من الضعفاء ومن لا قدرة له على الاداء وحمل الاعباء فان ذلك ذكر فى العاجل وأجر فى الآجل ان شاء الله تعالى

(ذو الوزارتين الكاتب أبو محمد بن عبد البر رحمه الله)

بحر البيان الزاخر وفخر الاوائل والاواخر وواحد الاندلس الذى فاز فيها بحظ الظهور وحاز قصب السبق بين ذلك الجمهور وامترى اخلاف اسعادها وسق صوب عهادها واستقر فى مراتب رؤسائها استقرار الفلك عند ربائها الا انه حصل فى لهوات الاسد وصار الى موضع النفاق فكسد وافى المعتضد بالله فى طالع استوبله وتحس استقبله فكانت ايامه لديه حسرات ولم تومض له فيها بروق مسرات الى أن لاذ بالفرار وتخلص من يديه تخلص البدر من السرار وأبوه أبو عمرو كان سبب نجاته وخروجه من لهواته ولولاه لورد مشرع الحمام وكرع فى ماء الحسام فقليلا ماهم عباد فأقصر ولا توهم الاوكانه أبصر ولكن امامة أبيه الشهيرة دفعت فى صدر احتدامه وشفعت له عند اقدامه وقد أثبت له ما يتبين انه سحر ويتزين به للسناء نحر فمن ذلك ما قاله فى رجل مات مجذوما

(رمل)

مات من كنا نراه أبدا * سالم العقل سقيم الجسد
بحر سقم ماج فى أعضائه * فرمى فى جلده بالزبد
كان مثل السيف الا انه * حسد الدهر عليه فصدى

وله (كامل مجزو)

لا تكثرن تأملا * واحبس عليك عنان طرفك
فلربما أرسلته * فرماك فى ميدان حتفك

(وكتب) الى أحد اخوانه وقد نال الدهر من اجماله وامتهانه من صحب الدهر أعزك الله وقع فى أحكامه وتصرف بين أقسامه من صحة وسقم وغنى وعدم وبعاد واقتراب وانتزاح واغتراب واتفق لى ما قد علمت من الازعاج والاضطراب والتغرب والاياب لا والله ما جرى من ذلك شئ على مرادى واعتقادى وانما

هيأتها الاقدار والآثار وعند ورودى أعلمت بما أصابك به صروف الايام من الامتحان والابلاء فيعلم الله لقد آلمت نفسى وساءبه أثر الزمان عندى وقلت هذا عدل ما تهيأ من جلدى وبعدى فقد جمعتنا حوادث الايام وصروفها وان اختلفت أنواعها وصنوفها على أن الذى أصابك أثقل عبأ وأعظم رزأ والله يعظم أجرك ويجزل ذخرك ويجعل هذه الحادثة آخر حوادثك وأعظم كوارثك حتى تستديم عزك فى سراء سابغة تنعم بالك وخاطرك وتقرعينك وناظرك وتلحظ خطوب الدهر وأنت عنها فى حماية من الكفاية مكينة ودرع من الحماية حصينة ان شاء الله (وكتب عن الموفق أبى الجيش مهنئا للمعتضد بأخذ شلب) كتابى أعزك الله تعالى عن حال قد طال جناحها وآمال قد أسفر صباحها ويد قد اشتد زندها ونفس قد انتجز نجح كل مأمول وعدها بما وردنى به كتابك الكريم ان أعزبهما من جميل صنع الله لك بحصول قاعدة شلب وذواتها فى قبضتك واستراء ذلك الافق بظلال طاعتك وخروج صاحبها عنها من غير عقد عاصم ولا عهد لازم قد كذب بظنه فى القواسك وأخلفه أمله فى التهالك ورغم به أنف من بعد عنه وجدع به أنف من لم يوضع الميسم عليه فاى نعمة يا سيدى وأعلى عددى ما أجلها وأجزلها وأى جنة ما أتمها وأكملها على حين تضاعف حسن موقعها وبان لطف محلها وموضعها ولاحت عنوانا فى صحيفة مساعينا وبرهانا بحول الله على تأتى راجينا فالحمد لله ثم الحمد لله على ما من به وأحسن فيه حمدا يؤدى الحق ويقضيه ويحتوى المزيد ويقتضيه وهو المؤمل عز اسمه ان يتبع ذلك باشكاله ويشفعه بأمثاله ويهنى ذلك النجح سلما وحربا وشرقا وغربا والظهور بعدا وقربا فظهورى منوط بظهورك وسرورى موصول بسرورك واتصال حالى بأحوالك وحبلى بحبالك هنالك الله واياى ما خولك وقرن بالزيادة آلاءه قبلك بمنه (وكتب فى عناية) أتم الله أيها الامير الجليل محتده الجميل معتقده المشهور فضله وسودده عليك نعمه ظاهرة وباطنة وأجزل اليك قسمه متوافية وراهنة وآتاك من كل حظ أجزله ومن كل صنع أجمله ومن كل خير أتمه وأكمله ان الايام قد وصلت بيننا الى التراسل سببا وجعلت فى التواصل أربا فاذا أمكن سبب قدمته واذا تهيأ قول اغتنمته توكيدا لحال بعدك وتجديد العهد بينى وبينك فمثل الحظ منك لا يهمل وشبه الحق الذى لك لا يغفل ومكاتبة الصديق عوض من لقائه اذا

امتنع

امتنع اللقاء واستدعاء لانبائه اذا انقطعت الانباء وفيها أنس تلذ به النفس وارتياح تنتعش به الارواح وارتباط يتصل به الاغتباط وانقياد يتبين به الاعتقاد والوداد ومثل خلتك الكريمة عمرت معاهدها ومثل عشرتك الجميلة شدت معاقدها ومثل مكارمك البرة جدت مصادرها ومواردها واذ قد تسببت لى أسبابها فلا أقطعها واذ قد انفتحت بيننا أبوابها فلا أدعها وأنا أستدعيك مثل هذا اذا أسفر لك وطر وعن لك أمر فانى متطلع الى أخبارك أراعيها وحريص على أوطارك أقضيها ومستقطر لكتبك الكريمة أجتليها وأشاهد نعم الله منها وفيها فقد صدر عنى فلان لم أتلق لك خبرا ولم الحظ من تلقائك أثرا وذلك لا محالة لامتناع البحر وارتجاجه وتعذر المسلك وارتتاجه واذ قد ذل صعبه لراكب وهان خطبه على هائب فانى اعتقد ان كتابك بازاء كتابى وخطابك سيلقى خطابى ولما تهيأ سفر فلان صحبناه حمله الله الى الافق الذى أنت عماده والقطر الذى بيدك زمامه وقياده وقد تقدمه فيك أمل قد استثمره وشكر لك قد بثه ونشره أصحبته كتابى هذا مجددا عهدا وممهدا عنه حمدا فانه مادخل تارة الينا ولا تكرر ثانية علينا الا وذكرك الجميل فى فمه يبديه ويعيده وأثرك الحسن عليه يلهج به وينشده يتلو بذلك كله معاقدته المحمودة ومحافله المشهودة فى شكر الامير الاجل أخيك أطال الله بقاءه والاشادة بتعظيم أمره وتفخيم قدره فانه لا يعدو عندنا الا بايمه ولا يناضل الا بسهمه ولا يجاهد الا عنه ولا يحتسب الا فيه ومن جرى على البعد هذا المجرى وشكر شكره النعمى فخقيق بالانعام خليق بالاكرام وقد استضاف الى هذه الحقوق التى مثلها رعى وشبهها قضى انه ضيف لى وآثر من عندى أختصه باتم العناية وأعقده بأحمد الرعاية وأشفع له الشفاعة الحسنة وأستظهر له المعونة التامة والمشاركة البينة وأنت بفضلك تلقى أمله بالتحقيق ورجاءه بالتصديق وتصل فضلك عليه حتى يكون قليبا يروى وسقاء يشفى وورد اينهل وسببا يتصل ان شاء الله عز وجل

(الوزير الكاتب أبو الفضل بن حسداى رحمه الله)

سابق فبرز وأحرز من البلاغة ما أحرز وجرى فى ميدانها الى أبعد أمد وبنى أغراضها بالصفاح والعمد فغبر وجوه سوابقها وظهر أمام وجيهها ولاحقها اذا كتب انتسب اليه السحر أصح انتساب ونسق المعجزات نسق حساب وأرى

البدائع بيض الوجوه كريمة الاحساب وقد كانت الذمة تقعده عن مراتب اكفائه وتجذ فى طموس رسمه وعفائه وتصرفه تصريف المهيض وتقعده فى ذلك الحضيض حتى ألحقه الله باقرانه وأقاله من متجر خسرانه فتطهر من تلك السمة واستظهر بعقيدته التى قيدت فى ديوان الحق مرتسمة وبدت محاسنه سافرة القناع كافرة بذلك الدين الذى عدل بها عن الاقناع وقد أثبت له من ذلك ما لا يرجى لمذاق ولا يغشى تمامه محاق فمنها هذه القطعة التى أطلعها نيرة وترك الالباب بها متحيرة فى يوم كان عند المعتمد بالله مع علية قد اتخذوا المجد حلية والامل قد سفر لهم عن محياه وعبق لهم رياه فصافحه الكل منهم وحياه وشمس الراح دائرة على فلك الراح والملك ينشر فضله ويشتروا بله وطله يسدى العلاء ويهب الغناء والغناء فصدحت الغوانى وأفصحت المثالث والمثانى بما استنزل من موقف الوقار وسرى فى النفوس مسرى العقار (بسيط)

توريد خدك للاحداق لذات * عليه من عنبر الاصداغ لامات
نيران هجرك للعشاق نار لظى * لكن وصلك ان واصلت جنات
كأنما الراح والراحات تحملها * بدور تم وأيدى الشرب هالات
حشاشة ما تركنا الماء يقتلها * الا لتحيا بها منا حشاشات
قد كان فى كأسها من قبلها ثقل * فخف اذ ملئت منها الزجاجات
عهد لليلى تقاضته الامانات * بانت وما قضيت منها لبانات
يدنى التوهم للمشتاق منتزحا * من الامور وفى الاوهام راحات
تقضى عدات اذا عاد الكرى واذا * هب النسيم فقد تهدى تحيات
زور يعلل قلب المستهام به * دهرا وقد بقيت فى النفس حاجات
لعل عتب الليالى أن يعود الى * عتبى فتبلغ أوطار ولذات
حتى تفوز بما جاد الخيال به * فربما صدقت تلك المنامات

(ولما) أعرس المستعين بالله ببنت الوزير الاجل أبى بكر بن عبد العزيز احتفل أبوه المؤتمن بالله فى ذلك احتفالا شهره وأبدع فيه ابداعا راق من حضره وبهره فانه أحضر فيه من الآلات المبتدعة والادوات المخترعة ما بهر الالباب وقطع دون معرفتها الاسباب واستدعى اليه جميع أعيان الاندلس من دان وقاص ومطيع وعاص فأتوه مسرعين ولبوه متبرعين وكان مدير تلك الاراغة

ومدبرها

ومدبرها ومنشئ مخاطباتها ومحبرها الوزير الكاتب أبو الفضل وصدرت عنه في ذلك الوقت كتب ظهر اعجازها وبهر اقتضابها وايجازها (فمن ذلك) ما خاطب به صاحب المظالم أبا عبد الرحمن بن طاهر محلك أعزك الله في طي الجوانح ثابت وان نزحت الدار وعيانك في احناء الضلوع باد وان شحط المزار فالنفس فائزة منك بتمثل الخاطر بأوفر الحظ والعين نازعة الى أن تمتع من لقائك بظفر اللحظ فلا عائدة أسبغ بردا ولا موهبة أسوغ وردا من تفضلك بالخفوف الى مأنس يتم بمشاهدتك التئامه ويتصل بمحاضرتك انتظامه ولك فضل الاجمال بالامتاع من ذلك بأعظم الآمال وأنا أعزك الله على شرف سودد لنا كم وعلى مشرع سنائكم حائم وحسبي ما تحققه من نزاعي وتشوقي وتتيقنه من تطلعي وتوقي وقد تمكن الارتياح باستحكام الثقة واعتراض الانتزاح بارتقاب الصلة وأنت وصل الله سعدك بسماحة شيمك وبارع كرمك تدني لمؤانسة عهدا وتوري بالمكارمة زندا وتقتني بالمشاركة شكرا حافلا وحمدا لازلت مهنأ بالسعود المقتبلة مسوغا اجتلاء غرر الاماني المتهللة بمنه (وله) مراجعا للوزير أبي محمد بن سفيان بقطعة منها (كامل)

قابلت بالعتبى كتابك حافظا * للعهد حفظ العين بالاجفان
وبسطت أوضح من زياد عذرة * لولم تكن أقسى من النعمان
أسقيك عذبا باردا وسقيتني * اذ جاش جهلك من حميم آن
أعضبت جهلا ان نسبت الى الصبا * فافرح فانك منه في ريعان

(وركب) المستعين بالله يوما نهر سرقسطة يريد اطرادلذته وارتياد نزهته وافتقاد أحد حصونه المنتظمة بلبته واجتمع له من أصحابه من اختصه لاستصحابه وفيهم أبو الفضل مشاهد لانفراجهم سالك لانتهاجهم والمستعين قد أحضر من آلات ايناسه وأظهر من أنواع ذلك وأجناسه ماراق من حضر وفاق حسنه الروض الانضر والزوارق قد حفت به والتفت بجوانبه ونغمات الاوتار تحبس السائر عن عدوه وتخرس الطائر المفصح بشدوه والسمك تثيرها المكائد وتغوص اليها المصائد فتبرزها للعين قضبان در وسبائك لجين والراح لا يطمس لها لامع ولا يخنس منها بصر ولا سمع والدهر قد غضت صروفه واقتص من منكره معروفه فقال (بسيط)

لله يوم أنيق واضح الغرر * مفضض مذهب الآصال والبكر
كأنما الدهر لما ساء اعتبنا * فيه بعتبي وأبدى صفح معتذر
نسير في زورق حف السفين به * من جانبيه بمنظوم ومنتثر
مد الشراع به نشرا على ملك * بذ الاوائل في ايامه الاخر
هو الامام الهمام المستعين حوى * عليا مؤتمن عن هدى مقتدر
تحوي السفينة منه آية عجبا * بحر تجمع حتى صار في نهر
تثار من قعره النينان مصعدة * صيدا كما ظفر الغواص بالدرر
وللندامى به عب ومرتشف * كالريق يعذب في ورد وفي صدر
والشرب في ودمولى خلقه زهر * يذكو وغرته أبهى من القمر

(الوزير الجليل أبو عامر بن ينق)

بهر ذكاء وطبعا وعمر للمحاسن ربعا فأقام للاعجاز برهانا وتيم الباب واذهانا لولا عجب استهواه وأخل بما حواه وزهو ضفا على أعطافه وأخفى نور انصافه الأأن حسنة احسانه لتلك السيئة ناسخة وفي نفس الاستحسان راسخة وقد أثبت له ما استبدعه ويفتنك مصادفيه ومنزعه فمن ذلك قوله يمدح (بسيط)

حسبي من الدهر ان الدهر ينتج لي * بكر الخطوب واني عاثر الامل
دعني أصادي زماني في تقلبه * فهل سمعت ببطل غير منتقل
وكلما راح جهما رحت مبتسما * والبدر يزداد اشراقا مع الطفل
فلا يروعنك اطراقي لحادثة * فالليث مكمنه في الغيل للغيل
فما تأطر عطف الرمح من خور * فيه ولا احمر صفح السيف من خجل
لاغرو أن عطلت من حليها هممي * فهل يعير جيد الظبي بالعطل
وبلاهة لا أنال القوس باريها * وقلد السيف جيد الفارس البطل

ومنها في المديح

أغر ان تدعه يوما لنائبة * جلا ولا يكشف الجلى سوى جلل
قد أوسع الارض عدلا والبلاد ندى * فالروض طلق الربى والشمس في الحمل
يرعى الممالك في قرب وفي بعد * ويأخذ الامر بين الريث والعجل
ذو عزمة لخطوب الدهر يردها * أمضى من الصارم المطرور في القلل
وذو أياد على العافين جاد بها * أشفى من البارد السلسال للغلل

مصرّف قصب الاقلام نال بها * منازله بشبا الخطية الذبل
من كل أهيف ما في متنه خطل * والسمهرية قد تعزى الى الخطل
دع عنك ما خلدت يونان من حكم * وسار في حكماء الفرس من مثل
وانظر اليها تجدها أحرزت سبقا * في الجهد منها وحاز السبق في مهل

وله يتغزل (طويل)

وهيفاء يحكيها القضيب تأودا * اذا ما انثنت في الربط أو حبراتها
يضيق الازار الرحب عن ردفها كما * تضيق بها الاحشاء عن زفراتها
وما ظبية اذ ما تألف وجرة * تزود ظلال الغيل أو أثلاتها
بأحسن منها يوم أومت بلحظها * الينا ولم تتفق حذار وشاتها

(الوزير الكاتب أبو بكر بن قزمان رحمه الله تعالى)

مبرز في البيان ومحرز الخصل عند تسابق الاعيان اشتمل عليه المتوكل على الله اشتمالا أرقاه الى مجالس وكساه ملابس فاقتطع اسمى الرتب وتبوأها ونال اسنى الحظوظ وما تلاها فان دهره كر عليه بخطوبه وسفر له عن قطوبه فكدر عيشه بعد ما صفا وقلص برده الذي كان ضفا وتجرع آخر عمره من كؤس الذل أبشعها ذوقا ولبس من ملابس الهوان أشوهها طوقا في قصة أساء بها ابن حمدين وما أجمل وجاء بها شوهاء لا تتأمل وأخلاقه هي التي فلت من غربه وكانت سببا لطول كربه فانها كانت تحتدم في جوانحه احتدام القيظ تكاد تميز من الغيظ وكان رحمه الله ظاهر الصواب متى نبس طاهر الاثواب من كل دنس معجزا ببيانه موجزا في كل أحيانه وقد أثبت له ما تعلم به حقيقة قدره وتعرف كيف أساء الزمان اليه بغدره فمن ذلك قوله (كامل)

ركبوا السيول من الخيول وركبوا * فوق العوالي السمر زرق نطاف
وتجللوا الغدران من ماذيهم * مرتجة الاعلى على الاكتاف

(الوزير الكاتب أبو بكر بن الملح)

حل كنفي العلم والعليا وأخذ بطرفي الدين والدنيا فهصر أفنان الفتوة واقتصر برهة على اجتلاء غرر الاماني المجلوة لم يتأنس بها الا بنشوة ولم يتنفس فيها الا عن صبوة ولا طاف مدة بها ركن استتار ولا عاف ورد استهتار والدين يلحظه بطرف كاف وقلب عليه مؤتلف الى أن أقصر باطله واستبصر موقفه ومماطله

فعرى من ذلك اللبوس وبرى من تلك الكؤس وأصبح ثانى الاكابر وراقى أعواد المنابر وقد أثبت له مايستجاد ويناد له تهائم ونجاد فمن ذلك قوله (كامل)

والروض يبعث بالنسيم كأنما * أهداه يضرب لاصطباحك موعدا
سكران من ماء النعيم فكلما * غناه طائره وأطرب رددا
يأوى الى زهر كأن عيونه * رقباء تقعد للأحبة مرصدا
زهر يبوح به اخضرار نباته * كالزهر أسرجها الظلام وأوقدا
ويبيت فى فنن توهم ظله * يمسى ويصبح فى لقرارة مرودا
قد خف موقعه عليه وربما * مسح النعيم بعطفه فتأودا

وله يتغزل (خفيف)

حسب القوم انى عنك سال * أنت تدرى صبابتى ما أبالى
قمرى أنت كل حين وبدرى * فتى كنت قبل هذا هلالى
أنت كالشمس لم تغب لى ولكن * حجبت ليلها حذار الملال

وله يتغزل أيضا (منسرح)

ظبى يروج الهوى بناظره * حتى اذا مارمى به انبعثا
مبتدع الخلق لا كفاء له * يعذ شكوى صبابتى رفثا
أنكر سقمى وماقصدت له * وما تعرضت للهوى عبثا
أقسم فى الحب ان أموت به * فما قضى برّه ولا حنثا

تم القسم الثانى من قلائد العقيان ومحاسن الاعيان المضمن غرر حلية الوزراء ونقر الكتاب البلغاء

القسم الثالث من قلائد العقيان ومحاسن الاعيان فى لمع اعيان القضاة ولمح اعلام العلماء السراة

(الفقيه القاضى أبو الوليد الباجى رحمه الله تعالى)

بدر العلوم اللائح وقطرها الغادى الرائح وثبيرها الذى لا يزحم ومنيرها الذى ينجلى به ليلها الاسحم كان امام الاندلس الذى تقتبس أنواره وتنتجع انجاده

وأغواره رحل الى المشرق فعكف على الطلب ساهرا وقطف من العلم أزاهرا وتفنن فى اقتنائه وثنى اليه عنان اعتنائه حتى غدا علوى الوطاب وعاد لج طلبه الى الارطاب فكر الى الاندلس بحر الاتخاض لجه وتجرالايطمس منهجه فتهادته الدول وتلقفته الخيل والخول وانتقل من محجر الى ناظر وتبدل من يانع بناضر ثم استدعاه المقتدر بالله فسار اليه مرتاحا وبدا فى أفقه ملتاحا وهنالك ظهرت تآليفه وأوضاعه وبدا رخده فى سبل العلم وايضاعه وكان المقتدر يباهى بانحياشه الى سلطانه وايثاره لحضرته باستيطانه ويحتفل فيما يرتبه له ويجريه وينزله فى مكانه متى كان يوافيه وكان له نظم يوقفه على ذاته ولا يصرفه فى رفث القول وبذاذاته (فمن ذلك) قوله فى معنى الزهد (متقارب)

اذا كنت أعلم علما يقينا * بأن جميع حياتى كساعه
فلم لا أكون ضنينا بها * واجعلها فى صلاح وطاعه

(وله يرثى ابنيه) وماتا مغتربين وغربا كوكبين وكانا ناظرى الدهر وساحرى النظم والنثر (طويل)

رعى الله قبرين استكانا ببلدة * هما اسكناها فى السواد من القلب
لئن غيبا عن ناظرى وتبوآ * فؤادى لقد زاد التباعد فى القرب
يقر بعينى أن أزور ثراهما * وألزق مكنون الترائب بالترب
وأبكى وأبكى ساكنيها العلى * سأنجد من صحب واسعد من سحب
فما ساعدت ورق الحمام أخا أسى * ولا روحت ريح الصبا عن أخى كرب
ولا استعذبت عيناى بعدهما كرى * ولا ظمئت نفسى الى البارد العذب
أحن ويثنى اليأس نفسى عن الاسى * كما اضطر محمول على المركب الصعب

(وله) يرثى ابنه محمدا (كامل)

أمحمد ان كنت بعدك صابرا * صبر السليم لما به لا يسلم
ورزئت قبلك بالنبى محمد * ولرزؤه أدهى لدى وأعظم
فلقد علمت بأننى بك لاحق * من بعد ظنى اننى متقدم
لله ذكر لا يزال بخاطرى * متصرف فى صبره متحكم
فاذا نظرت فشخصه متخيل * واذا أصخت فصوته متوهم
وبكل أرض لى من اجلك لوعة * وبكل قبر وقفة وتلوم

فاذا دعوت سوالنجاد عن اسمه * ودعاه باسمك مقول بك مغرم

حكم الردى ومناهج قد سنها * لأولي النهى والحزن قبل متمم

(الوزير الفقيه أبو مروان بن سراج رحمه الله تعالى)

أحد أعيان البيان وخاتم أعلام الكلام ومعين الانتخاب والانتداب على طموس رسم اللغات والآداب فانه أودى فطويت المعارف وتقلص ظلها الوارف لانه كان لجة بحر وكان بالاندلس كعمرو بن بحر وزانها بمعرفته كدرة بنحر وكانت دواوين العلم مقفلة ففتحها ومبهمة فأوضحها وشرحها وجاء ابنه بعده فصارت رباعه به أواهل ولم تعدم معالمه بعده مجاهل الا أن أبا مروان كان دوح ذلك الفرع ومدر ذلك الضرع وصحب شيوخا درجة أبي الحسين أن يحمل عن طلبتهم وينزل عن مرتبتهم وكان في ضبطه وتقييده وحله لتشبك الغرض وتقييده في حد لا يأتى عليه تحديد ولا يعبر عنه لسان حديد الا انه كان يخور عند السؤال فما يكاد يفيد ويتفجر غيظا على الطالب حتى يتبلد ولا يستفيد وقد أثبت من بدائع أقوالهما تعبد القول في استحسانه وتسديده وتلطف سناه وترديده (فمن ذلك) قوله يمدح المظفر بن جهور رحمه الله (كامل)

انما هو الذي أعز مكان * كم صارم من دونه وسنان

بين حروب لم تزل تغذوهم * حتى الفطام ثديها بلبان

في كل أرض يضربون قبابهم * لا يتبعون تخير الاوطان

أوما ترى أوتادها اقصد القنا * وحبالهن ذوائب الفرسان

عجبا الاسد في القباب تكلفت * برعاية الظبيان والغزلان

ولقد سريت وما صحبت على السرى * غير النجوم ارادة الكتمان

في ليلة نظرت الى نجومها * أتقحم الغمرات غير جبان

قالت فتاتهم وقد نبهتها * والليل ملق كلكل وجران

كيف اجترأت على تجاوز من ترى * من نائم حولي ومن يقظان

أولست انسانا ومالك تنتهى * هذى النهاية جرأة الانسان

فاجبتها ان ابن جهور الرضى * منع المخاوف أن تحل جناني

ومنها في العتاب والاستمناح

أنعود دلوى من بحور سماحكم * صفرا وليست رثة الاشطان

ويكون ربعى مستينا جدبه * حتى أهيم بنجعة البلدان
قسنى بمن ينأى برفع مكانه * بنديك العالى وخفض مكانى
أمن السوية أن يحلوا بالربى * من أرضكم وأحل بالغيطان
ان ترخصوا اخطارى فكم مغل به * يستام فيه بأرفع الأثمان

(الوزير الفقيه أبو عبيد الله البكرى رحمه الله تعالى)

عالم الاوان ومصنفه ومقرط البيان ومشنفه بتآليف كانها الخرائد وتصانيف أبهى من القلائد حلى بها من الزمان عاطلا وارسل بها غمام الاحسان هاطلا ووضعها فى فنون مختلفة وأنواع وأقطعها ماشاء من اتقان وابداع واما الادب فهو كان منتهاه ومحل سهاه وقطب مداره وفلك غمامه وابداره وكان كل ملك من ملوك الاندلس يتهاداه تهادى المقل للكرى والآذان للبشرى على هناة كانت فيه فانه رحمه الله كان مباكر الراح لايصحو من خمارها ولايعود سم ادمانه من مضمارها ولايريح الاعلى تعاطيها ولايستريح الاالى معاطيها قد اتخذ ادمانها شجيره ونبذ من الاقلاع نبذ عاصم بن الاعين مجيره فلما حان انقراض شعبان وانصرامه كانت فيه مستبشعة الذكر مستشنعة النكر تمجوها الاوهام والخواطر ويثبتها السماع المتواتر وقد أتيت له مايشهد له بتقدمه ويريك منتهى قدمه رأيته وأنا غلام ماأقر هلالى ولا نبع فى الذكاء كوثرى ولازلالى فى مجلس ابن منظور وهو فى هيئة كانما كسيت بالبهاء والنور وله سبلة تروق العيون اعاضها ويفوق السواد بياضها وقد بلغ سن ابن محلم وهو يتكلم فيفوق كل متكلم فجرى ذكر ابن مقلة وخطه وأفيض فى رفعه وحطه فقال (بسيط)

خط ابن مقلة من أرعاه مقلته * ودت جوارحه لو أصبحت مقلا
فالدر يصفر لاستحسانه حسدا * والورد يحمر من ابداعه خجلا

(وله فصل من كتاب راجع به الفقيه الاستاذ أبا الحسن بن درى رحمهما الله) وتالله انى لاأتهم حتى محاورتك فيقف فى الاهاة وأجد لتخيل مجالستك مايجده الغريق للنجاة واعتقد فى مجاورتك مايعتقده الجبان فى الحياة (طويل)

متى تحظنى الايام فى بأن أرى * بغيضا تناءى أوحبيبا يقرب

ورأيت رغبتك فى الكتاب الذى لم يحرر ولم يتهذب وكيف التفرغ لقضاء أرب

والنشاط قد ولى وذهب فما أجده الا كما قيل (كامل)

نزرا كما استكرهت عائر نفحة * من فارة المسك التى لم تفتق

وان يعن الله على المراد فبك والله يستفاد وبرغبتك أخرجه الى الوجود من العدم والبك لا يصل أدنى ظلم بحول الله (وله فصل من رقعة يهنئ بها الوزير الاجل أبا بكر بن زيدون بالوزارة) أسعد الله بوزارة سيدى الدنيا والدين وأجرى لها الطير الميامين ووصل بها التأييد والتمكين والحمد لله على أمل بلغه وجذل قد سوغه وضمان حققه ورجاء صدقه وله المنة فى ظلام كان أعزه الله صبحه ومستبهم غدا شرحه وعطل فخر كان حليه وضلال دهر صار هديه

فقد عمر الله الوزارة باسمه * ورد اليها أهلها بعد اقصار

(الفقيه الاجل قاضى الجماعة أبو عبد الله بن حمدين رحمه الله)

حامى ذمار الدين وعاضده وقاطع ضرر المعتدين وخاضده ملك للعلوم زماما وجعل العكوف عليها الزاما فبارعها وأعلى اسمها وخاصمت الملحدين منه ألسن لدّ وتهدلت به على العالمين أغصان ملد وكف أيدى الظالمين فلم تكن لهم استطالة وأرهف شوا جار المجتهدين فلم تسنح لهم بطالة فأصبح أهل مصره بين دارس علم ولابس حلم وآبس ظلم ناهيك من رجل كثير الرعى لاهل المعارف مؤمّن برّه الى ظل وارف أعم الورى منة وأعظم خلق الله منة أقام وأقعد وأدنى وأبعد وأشقى وأسعد فتقاصت به الظلال وفاءت وحسنت به الايام وساءت وأعمل للضر والنفع لسانه ويده وشغل بالرفع والوضع يومه وغده وعمر بهما فكره وخلده حتى هدّ الجبال الشوامخ واجتث الاصول الرواسخ ولما أدار ابن الحاج من خلاف سنة تسع وتسعين ما أدار واتفق هو ومن واطأه على ما فسحته الاقدار استشير فى الخلع فما استساغه وأذيع خبره فلم يكن فى من راعه وعرض على الحمام فما هابه ووالى فى نقض ما أبرم جيئته وذهابه وسعى فى ذلك بنفسه وقنع من غده بذكر أمسه فلما انجلت ظلماؤه وتحلت بنجوم ظفره سماؤه أغرى بالمطالبين اهتضامه وحيفه وسرى مكره سرى قيس لحمل وحذيفة وأعلن لمن أسرا غراءه ولم ينظر بالمكروه نظراءه فأخل منهم اعلاما وأورث نفس الدين منهم آلاما وألبسهم ما شاء ذمًّا من الناس وملاما فدجت مطالع شموسهم وخلت مواضع تدريسهم فأصبحوا ملتحفين بالمهانة متشوقين الى الاهانة يروعهم الرواح

والقدوّ ويحسبون كل صيحة عليهم هو العدوّ ويذعرهم طروق النوم للاجفان
ويذكرهم النابت العرفان قد فقدوا حبورا وعادت منازلهم قبورا الى ان
نفس تخنقهم بعد أحوال وخلا افقهم من تلك الاهوال فتنشقوا اريج الحياة
وأشرقوا من تلك الظلمات بعد ان أحال البوس نعيمهم وأخذ الحمام زعيمهم
وكان رحمه الله متضح طريق الهدى منفسح الميدان فى العلم والندى
مع أدب كالبحر الزاخر ونثر كالدر الفاخر وقد أثبت له منه ما تعذب مقاطفه
وتلين معاطفه (فمن ذلك فصل راجع به ابن شماخ) عمر بابك وأخصب جنابك
وطاوعك زمانك ونعم بك أوانك (كامل)

وسقى بلادك غير مفسدها * صوب الربيع وديمة تهمى

فادرج لسبيله من كنت سلالة سليله ووارث معرّسه ومقيله وما حام وضرع
لخور مى عن وترقوسك ونزع فلم يهلك هالك ترك مثل مالك فتركت المهاد
وألفت السهاد وتقيلت الآباء والاجداد فأسرجت فى ميدان الحمد براقا
اتخذ الريح خافية وساقا فاحتل من شعاب المجد صقعا أثار به نقعا ودوم
فى أفق السماء تدويم فرخ الماء حتى كأنه على قمة الرأس ابن ماء فأخلق لباهر
فضلك أن يطول فيقول (خفيف)

لا بقومى شرفت بل شرفوا بى * وبنفسى فخرت لا بجدودى

أو يتنزل فيتمثل (كامل)

لسنا وان كرمت أوائلنا * يوما على الاحساب نتكل
نبنى كما كانت أوائلنا * تبنى ونفعل مثل ما فعلوا

كم متعاط شأو طالقك سوّلت له نفسه شق غبارك واقتفاء مناهج آثارك فما
أدرك وطلح بعيره وبرك (وفى فصل منها) بيننا وسائل أحكمتها الاوائل ماهى
بالانكاث والوشائج الرثاث من دونها عهد جناه شهد أرج عرف النسيم
مشرق جبين الاديم رائق رقعة الجلباب مقتبل رداء الشباب كالصباح المنجاب
تروق أساريره وتلقاك قبل اللقاء تباشيره (وافر)

ورثناهن عن آباء صدق * ونورثها اذا متنا بنينا

(الفقيه الاستاذ أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسى)

عليه رحمة الله وجزيل غفرانه

شيخ المعارف وامامها ومن في يديه زمامها لديه تنشد ضوال الاعراب وتوجد شوارد اللغة والاعراب الى مقطع دمث ومنزع في النفاسة غير منتكث وكان له في دولة بن رزين مجال ممتد ومكان معتمد ولما رأى الاحوال واختلالها والاقوال واعتلالها وتلك الشموس قد هوت ونجوم الآمال قد خوت أضرب عن سواه ونكب عن نجواه واغترب بلوعة ابن رزين وجواه ونصب نفسه لاقراء علوم النحو وقنع بتغييم جوه بعد الصحو وله تحقق في العلوم الحديثة والقديمة وتصرف في طرقها القويمة ماخرج بمعرفتها عن مضمار شرع ولا نكب عن أصل للسنة ولا فرع وتآليفه في المشروحات وغيرها صنوف وهي اليوم في الآذان شنوف وقد أثبت له ماير يك شفوفه وتجد على النفس حفوفه (فمن ذلك) قوله في طول الليل (طويل)

ترى ليلنا شابت نواصيه كبرة * كما شبت أم في الجو روض بهار

كأن الليالي السبع في الافق علقت * ولا فصل فيما بينها بنهار

(وأخبرني) انه حضر مع المأمون بن ذي النون في مجلس الناعورة بالمنية التي تطمح اليها المنى ومرآها هو المقترح والمتمنى والمأمون قد احتبى وأفاض الحبا والمجلس يروق كأن الشمس في أفقه والبدر كالتاج في مفرقه والنور عبق وعلى ماء النهر مصطبح ومغتبق والدولاب يئن كناقة اثر الحوار أو كثكلى من حر الاوار والجو قد عنبرته أنواؤه والروض قد وشته أمطاره وانداؤه والاسد قد فغرت أفواهها ومجت أمواهها فقال (منسرح)

يا منظرا ان نظرت بهجته * أذكرني حسن جنة الخلد

تربة مسك وجو عنبرة * وغيم ند وطش ماورد

والماء كاللازورد قد نظمت * فيه اللآلى فواغر الاسد

كأنما جائل الحباب به * يلعب في جانبيه بالنرد

(ومنها) تخاله ان بدا به قمرا * تما بدا في مطالع السعد

كأنما ألبست حدائقه * ماحاز من شيمة ومن مجد

كأنما جادها فروضها * بوابل من يمينه رغد

لازال في عزة مضاعفة * مجمع الرفد وارى الزند

(وله رقعة يصف فيها هذا التصنيف) تأملت فسح الله للسيدي وولي في أمد بقائه

كتابه الذى شرع فى انشائه فرأيت كتابا سينجد ويغور ويبلغ حيث لا تبلغ البدور وتبين به الذرى والمناسم وتغتدى له غرر فى أوجه ومواسم فقد أحمد الله الكلام لكلامك وجعل النيرات طوع أقلامك فأنت تهدى بنجومها وتردى برجومها فالنثرة من نثرك والشعرى من شعرك والبلغاء لك معترفون وبين يديك متصرفون وليس يباريك مبار ولا يجاريك الى الغاية مجار الا وقف حسيرا وسبقت ودعى أخيرا ونقدمت لاعدمت شفوفا ولابرح مكانك بالآمال محفوفا بعزة الله (وله) يراجع الاستاذ أبا محمد بن جوشن على شعر كتب به اليه وتضمن غزلا فى أول القصيدة فحذا حذوه (طويل)

حلفت بثغر قد حمى ريقه العذبا * وسل عليه من لواحظه عضبا
وفرحة لقيا أذهبت ترحة النوى * وعتبى حبيب هاجر أعقبت عتبا
لقد هز عطفى بالقريض ابن جوشن * سرورا كما هزت صبا غصنا رطبا
كسانى ارتياح الراح حتى حسبتنى * حليف بعاد نال من حبه قربا
وأطربنى حتى دعانى الورى فتى * وقالوا كبير بعد ما كبرته شبا
كأن المثانى والمثالث هيجت * سرورى ولم أسمع غناء ولا ضربا
فيامزمع الترحال قل لابن جوشن * مقال محب لم يشب جده لعبا
أمهدى سجاياه الى وناظما * لى الشهب عقدا راقنى نظمه عجبا
وماخلت اهداء الشمائل ممكنا * لمهد ولا أن الدهر ينتظم الشهبا
فهل نال عبد الله من سحر بابل * نصيبا فأربى أو حوى الدهى والاربا
ليهنك فضل حزت من خصله المدى * ونظم بديع قد غدوت له ربا
وها السلام صادرا عن مودة * عمرت بها منى الجوانح والقلبا

(وله) فى الزهد من لزوم مالا يلزم (طويل)

أمرت الهى بالمكارم كلها * ولم ترضها الا وأنت لها أهل
فقلت اصفحوا عمن اساء اليكم * وعودوا بحلم منكم ان بدا جهل
فهل لجهول خاف صعب ذنوبه * لديك أمان منك أو جانب سهل

(وله) فى التوحيد والرد على من قال بغيره (طويل)

الهى انى شاكر لك حامد * وانى لساع فى رضاك وجاهد
وانك مهما زلت النعل بالفتى * على العائد التواب بالعفو عائد

تباعدت مجدا واذنيت تعطفا * وحلماً فأنت المدنى المتباعد
ومالى على شئ سوالك معول * اذا دهمتنى المعضلات الشدائد
أغيرك أدعو لى الها وخالقا * وقد أوضح البرهان أنك واحد
وقد ما دعا قوم سواك فلم يقم * على ذاك برهان ولالاح شاهد
وبالفلك الدوّار قد ضل معشر * وللنيرات السبع داع وساجد
وللعقل عباد وللنفس شيعة * وكلهم عن منهج الحق حائد
وكيف يضل القصد ذو العلم والنهى * ونهج الهدى من كان نحوك قاصد
وهل فى الذى طاعوا له وتعبدوا * لامرك عاص أولحقك جاحد
وهل يوجد المعلول من غير علة * اذا صح فكرا ورأى الرشد راشد
وهل غبت عن شئ فينكر منكر * وجودك أم لم تبد منك الشواهد
وفى كل معبود سواك دلائل * من الصنع تبدى أنه لك عابد
وكل وجود عن وجودك كائن * فواحد أصناف الورى لك واحد
سرت منك فيها وحدة لو منعتها * لاصبحت الاشياء وهى بوائد
وكم لك فى خلق الورى من دلائل * يراها الفتى فى نفسه ويشاهد
كفى مكذبا للجاحدين نفوسهم * تحاصمهم ان أنكروا وتعاند

(وله) يجيب شاعرا قرطبيا مدحه (بسيط)

قل للذى غاص فى بحر من الفكر * بذهنه فحوى ماشاء من درر
لله عذراء زفت منك رائحة * تختال من حبرها المرقوم فى حبر
صداقها الصدق من ودى ومنزلها * بصيرتى وسواد القلب والبصر
هزت بدائعها عطفى من طرب * لحسنها هزة المشغوف بالذكر
كأنما خامرتنى من بشاشتها * راح وسكر بلا راح ولا سكر
ما كنت أحسب ان النيرات غدت * يصيدها شرك الاوهام والفكر
ولا توهمت أيام الربيع ترى * فى ناضر غضة الانوار والزهر
أما الجزاء فشئ لست مدركه * ولو بدرت الى التوجيه بالبدر
لكن جزائى صفاء الود أضمره * اذا القلوب انطوت منه على كدر
بارالذهنى فى مضمارها فكبا * ذهنى وفزت بخصل السبق والظفر
وهل بطلميوس فى نظم مناظرة * يوم القرطبة فى حكم ذى نظر

(وله)

(وله) يصف زيرطانة ملغزا (وافر)

وذات عمى لها طرف بصير * اذا رمدت فأبصر ما تكون

لها من غيرها نفس معار * وناظرها لدى الابصار طين

وتبطش باليمين اذا أردنا * وليس لها اذا بطشت يمين

(وكتب الى الاستاذ أبي الحسن بن الاخضر رحمه الله) ياسيدى الاعلى وعمادى الاسنى وحسنة الدهر الحسنى الذى جل قدره وسار مسير الشمس ذكره ومن أطال الله بقاءه لفضل يعلى مناره وعلم يحيي آثاره نحن أعزك الله نتدانى اخلاصا وان كنا نتناءى أشخاصا ويجمعنا الادب وان فرقنا النسب فالاشكال أقارب والآداب مناسب وليس يضر تنائى الاشباح اذا تقاربت الارواح وما مثلنا فى هذا الانتظام الا كما قال أبو تمام (طويل)

نسيبى فى رأيى وعلى ومذهبى * وان باعدت تنائى الاصول المناسب

ولو لم يكن لما نزل ذاكر ولا لمفاخرك ناشر الا ذو الوزارتين أبو فلان أبقاه الله لقام لك مقام سحبان وائل وأغناك عن قول كل قائل فانه يعد فى مضمار ذكرك باعا رحيبا ويقوم بفخرك فى كل ناد خطيبا حتى يثنى اليك الاحداق ويلوى نحوك الاعناق فكيف وما يقول الا بالذى علت سعد وما تقرر فى النفوس من قبل ومن بعد فذكرك قد أنجد وأغار ولم يسر فلك حيث سار وان ليل جهل أطلعت فيه فجر بصيرتك لجدير بان يصير نهارا وان نبع فكر قدحته بتذكيرك لحقيق أن يعود مرخا وعفارا فهنيئا لك الفضل الذى أنت فيه راسخ القدم شامخ العلم منشور اللواء مشهور الذكاء ملأت الآداب عمرك ولا عدمت الالباب ذكرك ورقيت من المراتب أعلاها ولقيت من المآرب أقصاها بفضل الله

(وكتب مراجعا الى الوزير أبي محمد بن سفيان رحمه الله) ياسيدى الاعلى وعمادى الاسنى ومشربى الاصفى أدام الله عزته وحمى من النوائب حوزته وافانى لك كتاب سرى الموضع سنى الموقع أطال الله على ايجازه وأطمع على اعجازه وقابلت الرغبة التى ضمنتها فيه بما تقتضيه بجلالة مهديه ولئن تراخى الكتاب عن حسن فى ذلك العتاب فان المودة لم يقدح فيها من الملل قادح ولم يسنح لها من الخلل سانح بل كانت كالبرد تطوى على غره الى أوان جلائه ونشره وقد علم علام الضمائر والذى يظن غائبا وهو حاضر انى أعتقد لك القدح المعلى

وأضرب بك المثل الاعلى وأرى انك تحجيل واضح فى دهمة الزمان وعلق راجح فى كفة الامتحان وبقية سنخ كريم ماعهدهم عندنا بذميم (طويل)

عليهم سلام الله ماذر شارق * ورحمته ماشاء أن يترحما

وما أدعى لك جانبا من السيادة الاولك عليه أعدل الشهادة ولكن قد عاد سافل ذو الرجحان وعاد الكمال على أهله بالنقصان وكبت الاعالى بارتفاع الاسافل حتى اقتضى ذلك قول القائل (طويل)

فواعجبا كم يدّعى الفضل ناقص * ووا أسفا كم يظهر النقص فاضل

وقال المذمر للناتجين متى ذمرت قبلى الارجل وقد جاريتك أعزك الله فى ميدان من البلاغة أنا فيه كن كاثر البحر والمطر وجلب التمر الى هجر والذى حدانى اليه انه مرّ لى زمن ألهى خاطرى عنك فيه وسن فقلت قد كان من العقوق ترك رعاية الحقوق فلا أستمطرن مزن القول فقد كنت عهدتها تنسجم فتغدق ولا أستسقين جابية الشيخ العراقى فقد كانت تطم فتنفهق أيام كنت أسحب ذيل الشباب وأسلك مسالك الكتاب ويجتبى سلوك سهل الكلام وحزونه والتصرف بين أبكاره وعونه أستن استنان الطرف الجامح ولا أثنى عنان الطرف الطامح وأروى هامتى وأقول يا صبت على غمامتى الى ان تعمم مفرقى بالقتير وعلتنى أبهة الكبير وودعت زمنى الزائل وعادت سمامى بين رث وناصل وعريت أفراس الصبا ورواحله وسدت على سوى قصد السبيل معادله فلك هريق ماء الشباب واستشن الأديم وأقشع السحاب وتجلت الغيوم فلعل فى الافق ربابة وفى الحوض صبابة وعسى أن يكون فى اخلاف المقالة درّ يرضع وفى حقاق البلاغة درّ يرصع ولا أزفها عذراء لاترتضى الا الاكفاء فليس يلين الفيد الا فى مارق الهيجاء ولا يحسن العقد الا فى عنق الحسناء ولا يجعل الشعر لها شعارا وفقر النثر لها دثارا فاختصرها الملك واهى عروبا قد رضيت بك محبا ومحبوبا فتضمخك بمسكها وتؤمنك من فركها وتذر ذرور الشمس عليك وتهزى ندوة الحلى عطفيك فان قضيت من حقك فرضا ورتقت من فتق الاخلال ولو بعضا فذا الذى تضمنه الخاطر الذى عمم بردها ونظم عقدها وان أخلف الظن ما أوهم ووعد وقصر الذهن فيما أحكم وسدد فللخاطر عذر فى انه منذ صل أغفل شحذه وجلاؤه حتى ذهب فرنده وماؤه ومنهل ضيع ورده فنضب

عده (كامل)

والشول ما حلبت تدفق رسلها * وتجف درتها اذا لم تعاب

(وله) من قصيدة يمدح بها ذا الوزارتين أبا محمد بن الفرج (خفيف)

نبه الليل بالوجيف ولا تو * لع بدار الهوان بالاغماض
واقر ضيف الهموم كل أمون * عنتريس وبازل شرواض
أنقذتني من الردى وطأتى البيـ * ـد ونفض الهموم بالانفاض
شكلها كالقسى وهى سهام * للبلا والرغاء كالانباض
خلتها حين خاضت الليل سجا * غمست من دجاه فى خضخاض
صدعت عرمض الدياجر حتى * كرعت فى ماء الصباح المفاض
حين راع الظلام وخط مشيب * قد سرى فى سواده ببياض

وقال فى الزهد (طويل)

تجوهرك الادنى عنيت بحفظه * وضيعت من جهل تجوهرك الاقصى
لقد بعت ما يبقى بما هو هالك * وآثرت لو تدرى على فضلك النقصا

وقال فى ذلك (طويل)

وما دارنا الاموات لو اننا * نفكر والاخرى هى الحيوان
شربنا بها عزا بهون جهالة * وشتان عز للفتى وهوان

وقال يمدح المستعين بالله بن هود رحمه الله (طويل)

هموسلبونى حسن صبرى اذ بانوا * باقمار أطواق مطالعها بان
لئن غادرونى باللوى ان مهجتى * مسايرة أظعانهم حيثما كانوا
سقى عهدهم بالخيف عهد غمائم * ينازعها مزن من الدمع هتان
أأحبابنا هل ذلك العهد راجع * وهل لى عنكم آخر الدهر سلوان
ولى مقلة عبرى وبين جوانحى * فؤاد الى لقياكم الدهر حنان
تنكرت الدنيا لنا بعد بعدكم * وحفت بنا من معضل الخطب ألوان
رحلنا سوام الحمد عنها لغيرها * فلا ماؤها صدا ولا النبت سعدان
الى ملك حاباه بالمجد يوسف * وشاد له البيت الرفيع سليمان
الى مستعين بالاله مؤيد * له النصر حزب والمقادير أعوان

ومنها يمدحه رحمه الله

بوجه ابن هود كلما أعرض الورى * صحيفة اقبال لها البشر عنوان
فتى المجد فى برد به بدر وضيغم * وبحر وقدس ذو الهضاب وثهلان
من النفر الشم الذين أكفهم * غيوث ولكن للعوالم طر نيران
ليوث شرى ما زال منهم لدى الوغى * هزبر بيمناه من السمر ثعبان
وهل فوق ما قد شاد مقتدر لهم * ومؤتمن بالله لقباه ايمان

(وله) يعزى ذا الوزارتين أبا عيسى بن لبون فى أخيه (كامل)

للمرء فى أيامه عبر * والصفو يحدث بعده كدر
خرس الزمان لمن تأمله * نطق وخبر صروفه خبر
نادى فأسمع لو وعت أذن * وأرى العواقب لو رأى بصر
كم قال هبوا طالما هجعت * منكم عيون حقها السهر
أبأذن من هو مبصرى صمم * أم قلب من هو سامعى حجر
لولا عماكم من هدى تدرى * ومواعظى ماجاءت النذر

(ومنها)

هذى مصارع معشر هلكوا * وعظتكم بالعتب فاعتبروا
قالت أرى ليل الشباب بدت * للشيب فيه انجم زهر
فأجبتها لا تكثرى عجبا * من شيبة لم يجنها كبر

(ومنها)

لكن طويت من الهموم لظى * انحى لها فى عارضى شرر
حسنت شمائلكم وأوجهكم * فتطابقا مرأى ومختبر
والحسن فى صور النفوس وان * راقتك من أجسامها الصور
لاضعضعت أيدى الخطوب لكم * ركنا ولاراعتكم الغير

(وله) يصف فرسا (طويل)

وأدهم من آل الوجيه ولاحق * له الليل لون والصباح حجول
تحير ماء الحسن فوق أديمه * فلولا التهاب الحضر ظل يسيل
كأن هلال الفطر لاح بوجهه * فأعيننا شوقا اليه تميل
كأن الرياح العاصفات تقله * اذا ابتل منه محزم وتليل
اذا عابد الرحمن فى متنه علا * بدا الزهو فى العطفين منه يجول

فمن رام تشبيها له قال موجزا * وان كان وصف الحسن منه يطول
هو الفلك الدوار فى صهواته * لبدر الدياجى مطلع وأفول

(وله يخاطب مكة) أعزها الله تعالى (طويل)

أمكة تفديك النفوس الكرائم * ولا برحت تنهل فيك الغمائم
وكنت أكف السوء عنك وبلغت * مناها قلوب كى تراك حوائم
فانك بيت الله والحرم الذى * لعزته ذل الملوك الاعاظم
وقد رفعت منك القواعد بالتقى * وشادتك أيد برة ومعاصم
وساويت فى الفضل المقام كلاكما * ينال به الزلفى وتمحى المآثم
ومن أين تعدوك الفضائل كلها * وفيك مقامات الهدى والمعالم
ومبعث من ساد الورى وحوى العلا * بمولده عبد الاله وهاشم
نبى حوى فضل النبيين واقتدى * بهم أولا فى فضله وهو خاتم
وفيك يمين الله يلثمها الورى * كما يلثم اليمنى من الملك لاثم
وفيك لابراهيم اذ وطئ الصفا * ضحى قدم برهانها متقادم
دعا دعوة فوق الصفا فأجابه * قطوف من الفج العميق وراسم
فاعجب بدعوى لم تلج مسمعى فتى * ولم يعها الاذكى وعالم
ألهفى لاقدار عدت عنك همتى * فلم تنتهض منى اليك العزائم
فياليت شعرى هل أرى فيك داعيا * اذا جأرت لله فيك الغمائم
وهل تمحون عنى خطايا اقترفتها * خطا فيك لى أو يعملات رواسم
وهل لى من سقيا حجيجك شربة * ومن زمزم يروى بها النفس حائم
وهل لى فى أجر الملبين مقسم * اذا بذلت للناس فيك المقاسم
وكم زار مغناك المعظم مجرم * فحطت به عنه الخطايا العظائم
ومن أين لا يضحى مرجيك آمنا * وقد أمنت فيك المهى والحمائم
لئن فاتنى منك الذى أنا رائم * فان هوى نفسى عليك لرائم
وان يحمنى حامى المقادير مقدما * عليك فانى بالفؤاد لقادم
عليك سلام الله ما طاف طائف * بكعبتك العليا وما قام قائم
اذا نسم لم تهد عنى تحية * اليك فهديها الرياح النواسم
أعوذ بمن أسناك من شر خلقه * ونفسى فامنها سوى الله عاصم

وأهدى صلاتى والسلام لاحمد * لعلى به من كربة النار سالم

(الوزير الاستاذ أبو الحسين بن سراج رحمه الله تعالى)

كبير دار الخلافة الشهير الشفوف والانافة الذى جاءت به الدنيا كما شاءت العليا وقار كان به تثبت الارض ومقدار له النافلة فى الجلالة والفرض هبى به للمعارف انسجام وأفصح منها استعجام فوسم علمه اغفالا وأوضح فهمه اشكالا وغدت به العلوم قد فض ختامها وانتفض قتامها وسهل صعبها وسلك شعبها ثم مضى فسد الدهر مطلعه وضم عليه القبر أضلعه فأضحت المعالى قد أقفر ربعها وتفرق جمعها وعادت المعارف قد طفى سراجها واستبهم انفراجها وأعيا على الناس علاجها فأمست الدنيا كأن لم تغن باكرامه وغدت المعالى ضاحية من أفيائه وكانت له شذور بيان كأنها شذور مرجان أو بشير بأمان والماع بابداع كأنه انتظام الجواهر وابتسام الازاهر (وقد أثبت له ماتضوع به الآفاق وتخلع عليه سوادها الاحداق (فمن ذلك رقعة خاطبنى بها) منها كتبت وروض العهد قد أضحت أناشيده وديوان الود قد صحت أسانيده ودوح الاخاء يتفاوح زهرا ويتناوح مجتنى ومهتصرا والله يصوب مزنته بشآبيب الوفاء ويعم نغبته أعلى درجات العذوبة والصفاء برحمته وأما تلك المراجعة فكأنها الماء عاقت عقت وقد نالها من عتابى فى ذلك ما استحقت (وله يصف كتابا) (وافر)

كتاب يزدرى بالسحر حسنا * وسمت به زمانك وهو غفل

معان تعبق الآفاق منها * يشيب لها حسود لك وهو طفل

(وله فى ثوب رآه على غير أهله) وكان عهده على من كان يوده (بسيط)

يالابس الثوب لاعريت من سقم * ولا تخطاك صرف الدهر والخطر

ويحى عليه وله فى من تبدله * كم قد تطلع من أطواقه القمر

وكم ترنح فى أثنائه غصن * منعم النبت يدمى خده النظر

وكم ثنيت يدى عنه وقد نعمت * وظل منها فتيت المسك ينتثر

فاليوم أوحش مما كنت أعهده * كذا الصفو الليالى بعده الكدر

وله متغزلا (كامل)

لما تبوأ من فؤادى منزلا * وغدا يسلط مقلتيه عليه

ناديته مسترحما من زفرة * أفضت بأسرار الضمير اليه
رفقا بمنزلك الذى تحتله * يامن يخرّب بيته بيديه

وله (طويل)

لئن لم تفز عيناى منك بنظرة * ولم أقض من لقياك ما كنت آملى
فعالم ما تخفى السرائر عالم * بأنك فى عينى وقلبى ممثل
وانك فيمن أتقيه بخلة * وأمحضه ودّى لصدر وأوّل

(وأنشدنى) له الفقيه أبو الفضل بن موسى بن عياض (بسيط)

عجا بعينيك من غنج ومن دعج * ومن صوارم تنضوها على المهج
لا ترتضى الخلف فى وعد تركت به * قتيل حبك قد أوفى على الفرج
أولا فتنبه للمشــــــتاق يلد به * وفيت أولم تنى قولى بلا حرج

(وكتب) الى الراضى شافعا (بسيط)

بث الصنائع لا تحفل بموقعها * فيمن نأى أودنا ما كنت مقتدرا
كالغيث ليس يبالى حيثما انسكبت * منه الغمائم تربا كان أوحجرا

(ذوالوزارتين الفقيه قاضى قضاة الشرق أبو أمية ابراهيم بن عصام رحمه الله)

هضبة علاء لا تفرعها الاوهام وجملة ذكاء لا تشرحها الافهام هزم الكتائب بعضائه ونظم الرياسة فى سلك قضائه اذا عقد حباه أطرق الدهر توقيرا وخلته من تهيبه عفيرا علا بهو مبهاه ولا نغب مداه حزا وامهاه يبرم أمره نهارا وليلا ويشن من آرائه كل آونة خيلا لم يستتر الا بشمسه ولم يستشرف رأيه غير نفسه المهابة تخدم لحظته والاصابة تقدم لفظته كان الحيا تنى بشاشته وتحفيه وكان الخلق قد جمعوا فيه وله نثر تحلت الايام بسناه ونظم استحلت الافهام جناه وقد أثبت منهما سطورا غدا حسنها فى صفحة البدر مسطورا (فمن ذلك فصل من رقعة) كتب بها الى الرئيس الاجل أبى عبد الله بن الحاج رحمه الله فى جانبى ووصل فلان فشكر ما أوليته ونشر ما قصدته فى جانبه وأتيته ما أمال الاهواء وأطال الثناء والدعاء وحبب عندك الآمال وجنب اليك الاملال وهو ممن قد علمت أبدك الله ارتفاع شان وابداع بيان وقد نهض بعزمة لا ترى ان تخدم غيرك وهمة لا ترتضى ان تلتزم الا أمرك ومثلك رحب مقدمه وأسبل عليه ديمه وعرف قدره وشرح بخلقه صدره ان شاء الله (وكتب اليه)

الوزير أبو الحسن بن الحاج (كامل)

مازلت أضرب فى علاك بعقولى * دأبا وأورد فى رضاك وأصدر
واليوم أعذر من يطيل ملامة * وأقول زد شكوى فأنت مقصر

فراجعه أبو أمية (كامل)

الغدر يأبى والسيادة تحجر * أن يستبيح حمى الوفاء مزور
وعليك ان ترضى بسمع ملامة * عنى السناء وعهده لا يخفر
ولدى ان نفث الصديق لراحة * صبر الوفى وشيمة لا تغدر

(وكتب اليه) أبو العباس الغرباقى (بسيط مخلع)

أمالرى اليوم يا ملاذى * يحكيك فى البشر والطلاقه
والبحر يرتج مثل قلب * راقب من الفه فراقه
والجو صاف الاديم زهر * مد على أرضه رواقه
فامنن بجنى اليه انى * مالى على الصبر عنه طاقه

فاجابه أبو أمية (بسيط مخلع)

عندى لما تشتهى بدار * يشهد أنى على علاقه
فاخبر بما شئت صدق عهدى * تجد دليلا على الصداقه
وارفق فلى للفراق قلب * قطع ان زرته استباقه
يطالع بر الصديق بدرا * أمنه عمره محاقه
واسكن الى رأى ذى احتفاء * يعجز من رامه لحاقه
وابلغ سرى الخلال أنى * جئت بما قد رأى وفاقه

(وكتب) الى أبى العباس المذكور (طويل)

كتبت وعندى للنزاع عزيمة * تسهل تجشيم اللقاء على بعدى
ومعهد أنس ما عهدت تحفيا * فهل مقرض شكرى ومستقرض حمدى
وان عاق عن عهد لبرك عائق * تلطفت فى العذر الجميل الى ودى

(وكتب) اليه كاتبه أبو الحسن باقى ابن أحمد وهو بالعدوة بهذه الابيات (وافر)

قصى الدار فى أسر الغرام * أليم القلب من وقع الملام
يضاهى دمعه دمع الغوادى * ويحكى شجوه شجو الحمام
وتذكره البدور سنا وجوه * زهاها الحسن عن حمل اللثام

ترق

ترق له الرياح فتقتضيه * اذا هبت تحية مستهام
لضنوا بالمنام غداة ظنوا * بان الطيف يطرق فى المنام
ولولا طاعة ملكت قيادى * لالج فى الذؤابة من عصام
لما آثرت بعدا عن حبيب * يجرع بعده غصص الحمام

فأجابه أبو أمية (وافر)

ذكرنا البر من لطف النظام * ومال برأينا سحر الكلام
وعندى للمطيع مطاع أمر * يجرد للقاء ظبا اعتزام

(الوزير الفقيه صاحب الاحكام أبو محمد عبد الله بن سماك رحمه الله تعالى)

هو وأخوه أبو عمر فرقدان متوقدان وسراجان وهاجان فرعا مجد ونبعا مجد لاوهد ماشهما الاأعز وضاحا يوضح المشكلات ايضاحا واهما اساف تقصر عن مداناته الاقدار وشرف تمكانه تمكن القطب من المدار وتولى الفقيه أبو محمد الاحكام فأقالها ووضع فى يد التقوى عقالها وحماها بأسنة من العدل وشفار وأراها وجه الديانة كالصبح عند الاسفار همام اذا لقى غمام اذا استسقى فان احتفى جاد وان اصطفى كان كالصارم والجواد مهاب مع تواضعه وهاب يضع العرف فى مواضعه لايستنزل فى حقيقة ولايستنزل عنها بالملك النعمان ابن الشقيقة وله علم كاللجة اذا اضطربت أمواجها والكتيبة اذا تحركت أفواجها وأدب كالروض غب المطر ومذهب كالنسيم هب على الروض وخطر (وقد أثبت) من نثره المبتدع ونظمه الذى يوضع فى النفوس ويودع ماتستحليه وتقلده الاوان وتحليه (فمن ذلك) قوله يصف الروض (كامل)

الروض مخضر الربا متجمل * للناظرين بأجمل الالوان
فكأنما بسطت هناك شوارها * خود زهت بقلائد العقيان
وكأنما فتقت هناك نوافج * من مسكة عجنت بصرف البان
والطير تسجع فى الغصون كأنما * نقر القيان حنت على العيدان
والماء مطرد يسيل عبابه * كسلاسل من فضة وجمان
بهجات حسن أكملت فكأنها * حسن اليقين وبهجة الايمان

(ولما حللت غرناطة) جاورته فكان لى كجار أبى دؤاد سقانى حتى أروى كل ظما وجواد وأحلنى من مبرته بين ناظر وفؤاد ووالى من اتحافه وضروب ألطافه

ما حسبتني به مقطوما بعالى عن الفطام ورأيت الامانى مجنوبة الى فى خطام
وكنت كثيرا ما أجالسه فأقطف من مؤانسته أعبق نور وأخالى بمجالسته
جليس قعقاع بن شور ولا ازال بين جنى للبدائع وقطاف وأعاطى أحاديث
مستعذبات النطاف وعندما ينشرح صدر انبساطه ويشرح بنشر الاسترسال
ومد بساطه أستنشده لنفسه فينشدنى كل سحر حلال ويعلنى منه بسلسال زلال
فيعلق بسر بعا بحبالة ذكرى وكم كنت أحمل قول سواه ضغثا على ابالة فكرى
وعندما كنت أعزم عليه فى جمع ماله من بديع واهدا الملح من ذلك الصديع
يسدل دون ذلك حجابا ولا يولى به ايجابا فلم أزل ألح عليه الحاحا واقتدح
من ايجابه زندا واريا يعود لى فى ذلك شحاحا حتى كتب الى الكتابة أعز الله
الشريف الماجد ميدان لا يعمره الا أفراس الرهان ولا تسابق فيه الاجياد
الفرسان ولا يعرف فيه بالعتق الا من حاز قصب السبق فكيف بالهملاج
المقتاد مع الفرس الجواد وانى للسكيت اذا ركض مع السابق اذا نهض
كلاوات أبا نصر ناظم سلك البلاغة وقائد زمام البراعة سحبان فى زمانه وقس
فى أوانه وابن المقفع فى مكانه والجاحظ فى بيانه اذا أوجز أعجز واذا شاء
أطال وأطلق من البلاغة العقال وأتى من ذلك سحرا حلالا وسقاه عذبا
زلالا اصل الكتابة أصولا وفصل أبوابها تفصيلا وحصل اغراضها تحصيلا
فلسان الشاهد منه يقول (وافر)

تنسمت الكتابة عن نسيم * نسيم المسك فى خلق الكريم
أبا نصر وسمت لها وسوما * تخال وشومها وشم النجوم
وقد كانت عفت فأنرت منها * سراجا لاح فى الليل البهيم
فتحت من الكتابة كل باب * فصارت فى طريق مستقيم
فكتاب الزمان ولست منهم * اذا راموا مرامك فى هموم
فلا قس بابرع منك لفظا * ولا سحبان مثلك فى العلوم

لا غرو أعزك الله من تقصير فالكل فى ميدانك قصير ولكنها صبابة من نهرك
وغمد من بحرك أخرجها صميم ودك وابرزها صريح عقدك ومثلك طوى
عليها كشحا وأعرض عن صفحاتها صفحا وقبلها من باب الصفا وحنا عليها
من جانب الاخا والله تعالى يبقيك ويبارك للاخوان فيك بقدرته وعزته

(النقيه

(الفقيه الامام الحافظ أبو بكر بن عطية رحمه الله)

شيخ العلم وحامل لوائه وحافظ حديث النبي صلى الله عليه وسلم وكوكب سمائه شرح الله لحفظه صدره وطاول به عمره مع كونه في كل علم وافر النصيب مباشرا بالمعلى والرقيب رحل الى المشرق لاداء الفرض لابس برد من العمر الغض فروى وقيد ولقي العلماء وأسند وأبقى تلك المآثر وخلد نشأ في بيئة كريمة وأرومة من الشرف غير مرومة لم يزل فيها على وجه الزمان اعلام علم وأرباب مجد ضخم قد قيدت مآثرهم الكتب وأطلعتهم التواريخ كالشهب ومابرح الفقيه أبو بكر يتسنم كواهل المعارف وغواربها ويقيد شوارد المعاني وغرائبها لاستضلاعه بالادب الذي أحكم أصوله وفروعه وعمر برهة من شبيبته ربوعه وبرز فيه تبريز الجواد المستولى على الامد وجلى عن نفسه به كما جلى الصقال عن النصل الفرد وشاهد ذلك ما أثبته من نظمه الذي يروق جملة وتفصيلا يقوم على قوة المعارضة دليلا (فمن ذلك) قوله يحذر من خلطاء الزمان وينبه على التحفظ من الانسان (رمل)

كن بذئب صائد مستأنسا * واذا أبصرت انسانا ففر
انما الانسان بحر ماله * ساحل فاحذره اياك الغرر
واجعل الناس كشخص واحد * ثم كن من ذلك الشخص حذر

(وله) في الزهد (رمل)

أيها المطرود من باب الرضا * كم يراك الله تلهو معرضا
كم الى كم أنت في جهل الصبا * قد مضى عمر الصبا وانقرضا
قم اذا الليل دجت ظلمته * واستلذ الجفن ان يغتمضا
فضع الخد عن الارض ونح * واقرع السن على ما قد مضى

(وله) في هذا المعنى (بسيط مخلع)

قلبي يا قلبي المعنى * كم أنا أدعى فلا أجيب
كم اتمادى على ضلال * لا أرعوى لا ولا أنيب
ويلاه من سوء ما دهاني * يتوب غيرى ولا أتوب
وأسفي كيف برء دائي * دائي كما شاءه الطبيب
لو كنت أدنو لكنت أشكو * ما أنا من بابه قريب

أبعدني منه سوء فعلي * وهكذا يبعد المريب
مالي قدر وأي قدر * لمن أحاطت به الذنوب

(وله) في المعنى أيضا (كامل)

لا تجعلن رمضان شهر فكاهة * تلهيك فيه من القبيح فنونه
واعلم بانك لا تنال قبوله * حتى تكون تصومه وتصونه

(وله) في مثل ذلك (طويل)

اذا لم يكن في السمع مني تصاون * وفي بصري غض وفي مقولي صمت
فحظي اذا من صومي الجوع والظما * وان قلت اني صمت يومي فما صمت

(وله) في المعنى الاول (طويل)

جفوت اناسا كنت آلف وصلهم * ومافي الجفا عند الضرورة من باس
بلوت فلم أحمد وأصبحت آيسا * ولاشئ أشفى للنفوس من الياس
فلا تعذلوني في انقباضي فانني * رأيت جميع الشر في خلطة الناس

(وله) يعاتب بعض اخوانه (وافر)

وكنت أظن ان جبال رضوى * تزول وأن ودك لا يزول
ولكن الامور لها اضطراب * وأحوال ابن آدم يستحيل
فان يك بيننا وصل جميل * والا فليكن هجر طويل

(وأما شعره) الذي اقتدحه من مرخ الشباب وعفاره وكلامه الذي وشحه بآرب الغزل وأوطاره فانه نسي الى ما تناساه وترك حين كساه العلم والورع من ملابسه ما كساه (فمما وقع الي) من ذلك قوله (كامل)

كيف السلو ولي حبيب هاجر * قاسي الفؤاد يسومني تعذيبا
لما دري ان الخيال مواصلي * جعل السهاد على الجفون رقيبا

وله (بسيط مخلع)

يامن عهودي لديك ترعى * أنا على عهدك الوثيق
ان شئت ان تسمعي غرامي * من مخبر عالم صدوق
فاستخبري قلبك المعني * يخبرك عن قلبي المشوق

(ابنه الوزير الفقيه الحافظ القاضي أبو محمد عبد الحق بن عطية وفقه الله)

نبعة دوح العلاء ومحرز ملابس الثناء فذ الجلالة وواحد العصر والاصالة وقار

كاري الهضب وأدب كما اطرد السلسل العذب وشيم تتضاءل لها قطع الرياض ويبادر به الظن الى شريف الاغراض سابق الامجاد فاستولى على الامد بغلابه ولم ينض ثوب شبابه أدمن التعب في السودد جاهدا حتى تناول الكواكب قاعدا وما اتكل على أوائله ولا سكن الى راحات بكره وأصائله آثاره في كل معرفة علم في رأسه نار وطوالعه في آفاقها صبح أو نهار (وقد أثبت من نظمه المستبدع ونثره المستبرع ما ينفح عبيرا ويتضح منيرا ويسيغ نميرا فمن ذلك قوله من قصيدة (بسيط)

وليلة جبت فيها الجزع مرتديا * بالسيف أسحب أذيالا من الظلم
والنجم حيران في بحر الدجا غرق * والبرق فوق رداء الليل كالعلم
كأنما الليل زنجي بكاهله * جرح فيثعب أحيانا له بدم

(وله) يتخلق بأخلاق الشيب ويندب الشباب وهو منه في ريعان قشيب ويتوجع لحامته عوض بها من غرابه وصفت مسراته من شوائبه وهو يركض للهو بطرف جامح وينظر للمنى بطرف طامح (بسيط)

سقيا لعهد شباب ظلت أمرح في * ريعانه وليالي العيش اسحار
أيام روض الصبا لم تذو أغصنه * ورونق العمر غض والهوى جار
والنفس تركض في تفضيل شرتها * طرفا له في رهان اللهو احضار
عهد كريعان بستان منه أردية * كانت عيونا ومحت فهي آثار
مضى وأبقى بقلبي منه نار أسى * كوني سلاما وبردا فيه يا نار
أبعد أن نقهت نفسي وأصبح في * ليل الشباب لصبح الشيب اسفار
وقارعتني الليالي فانثنت كسرا * عن ضيغم ماله ناب وأظفار
الاسلاح خلال أخلصت فلها * في منهل المجد ايراد واصدار
أصبو الى خفض عيش دوحه خضل * أو ينثني بي عن العلياء اقصار
اذا فعطلت كفي من شبا قلم * آثاره في رياض العلم أزهار
همي من العيش وقد طاب مورده * ولم يشب صفوه للنقص اكدار
ومن سناكم أبا اسحق طالعني * منه هلال له في النفس ابدار
ألظ بالقلب يسري منه في أفق * هالاته فيه اجلال واكبار
نور ألم به من بعدكم حلك * كالراح حف بها في دنها القار

لئن تمطى بجور ليل فرقتنا * لقد أنارت به للكتب أقمار
وان عدا نابعاد عن تزاورنا * فانني ببنات الفكر زوار

(وله الى الامير عبد الله بن مزدلي) وقد خرج في احدى غزواته فوثق بظفره وكريم صدره وأقر القطعة عند كاتبه الوزير أبي جعفر بن سعدة ليرفعها اليه منصرفه فوفى بما كلفه وتقدم الى رفعها عقب الغزاة وابتدر وجاء بها على قدر والقطعة المذكورة هي (كامل)

ضاءت بنور ايابك الايام * واعتز تحت لوائك الاسلام
أما الجميع ففي أعم مسرة * لما انجلى بظهورك الاظلام
بادرت أجرك في الصيام مجاهدا * ماضاع عندك للثغور ذمام
وصمدت معتزما وسعدك منهض * نحو العدى ودليلك الاقدام
كم صدمة لك فيهم مشهورة * غص العراق بذكرها والشام
في مارق فيه الاسنة والظبا * برق ونقع العاديات غمام
والضرب قد صبغ النصول كأنما * يجري على ماء الحديد ضرام
والطعن يبعث النجيع كأنما * ينشق عن زهر الشقيق كمام
فاهنأ أمير بة ظافر متأيد * جفت برفعة شأنه الاقلام
واليك ودي واختصاصي سابق * يجلوه من در الكلام نظام
اني وان خلفت عنك فلم تزل * مني اليك تحية وسلام

وحل بسلى الفقيه أبو العباس فخر بني القاسم وزين الاعياد والمواسم الذي تهمي من يديه للندى سحب تكف وتطوف بكعبته الآمال وتعتكف غائب عنها فلم يخف بها عيسه ولم يرخ بها وتعريسه ورحل من ساعته وقال شعرا أخذ الناس في اشاعته واذاعته وهو (بسيط)

ياصاحبي انزلا قصر الحي فسلا * أني سلا المجد عن أن تحتويه سلا
كأنما الربع لما غاب أحمده * منازل ضل عنها البدر منتقلا
جاد الزمان بلقيا منك سربها * طورا وساء بذاك العهد اذ بخلا
فاسمع مناجاة نفس من أخي ثقة * مضني تحمله منك النوى ثقلا
وعد اليها أبا العباس تحظ بها * مراتب الشمس لما حلت الحملا
لا زلت في عقدها وسطى ولا عدمت * منكم حماها يباهي خوله خللا

(ومرزنا)

(ومررنا) فى احدى نزهاتنا بمكان مقفر وعن المحاسن مسفر وفيه بركة نرجس كأنه عيون مراض يسيل وسطه ماء رضراض بحيث لا حس الا الهام ولا أنس الا ما يتعرض للاوهام فقال (رمل)

نرجس باكرت منه روضة * لذقطع الدهر فيها وعذب
حثت الريح بها خمر حيا * رقص النبت لها ثم شرب
فغدا يسفر عن وجنته * نوره الغض ويهتز طرب
خلت لمع الشمس فى مشرقه * لهبا يحمله منه لهب
وبياض الطل فى صفرته * نقط الفضة فى خط الذهب

(وكتب) أعزه الله ياسيدى الاعظم وعمادى الاكرم ومعقلى الاعصم ومن أطال الله بقاءه وأدام علاءه وسناءه ولازال عميم المجد كريم العهد مراعيا حرمة ذى الخلوص والود طارحا قذى المبطلين عن مشارب الصفاء مطهرا حياء الغدر عن عود الوفاء بعزة الله كتبته أدام الله عزك بعد أن وافانى كتابك الاكرم صحبة الفقيه الجليل أبى فلان أعزه الله فاول ما أفوز فى شكره الذى أفعم الافق طيبا وأسمع الصم خطيبا وردفا زال يعيد ذكرك الاعطر ويبدى وينثر أثناء الاحاديث حمدك الالزم وينشى قضاء لحق المجد الذى لك سبقه وخصله وثناء بالذى أنت أهله وذكر من تلك المكارم التى تحنو فى وجه السحاب الجلب والمنزل الذى كانما كان على آل المهلب ما أهب الالسنة بالدعاء وغمر النفوس بأريحية السراء ثم تلاه لى دام عزك بما شاهده من مذهبك الاجل وصفاتك الاول واعتقادك فى جهتى أن الوشاة أتوا بالذى عابوا وخابت سهامهم فما أصابوا وهذه الامور وصل الله توفيقك كما خبرت وعلى ما جربت قديما وحديثا وسبرت الغواة لا يتركون أديما صحيحا ولا يذرون فى المعالى رأيا رجيحا بل يسمون الى ذوائب الشرف بالاذى ويطرقون المشارب الزرق الجمام بالقذى فان ألفوا مهزا وصادفوا الثغرة محزا سددوا ولجوا بالفظاظة وهجموا وأى حيلة أدام الله كرامتك فمن يختلق ما يقول وأنى بالخلاص والسلامة شئ ما اليه سبيل وما زالت مذ صحبت الامجاد وثاقفت الحساد أجعل هذه الامور دبر الاذن وأقنع لها بابلاء التجارب والفتن علما بان سرى سيبينه اطراد الاعلان وأن قول الغوى ستفضحه شواهد الامتحان وبأواخر الامور يقضى للاوائل والله

عزوجهه عند لسان كل قائل ولو تتبعت كل وشاية بالتكذيب وأجبت كل
نعيب وضغيب لما اتسع لغير ذلك العمر ولا استراح من وساوسه الفكر وأنت
وصل الله عزك الملم بحفظ العهد وجبر الاجر والقصد وعياذا ان يخفى الصواب بين
عهدك الوفي وظنك الالمعي وتنبك الشرعي والله تعالى يعمر بالود دربعك
ويوسع لحمل أثقال المعالي وأعبائها ذرعك ويجعل من كفايته ووقايته جنتك من
الزمن ودرعك والسلام عليك ورحمة الله (وكتب الى الامير عبد الله بن مزدلي)
معزيا باصابه في أخيه الامير محمد المستشهد على نبرة أدام الله تأييد الامير الاجل
محروسة بحسام القدر جوانبه مكتنفة بجنن السعد مذاهبه جارية مسرى
الانجم مراتبه وأطال بقاءه جابر صدوع الرياسة عند انفصامها وخلف سلف
النفاسة ووسطى نظامها ولا زال توزن به الاوائل فيرجح ويعارض بعزمه بهيم
النوائب فيصبح كتبته أعلى الله يدك عن فؤاد دام ودمع هام وأب حائر
وقلب في جناحي طائر ونفس يجري بذوبها النفس ولا تفيق الاريثما تنتكس
بهذا الطارق المطرق والنبا المغص المشرق والضارب بين مفرق الاسلام وجبينه
والمغيل في غيل الملك وعرينه مصاب الامير الاجل أبي عبد الله أخيك سقى الله
ثراه وضوأ بأنوار الشهادة أفقه وذراه وبرد له بنوافح الرحمة مضجعا وأزجى
اليه الغوادي مربعا ومرتعا هلال ملك بادره السرار عند ابداره ودوح مجد
هصرته المنون أوان اثماره حين مالت به الرياسة كما اهتز الغصن تحت المارح
وافترّ نابه عن شباة القارح فانا لله وانا اليه راجعون تسليما فيه للقضاء المصمم
وتأسفا منه على فرد يفدى بالخميس العرمرم لله دره حين التقت عليه الفوارس
وحمى الوطيس واشتد التداعي وعظم المطلوب فقل المساعد وهب من سيفه
مولى نصره لا يحارد فرأى المنية ولا الدنية وجرع الحمام ولا النجاء براس
طمرة ولجام وشمر عن أكرم ساعد وبنان وقضى حق المهند والسنان ولبس
قلبه فوق درعه ولم يضق بالجلاد رحيب ذرعه (طويل)

وأثبت في مستنقع الموت رجله * وقال لها من تحت أخمصك الحشر

ومضى وقد وقع على الله أجره ورفع في عليين ذكره وخلد في ديوان الشهادة
فخره والله عز وجل يحسن فيه عزاء الامير الاجل ويشد بالتأييد عضده ويريش
بالسعادة جناحه ويمكن يده ويكثر من محتده الاكرم عدده ولا غرو أدام الله

تأييدك أن عض الزمان في غارب فالشر لا يحسب ضربة لازب وأناخ بكلكله مرة فالعيش طورا شماس وطورا غرة ومثلك دام أمرك من حلب الدهر أشطرا وعرف للأيام بطونا وأظهرا وخبرا امتزاج النعم بالنوائب وغني بفهمه عن التجارب يرغم بجميل الصبر أنف الحادث ويفل بلامة الجلد حد الكارث ويعلم أن الزمن وان سر حينا فهو مه ناصب والدنيا اذا اخضر منها جانب جف جانب فأنت أعلى الله يدك أثقف قناة وأصلد صفاة وأصلب على البرى عودا وأثقب مع الورى زنودا من أن يضعضع الريب لهضبة عزمك ركنا أو يعمر الخطب لساحة حلمك مغنى أو يقذف الدهر عليك بصرف أو ينزع الابسجية وعرف فالحياة وان أرخى طولها قياه باليد والمرء وان جمع آماله هامة اليوم أو الغد وانما ضربت أدام الله تأييدك هذه الامثال وان كدت أن ألم بقيل وقال وسرت هذه العبر وان جلبت التمر الى هجر حرصا على تسلية نفسك العزيزة عن طائف الهم وتعزيتها عن حر الملم فاقصرها أيدك الله على العزاء وقفها وأوردها شرعة التأسي وردها اذ لا يعتب لجازع الزمن ولا يرد الفائت الحزن والله عز وجل يلم بسعدك الشعث ويرأب الشعب ويفني من رياستك الذوائب ويعلي الكعب ويذيق الذين يضاهونك هونك ويجعل الذين يحسدونك دونك بعزته وصنع الله للامير الاجل أجمل الصنع (ولما تغلب العدو) على ميورقة كبته الله وجبرها وتحققت الكافة خبرها خاطب الفقيه أحد زعماء الدولة وأدرج طي خطابه هذه المدرجة والشعر الموصول بها وانى أقر الله عينك لا أتردد وقد قصر عن تملي السليم وأتجلد وفي نفسي المقعد المقيم بهذا الصادم الهادم والنبا القاصم الذى أطفأ نور الحياة وأخباه وأوجب أن ينادي كل مؤمن واحر قلباه أمر ميورقة رأب الله بصرفها صدع الجزيره وجبر بجبرها من جناح الاسلام كسيره وثقف بغوث دمائها اضطراب مناده وأعاد تلالؤها ما غيض من صبره ومن جلاده فيا لله لما كان فيهما من اعلان توحيد عادهما ويوم ايمان آض أمسا وبارقة كفر طلعت شمسا وصباح شرع أظلم بداجي الشرك وأمسى ونجوم أصبح حرمها منتهبا وفرقتها يد الغلبة أيدي سبا ولخفرات اذال السباء صباها ولاوجه عفر منهم القتل سواعد وجباها ومزقهم السيف كل ممزق فلله أرحام هذا التشقق رحمهم الله ماتوا

كراما ولقاهم نضرة وسرورا وسلاما وختم لنا بعدهم بأحمد الخواتم وأسندنا من أمره الى عاصم (طويل)

ونحو أمير المسلمين تطامحت * نواظر آمال وأيدى رغائب
من الناس تستدعى حفيظة عدله * لصدمة جور فى ميورق ناصب
مقيم فان لم يرغم السعد أنفه * ألمّ فوافى جانبا بعد جانب
لقتل وسبى واصطلام شريعة * لقد عظمت فى القوم سوء المصائب
أليس جديرا ان يشيع ذكرهم * بأمة قلب فى المدامع ذائب
لنا الله والملك الذى ترتجى به * من الزمن المرتاب رجعة تائب
هو الغوث فاعطفه علينا بنظرة * من الحزم تخزوفى وجوه النوائب
أليس الذى لم يحجب الدهر مثله * أغرّ صباح الدين صدق المضارب
وأعفى ووقع الذنب تدمى كلومه * وأكفى اذا كفت صدور الكتائب
عهدناه يقرى الضيف قبل نزوله * ويلبس وقت السلم درع المحارب
ويغزو فلا شئ يقوم لعزمه * ولو أنه يرمى به فى الكواكب
اذا ظن لم يعدم يقين مشاهد * وان همّ لم يخطئ رمية صائب
فلا زال جيش النصر يقدم جيشه * وتلقاه بالبشرى وجوه العواقب

وله يصف فحما (كامل)

جعلوا القرى للقر فحما حالكا * قدح الزناد به فأورى نارا
فبدا دبيب السقط فى جنباته * كالبرق فى جنح الظلام أنارا
ثم انبرى لهبا ونار كأنه * فى الحرق ذو حرق يطالب ثارا
وكأنه ليل تفجر فجره * نهرا فكان على المقام نهارا

وله وقد ودع بعض اخوانه (بسيط)

أستودع الله من ودعته ويدى * على فؤادى خوفا من تصدعه
بدر من الود حازته مغاربه * فالنفس قد أشخصت طرفا لمطلعه
أتبعته بعد توديعى له نظرا * انسانه غرق فى بحر أدمعه
ما أوجع البين فى قلب الكريم غدا * يفارق القلب فى ثوبى مودعه
يذيبه البين تعذيبا ويعنه * من أن يطير شعاعا اسر أضلعه
يسطو به البين مغلولا فليس سوى * تململ فى فراش من توجعه

وله يصف الزمان وأهله (كامل مجزوء)

داء الزمان وأهله * داء يعز له العلاج
أطلعت فى ظلمائه * وذا كما سطع السراج
لعصابة أعيا ثقا * فى من قناتهم اعوجاج
أخلاقهم ما صفا * مرأى ومطعمه اجاج
كالدر ما لم تختبر * فاذا اختبرت فهم زجاج

(وكتب الى الفقيه القاضى أبى سعيد خلوف بن خلف اعزه الله) من حضرة بلنسية وقد نهض فى صحبة الامير الاجل عبد الله بن مزدلى عند منهضه الى سرقسطة أعادها الله ملبيا لمناديها ومعبيا لمدافعة العدو المخيم بواديها وأقام الفقيه أبو محمد خلاف العسكر هنالك لغرض اعترضه وعاق منهضه استوهب الله للفقيه الاجل قاضى الجماعة سيدى وعمادى شمول نعمه وأياديه واتصال روائح عز الطاعة وغواديه واتصال خواتم الاعمال بمباديه والتئام عوارض السعد بهواديه ولا زال منهل سحاب العدل ممتد أطناب الظل مخضر جوانب الفضل لا يقرع باب أمل الاولجه ولا يعن لما تنكره النفوس من أمر الا فرجه بعزة الله كتبته أدام الله بالطاعة عزك من حضرة بلنسية حرسها الله يوم كذا عن منير ودك الذى لا تخبو لدى نارة ولا تأفل عندى شموسه وأقماره ونصيع عهدك الذى لا يخلع لبسة الكرم ولا يزداد الا طيبا على القدم وعطير حمدك الذى به أحاور واحاضر وبمحاسنه أباهى وأفاخر والله تعالى علا بمحامدك أسماعا ويطلق ألسنا ويقيك للفضل غيثا كريما وأثرا حسنا ويديم ما بيننا فى ذاته زكى الفروع ثابت الاصول حصين الشكة مرهف النصول بمنه بعد أن ورد كتابك الكريم روضة الحزن غب المزن وحديقة الزهر تبسمت لوفد المطر تتجارى الى محاسنه العين والنفس وتترقرق من خلاله الانس وانتهيت منه الى ما يقتضى رضا وتسليما وبسر كما مى الاديم سليما وأما ما ذهبت اليه دام عزك من تعرف الانباء واجتلاء الانحاء فان ابن ردمير وقمه الله قد جعل فناء سرقسطة لكلكله عطنا واتخذ ذلك الحريم وطنا وذلك انه ندب لهذه السفرة من أهل ملته ما ندب وأجلب من خيلهم ورجالهم ما أجلب وهو يعتقد ان منازلته سرقسطة ستفتح عليها أبواب حروب وانه قد وطئ غيلا غير مغلوب فلما رأى ان

حاصها اليست بضربة لازب وأيصر مرحلها على الغارب نبهت المطامع حرصه فنعل فعل الضعيفة أصابت فرصة فلازم ملازمة الغريم وصرف اليهما وجوه الهيم مع ان غراب الرحيل ينعب كل يوم في عرصاته ويفصح وطوائف الافرنج دمرهم الله كل ليلة تمسي ولا تصبح لان بيتهم قذف ونواهم نزوح ومن دون أفواجهم مهامه فيح وأيضا فان الامير الاجل أبا محمد عبد الله ابن مزدلي أيده الله قد أضاق بضبط الطرق وقطع المتصرفين ذرعهم وعز بنصب حبائل الحبل لمن شد أوفر وسعهم فانه دام أمره أطلع عليهم اطلال الفجر على الظلام وأخذ هنالك بضبع الاسلام وأقام مرة كالحية النضناض وطورا كالاسد القضقاض يسرب الى مجالهم من يضرم نار الحرب في أكنافها ويأتي أرضهم ينقصها من أطرافها ولولاه ما علا هنالك للاسلام اسم ولا عاد للمدافعة رسم ولالاح للمكافحة وسم ولا عن لتلك المعالم المجهزة على تلك الاقطار جسم ولكنه ركب صعب الاهوال وصدق الصيال وهي أعزك الله أقطار ان لم تقم القوة منها ميلا وجنفا ويستعمل الجد لها نظرا أنفا والا فعقدها بعد رج نثار وهي في طريق انتكاث وعثار والله يكفي المسلمين فيها ويتم عليهم تلافيها بعزته والسلام الجزيل عليك يا عمادي ورحمة الله وبركاته

* (الوزير الحسيب الفقيه المشاور القاضي أبو الحسن بن أضحى أعزه الله) *

نسب ما وراءه منتسب ولا مثله حسب شرف باذخ تعقد بالنجوم ذوائبه وتحل في مفرق النسر ركائبه استفتحت الاندلس وقومه أصحاب رايات وأرباب آماد في السبق وغايات استوطنوها فغدوا بحور رماحها وبدور غياهبها وجاء أبو الحسن آخرهم فجدد مفاخرهم وأحيا الرفات وأغنى العفاة فبماذا أصفه وقد بهر وبدا فضله كالصبح اذا اشتهر وبماذا أحليه وعنه تقصر الحلى وبه يتزين الدهر ويتحلى ولكني أقول هو بحر زاخر وفضل سواء أوائله والاواخر تفخر به الدنيا وتزهى وهو للعلياء سما لثوسها اذا جادهمى غيثا وان صال غدا ليثا ولي القضاء فهب انكاره وانجلى من أفق الدين غيمه واعتكاره وحييت به الرعايا ولويت ألسن البغي والسعايا وله سجايا برئت من الزهو وأحكام عوفيت من الغلط والسهو سقته العلوم زلالها ومدت عليه ظلالها وأرقته الجلالة هضابها وأرشفته الاصالة رضابها فلاح في سماء العلاء بدرا

وصار في فناء السناء صدرا عدلا في أحكامه جزلا في نقضه وابرامه وله نظم متع الصفات أحلى من الرشفات وقد أثبت منه ضروبا لا تجد لها ضريبا (أخبرني ذو الوزارتين أبو جعفر بن أبي رحمه الله) أنه كتب اليه شافعا لاحد الاعيان فلما وصل اليه برّه وأنزله وأعطاه عطاء استعظمه واستجزله وخلع عليه خلعا وأطلعه من الاجلال بدرا لم يكن له مستطلعا ثم اعتقد أنه جاء مقصرا فكتب اليه معتذرا (طويل)

ومستشفع عندي بخير الورى عندي * وأولاهم بالشكر مني وبالحمد
وصلت فلما لم أقم بجزائه * لففت له رأسي حياء من المجد

ومن باهر جلاله وظاهر خلاله انه أعف الناس بواطن وأشرفهم في التقى مواطن ما علمت له صبوة ولا حلت له الى مستفزة حبوة مع عدل لا شئ يعدله وتعجب عما يتقي يرسل عليه حجابه ويسدله (وكان لصاحب البلد) الذي كان يتولى به القضاء ابن من أحسن الناس صورة وكانت محاسن الاقوال والافعال عليه مقصورة ما شئت من لسن وصوت حسن وعفاف واختلاط بالبهاء والثقاف فحملنا الى احدى ضياعه بقرب من حضرة غرناطة خللنا قرية على ضفة نهر أحسن من شاده هر تتقها جداول كالصلال ولا ترمقها الشمس من تكاثف الظلال ومعنا جملة من أعيانها فأحضرنا من أنواع الطعام وأرانا من فرط الاكرام والانعام ما لا يطاق ولا يحد ويقصر عن بعضه العد وفي أثناء مقامنا بدا لي من ذلك الفتى المذكور ما أنكرته فقابلته بكلام أحقده وملام أعتقده فلما كان من الغد لقيت منه اجتنابه ولم أر منه ما عهدته من الانابة فكتبت الى أبي الحسن مداعبا فراجعني بهذه القطعة (طويل)

أتتني أبا نصر نتيجة خاطر * سريع كرجع الطرف في الخطرات
فأعرب عن وجد كمين طويته * بأحيف طاو فاتر اللحظات
غزال أحم المقلتين عرفته * بخيف منى للعين أو عرفات
رمالك فأصمى والقلوب رمية * لكل كحيل الطرف ذي فتكات
وظن بأن القلب منك محصب * فلباك من عينيه بالجمرات
تقرب بالنسك في كل منسك * وضحى غداة النحر بالمهجات
وكانت له جيان مثوى فأصبحت * ضلوعك مثواه بكل فلاة

يعز علينا ان تهيم فتطوى * كتيبا على الاشجان والزفرات
فلو قبلت للناس في الحب فدية * فديناك بالاموال والبشرات

ومن اشارة ديانته وعلامة حفظه للشرع وصيانته وقصده مقصد المتورعين وجريه مجرى المتشرعين ان أحد أعيان بلده كان متصلا به اتصال الناظر بسواده محتلا في عينه وفؤاده لا يسلمه الى مكروه ولا يفرده في حادث يعروه وكان من الادب في منزلة تقتضي اسعافه وتورده من تشفيعه في مورد قد عافه فكتب اليه ضارعا في رجل من خواصه اختلط بمرأة طلقها ثم تعلقها وخاطبه في ذلك بشعر فلم يسعفه وكتب اليه مراجعا (متقارب)

ألا أيها السيد المجتبى * ويا أيها اللمعيّ العلم
أتتنى أبياتك المعجزات * بما قد حوت من بديع الحكم
ولم أر من قبلها بابلا * وقد نفثت سحرها في الكلم
ولكنه الدين لا يشترى * بنثر ولا بنظام نظم
وكيف أبيح حمى مانعا * وكيف أحلل ما قد حرم
ألست أخاف عقاب الاله * ونارا مؤججة تضطرم
أأصرفها طاقا بتة * على أنه قد طغى واجترم
ولو أن ذاك الغبي الجهول * تثبت في أمره ما ندم
ولكنه طاش مستعجلا * فكان أحق الورى بالندم

وكتب في غرض عن له القول فيه (بسيط)

ياسا كن القلب رفقا كم تقطعه * أتئه في منزل قد ظل مثواكا
يشيد الناس للتحصين منزلهم * وأنت تهدمه بالعنف عيناكا
والله والله ما حبي لفاحشة * أعاذني الله من هذا وعافاكا

وله في مثل ذلك (بسيط)

روحي لديك فردّيها الى جسدي * من لي على فقدها بالصبر والجلد
بالله زوري كئيبا لا عزاء له * وشرّفيه ومثواه غدا لحد
لو تعلمين بما ألقاه يا أملي * يا بغيتي الود تصفيه يدا بيد
عليك مني سلام الله ما بقيت * آثار عينك في قلبي وفي كبدي

وله يتوجع من الفراق (كامل)

أزف الفراق وفى الفؤاد كلوم * ودنا الترحل والحمام يحوم
قل للاحبة كيف أنعم بعدكم * وأنا أسافر والفؤاد مقيم
قالوا الوداع يهيج منك صبابة * ويثير ما هو فى الهوى مكتوم
قلت اسمعوا الى أن أفوز بنظرة * ودعوا القيامة بعد ذاك تقوم

(ولما انتهز ابن ردمير) فى سرقسطة أعادها الله ووقعه فرصة أسهرت العيون وأرقتها وطرقت النفوس من ذلك بما طرقتها انتدب الامير عبد الله بن مزدلى رحمه الله دون أن يندب والمسلمون ينسلون معه اليها من كل حدب وشمر تشمير البطل المغوار وعبر اليها النجاد والاغوار حتى دخلها والعدو صافر وأطل عليه منه أسد فاغر وحصره فى أخبيته ووقف له فى ثنيته لم يعجله فى مجال سهم ولم يتله انتهاب نعم ولا بهم فاستبشر المسلمون بمضائه واستظهر الدين باقتضائه لولا ما عاجله الحمام وساجله بيد أمضى من الحسام نخط الردى هنالك موضعه وأثكل فيه الاسلام وفجعه وعند ارغامه لابن ردمير وايغاله فى شعابه بالخراب والتدمير كتب اليه القاضى أبو الحسن عبد حمويذ كر مثابه (بسيط)

يا أيها الملك مضمون لك الظفر * أبشر فجندك التأييد والقدر
وأبلنا سا الماء والسعد مقتبل * والدين منتظم والكفر منتثر
وقد طلعت على البيضا من كثب * كما اطلع فى جنح الدجا القمر
حللت فى أرضها فى جحفل لجب * كما يحل بها فى الازمة المطر
وحولك الصيد من لمتونة وهم الابطال يوم الوغى والانجم الزهر
والعرب ترفل فوق الغرب سابحة * كالاسد ليس لها الا القنا ظفر
من كل أروع وضاح عمامته * كالبدر نحو لقاء الجيش يبتدر
شعاره البر والتقوى ومؤنسه * فى ليله رمحه والصارم الذكر
ذؤابة المجد من قحطان كلهم * أبوهم حمير ذو المجد أو مضر
ومن زناتة أبطال غطارفة * ذوو تجارب فى يوم الوغى صبر
ولمطة وهم أهل الطعان لدى الـهيجا * فى زمر تقتادها زمر
كأنهم فى جبين المجد اذ ركبوا * مصممين الى اعدائهم غرر

* (الفقيه الكاتب أبو عبد الله اللوشى رحمه الله تعالى) *

طود علاء رسا وسبير وزند ذكاء أورى بالانشاء والتحبير الفضل حشو

أبراده والنيل تلو اصداره وايراده مع نفس عذبت صفاه وشيمة ملئت وفاء واحتفاء ومذهب صفا صفاء التبر وخلص من الخيلاء والكبر وسعى لكل نجح ضامن ووقار كان ثبير افيه كامن وأدب زرت على الاعجاز جيوبه وهبت بعرف الاحسان صباه وجنوبه ونظام ونثر بلغا الغاية وفي يدهما للسبق لواء وراية الا أنه مني بخلق حرجت وساءت وظنون شتى بعدت عن الخير وتشاءمت وأوجبت له من اللوم ما شاءها النقص وشاءت ولولاهما لامتطى الافلاك واستخفض الفقر والسماك (وقد أثبت) من نظمه ونثره نبذا تدير عليها الحميا وتتنسم لها عرفا وريا (فمن ذلك) رسالة كتب بها الى الوزير الفقيه أبي محمد عبد الحق بن عطية وفقه الله وهي أطال الله بقاءك ياسيدي الاعلى وذخري الاغلى وواحد أعلاق الاسمى ومنحة الله العظمى مخدوما بأيدي الاقدار معصوما من عوادي الليل والنهار مكتنفا من لطائف الله الخفية وعوارف صنائعه الحفية بما يدفع عن حوزتك نوائب الخطوب ويصنع لك في طي المكروه نهاية المحبوب لله تعالى أقدار لا يتجاوز مداها وأحكام لا تتخطى مراميها ولا تخطاها وآثار يصلها المرء ويغشاها ولهذا من كتبت عليه خطا مشاها غير أنه دام عزك قد يخير الله لعبده في الامر المكروه ويلبسه في أثناء المحنة ثوبا من المنحة لا يسروه فمن الحزامة لمن تحقق بالايام ومعرفتها وعلم صروف الليالي بكنه صفتها أن يغضي عن الخطب شهمها بوائبه ولا يتوقى ظهر ماهو راكبه اذ لا محالة أن العيش ألوان وحرب الزمان عوان وحتم أن يستشعر الصبر والجلد من يساوي الرجال ويقرر في نفسه أن الايام دول وأن الحرب سجال ويعتقد أن ما يعرضه في خلال النضال من وخز الكفاح ويعترضه بمجال الرجال من حفز الرماح غمار تقلع وغبار يتقشع لاسيما اذا كان الذي أصابه جرحا أشواه وسهم غرب حاد عن المقتل الى سواه ثم أجلت الحرب عن قرنه ترب الجبين شرقا بدم الوتين فقد أربت لذة غلبه وفرحة منقلبه على ما غاله من وصبه وناله من تجشم نصبه وأراح بعزة الظفر وهزة بلوغ الامل وقضاء الوطر ولم أزل أدام الله عافيتك أرتاع لفراقك بتذكرك واشتياقك وأتعلل منك بالمنى وأعول فيك على التسليم لنافذ المنى وأرجع على ترداد لعل وعسى ومواصلة تجرع الكمد لانتزاحك والاسى والاشفاق يقوي بي ويجد والتعلل يعين على مضض بعدك ويجد والتجلد يصور لي الامل ويثني

الرجاء المعقل الى أن أنتظر ان شاء الله في جانبك الصنع الجميل وأنولك منه عز وجهه باللطف الخفي والنعم الجليل وأتيقن لك بعادة الله السنية وعارفته السالفة الهنية وكونك قرسنا وهضبة سرورنا الذي لن تعدم حيث كنت مسرة ولا تفقد بكل قطر تحله تكرمة ومبرة وان قدرك معروف بكل مكان والنفيس نفيس حيثما كان ولكني علم الله كنت أتخيل خلو حضرتنا المزدانة بجلالك من التجمل بجدك وعلائك فأستوحش وأتمثل بقوله

نبئت أن النار بعدك أوقدت * فأجهش (طويل)

أقلب طرفي في الفوارس لا أرى * حزاقا وعيني كالحجاة من القطر

وايم الله يا سيدي الاعلى تكدر بعدك المحيا ونغص فراقك الدنيا واقشعرت بعدك العليا وأصبح طرف لا أراك به أعمى الى أن وافى من فلان راجلك بشيرا فاغتديت لعمر الله جذلا وارتددت بصيرا وقلت عود ة من الزمان وعطفة من دركك الآمال والامان فالحمد لله الذي وهب هذه المسرة بتمامها وأطلق النفس من عقلة اغتمامها والشكر له على ما من به من ايابك وأنعم به من فيئتك واقترابك فانها النعمة المالكة خلدي المالئة لساني ويدي التي هي أحلى من الامان وأسنى من كرة العمر وعودة الزمان والرب يهنئك السلامة ويحفظك أبراد العز في حالتي الظعن والاقامة ويعرفك يمن قفولك وبركة رحلتك وحلولك ويسعدك بقدمك ويجعل الايام من خدمك بعزته الباهرة وقدرته القاهرة والسلام الجزيل العميم عليك ورحمة الله وبركاته (وله) من قطعة راجع بها الوزير أبا القاسم بن السقاط ارتجالا (كامل)

يا لابسا برد العلاء مفوقا * بأجل مأثرة وأسنى مفخر

اني وحقك لو جهدت مودة * نفسي لأبلغ كنه ما في مضمري

لو كنت أستطيع الوفاء بما أرى * لجلال قدر الاوحدي الشمري

لنضوت جلباب الشباب غضارة * وخلعتها بدلا له من مخطر

أو كنت أرسل ما يليق بقدره * لبعثتها من سندس أو عبقري

وبذلت نفسي دونه ووقيته * بنفيس عمري من صروف الادهر

لله أبيات أتتنا خمسة * مثل الفريد نظمن نظم الجوهر

جمعت من السحر الحلال محاسنا * من كل معنى رائق مستندر

سوى وشيعتهم السان حائك * ووشى سداها خاطر كالسمهرى
فأنت حبيبا ان يفوه بمثلها * وأنت بما يزرى بنيل البحترى
فالبس هنيئا برد مجد سابغ * واسحب ذيولك زاهيا وتبختر

(وله رسالة كتب بها الى أمير المسلمين) يعزيه فى الامير مزدلى رحمه الله أطال الله بقاء أمير المسلمين وناصر الدين الشائع عدله السابغ فضله العظيم سلطانه العلى مكانه السنى قدره وشانه فى سعد تطرف عنه أعين النوائب وجد تصرف دونه أوجه المصائب كل رزء أدام الله تأييده وان عظم وجل حتى استولى على النفوس منه الوجل اذا عدا بابه وتخطى جنابه فقد اخطأ بحمد الله المقتل وصد عن سواء الغرض وعدل واذا كانت أقدار الله تعالى غالبة لا تصاول وأحكامه نافذة لا تزاول فالصبر لواقعها أولى والتسليم لجوازها أوهب لرضا المولى والتزام أوامره أشرف وأعلى وفى كل حال أجل وأولى وكتبته أدام الله تأييده والنفس بنار زفراتها محترقة والعين بماء عبرتها شرقة مغرورقة لما نفذ قدر الله المقدور وقضاؤه المسطور من وفاة الامير الاجل أبى محمد مزدلى قدس الله روحه وسقى ضريحه فيا له رزأ قصم الظهر ووسم النجوم الزهر وأذكى الاحزان وأبكى الاجفان وأقصى المهاد بمكانته من الدولة المنيفة ومنزلته من الامرة الرفيعة الشريفة وعند الله نحتسبه ذخيرة عظمى ونسأله المغفرة له والرحمى فانه كان نور الله وجهه متوفر الهمة على الجهاد من أهل الجد فى ذلك والاجتهاد وحسبه أنه لم يقض نحبه الا وهو متجهز فى عساكره فأدركه الموت مهاجرا ومع الله تاجرا وأرجو أن يكون تعالى قد قرن له خاتمة السعادة بخاتمة الشهادة وأمير المسلمين أورى فى الرياسة زندا من أن تضعضعه الخطوب وان أهمت وتوجعه الحوادث اذا ادلهمت والله يحسن عزاءه على فجعه ولا يدنى حادثا بعده من ربعه بمنه عز وجل

(الفقيه الحافظ القاضى أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض رحمه الله تعالى)

بناء على قدر وسبق الى نيل المعالى وابتدر واستيقظ لها والناس نيام وورد ماءها وهم حيام وتلا من المعارف ما أشكل وأقدم على ما أحجم عنه سواه ونكل فصلت به للعلوم نحور وتجلت له منها حور كأنهن الياقوت والمرجان لم يطمثهن

انس قبلهم ولا جان قد أحفته الاصالة رداءها وسقته أنداءها وألقت اليه الرياسة أقاليدها وملكته طريفها وتليدها فبذ على فتائه الكهول سكونا وحلما وسبقهم معرفة وعلما وأزرت محاسنه بالبدر اللياح وسرت فضائله مسرى الرياح فتشوفت لعلاه الاقطار ووكفت تحكي نداه الامطار وهو على اعتنائه بعلوم الشريعة واختصاصه بهذه الرتبة الرفيعة يعنى باقامة أود الادب وينسل اليه أربابه من كل حدب الى سكون ووقار كما رسا الطود وجمال مجلس كما حليت الخود وعفاف وصون ما علمنا فسادا بعد الكون وبهاء لو رأته الشمس ما باهت باضواء وخفر ولو بان للصبح ما لاح ولا أسفر (وقد أثبت) من كلامه البديع الالفاظ والاغراض ما هو أسحر من العيون النجل والجفون المراض (فمن ذلك) رقعة حملتها تحية للرئيس أبي عبد الرحمن بن طاهر رحمه الله وهي عمادي أبا نصر متنق الوزارة ووحيد العصر هل لك في منة تفوت الحصر تحف محملا وتبلغ أملا وتشكر قولا وعملا شكرا تترنم به الحداة ثقيلا ورملا اذا بلغت الحضرة العلية مستلما ولقيت الطاهر بن طاهر فخر الوزارة مسلما وحللت من فنائه الارحب حرما ولمست بمصافحته ركن المجد يندى كرما فقف شوقي بعرفات تلك المعارف وانسك تذكرى بمشاعر تلك العوارف وأطف أفكاري بكعبة ذلك الجلال سبعا وبوئ أوادى في مقر ذلك الكمال ربعا وأبلغ عني تلك الفضائل سلاما يلتثم بصريح الحب التثاما ويحسن عن بظهر الغيب مقاما ويسير عن بارح الجد انجادا واتهاما (وله) مراجعا عن كتابين كتبتهما اليه معاتبا له (طويل)

أبا النصر ان شدوا رحالك للنوى * فان جميل الصبر عنك بها شدوا

وان تتركوا قلبي مقيما وترحلوا * فماذا ترى في مهجة معكم تغدو

(وله فصل) من رسالة في حباني في علك سدد الله على حكمك ما جمعه فلان من جلائل تشذ عن الحصر وفضائل يعترف له بها نبهاء العصر يقول فيختلس العقول ويعن فيذهل الالباب ويحق ان نظم فعبيد أو لبيد أو نثر فعبد الحميد أو ابن العميد أو صال فأبو نعامة أو أنال فكعب بن مامة أو فاخر فشجرة سيادة أصلها ثابت وفرعها في السماء أو ذاكر فبحر معارف لا تكدره الدلاء الى همة تصفع هامة الثريا وعزة تمن الفضل بن يحيى ولهجة تخرس العجاج

وبهجة تزرى بنصر بن حجاج ولو كنت ابن أبي هالة لما بلغت المنتهى له على أنى لم أنبه لشأنه ذا جهالة لكنه الكلام يطرد والبداية حسب ماترد واللسان ينطق بما فيه والجنان يرشح بما فيه ومن شعره قوله (طويل)

عسى تعرف العلياء ذنبى الى الدهر * فأبدى له جهدا اعترافى أو عذرى
وقد حال ما بينى وبين أحبة * ألفتهم ألف الخمائل للقطر
همو أودعوا قلبى تباريح لوعة * فناجيهم أذكى وأنكى من الجمر
على أننى سلوى بأن فراقهم * وان طال لم يمزج بصد ولا هجر
سأفزع للريح الشمال لعلها * أحملها نجوى تطلع فى صدرى
* تبلغ منها للوزير تحية * معطرة الارجاء دائمة البشر *
تظلله من حر كل هجيرة * وتؤنسه فى وحشة البلد القفر
وتنبئه أنى أكن صبابة * لمن بدا فى غير شعر ولا شعر
أهز بها عطفى من غير نشوة * وأرخى بها ذيلا من التيه والكبر
وانى أشدو فى النوادى بذكره * كما شدت الورقاء فى الغصن النضر
أجل وعساها أن تبلغ مهجتى * فأبلى بها عذرى وأقضى بها نذرى

(وله) فى خامات زرع بينها شقائق نعمان هبت عليه ريح (سريع)

انظر الى الزرع وخاماته * تحكى وقد ماست امام الرياح
كتائبا تجفل مهزومة * شقائق النعمان فيها جراح

(وله فصل) من رسالة راجع بها وصلت لمعظمى قرب الجلال وذهبت به رتب الكمال وحامت على مشرع مجده العذب طيور الآمال وغصت أفنية جنابه الرحب بوفود الاقبال لاغرو أعزك الله أن من لاحظ من آثار فضلك الرائقة لحظة أو حظى من سماع محاسنك الرائعة ولو بلفظة أن تسير به همته فى لقائك واحدا وتعتسف الطرق الى ورد جلالك وافدا حتى يشاهد الكمال لم يحوج الى نقص وليس لله بمستنكر أن يجمع العالم فى شخص (وله) عند ارتحاله من حاضرة قرطبة (طويل)

أقول وقد جد ارتحالى وغردت * حداتى وزمت للفراق ركائبى
وقد غمضت من كثرة الدمع مقلتى * وصارت هواء من فؤادى ترائبى
ولم تبق الا وقفة يستحثها * وداعى للاحباب لا للحبائب

رعى الله جيراننا بقرطبة العلا * وسقى رباها بالعهاد السواكب
وحيا زمانا بينهم قد ألفته * طليق المحيا مستلان الجوانب
أإخواننا بالله فيها تذكروا * معاهد جار أو مودة صاحب
غدوت بهم من برهم واحتفائهم * كأني في أهلي وبين أقاربي

وله في المتشابه (متقارب)

اذا ما نشرت بساط انبساط * فعنه فديتك فاطو المزاحا
فان المزاح كما قد حكى * أولو العلم قبل عن العلم زاحا

(وله فصل من رسالة) لا بد أعزك الله لكل حين من بنين يحلون عاطله ويجلون فضائله ولكل مجال من رجال يقومون بأعبائه ويبرون في كل واد بأبنائه وائن كانت جمرة الادب خامدة وجذوته هامدة ولسانه حصيرا وانسانه حسيرا فلن يخليه الله من هلال يطلع فيشرق بسمائه بدرا وزلال ينبع فيغدق بفضائه بحرا وشبل يشدو فيزأر من غابه ليثا وطل يبدو فيمطر من ربابه غيثا

ومن شعره (متقارب)

لك الخير عندي اذا ما النزاع * فعقل يهيم وقلب يراع
يعز علينا تنائي الديار * وذا السلام ملك والوداع
لكم أمل كان لي في اللقاء * وأمنية قد طواها الزماع
فلم أجن منها سوى حسرة * فوجد جميع وأنس شعاع
لئن حمل القلب ما لا يطاق * فما كلف الجفن لا يستطاع

(وخرجنا للنزهة) فلما انصرفنا أصاب عفارتي شوك شقها فلما وصلت موضعي أمرت أن أبعثها اليه مع أحد عبيده المتصرفين بين يديه فلما كان من الغد تأخر صرفها وحضرت الجمعة فكتبت اليه معاتبا في توقيفها قد بقيت أعزك الله كالاسير ولقيت التوحش بجناح كسير ان أردت النهوض لم نهض وليت من لا يريش لم يهض وقد غدوت من المقام في مثل السقام فلتأمر بردها لعلي أحضر الصلاة وأشهدها لا زلت سريا تطلق من يد الوحشة عبوسا بريا ان شاء الله (فراجعني) أدام الله يا ولي جلالك وأبقى حليا في جيد الدهر خلالك الغفارة عند من يتطرفها وقد بلغت غير مضيع تلافيها ورجي تمامها قبل الصلاة وادراكها وتصل مع رسولي وكأنما قد شراكها وان عاق عائق فليس مع

صفا الود مضافى والعوض رائق لائق وهو واصل وأنت بقبوله مواصل والسلام عليك ما ذر شارق وومض بارق

* (الفقيه القاضى أبو الحسن بن زنباع رحمه الله تعالى) *

ملئ حياء وقنى استحياء طود سكون ووقار وروضة نباهة يانعة الازهار ومحت صفحات المهارق غرره وانتظمت بلبات المغارب والمشارق درره ان نطق رأيت البيان منسربا من لسانه والاحسان منتسبا لاحسانه حوى العلوم وحازها وتحقق حقائق العرب ومجازها وروى قصائدها وارجازها وعلم اطالتها وايجازها وهو فى الطب موفق العلاج واضح المنهاج وله نظم تزهى به نحور الكعاب ويستميل الى سماعه سلوك الصعاب (وقد أثبت) منه ما تجتليه فتستحليه وتعقله فتستنقله فمن ذلك قوله (كامل)

أبدت لنا الايام زهرة طيبها * وتسربلت بنضيرها وقشيبها
واهتز عطف الارض بعد خشوعها * وبدت بها النعماء بعد شحوبها
وتطلعت فى عنفوان شبابها * من بعدما بلغت عتى مشيبها
وقفت عليها السحب وقفة راحم * فبكت لها بعيونها وقلوبها
فعجبت للازهار كيف تضاحكت * ببكائها وتبشرت بقطوبها
وتسربلت حللا تجر ذيولها * من لدمها فيها وشق جيوبها
فلقد أجاد المزن فى انجادها * وأجاد حر الشمس فى تربيبها
ما أنصف الخيرى يمنع طيبه * لحضورها ويبيحه لمغيبها
وهى التى قامت عليه بدفئها * ونما هدته بدرها وحليبها
فكأنه فرض عليه مؤقت * ووجوبه متعلق بوجوبها
وعلى سماء الياسمين كواكب * أبدت ذكاء العجز عن تغييبها
زهر توقد ليلها ونهارها * وتفوت شأو خسوفها وغروبها
فضلت على سير النجوم بأسرها * وسروها فى الخلقتين وطيبها
فتأرجت أرجاؤها بهبوبها * وتعانقت أزهارها بنكوبها
وتصوبت فيها فروع جداول * تتصاعد الابصار فى تصويبها
تطفو وترسب فى أصول ثمارها * والحسن بين طفوها ورسوبها
فكأنما هى موجسات أساود * تنساب من أنقابها لصبوبها

فأدر كؤس الانس فى حافاتها * واجعل سديد القول من مشروبها
فحديث اخوان الصفاء لذاذة * تجلى و يؤمن من جناية حوبها
واركض الى اللذات فى ميدانها * واسبق لسد ثغورها ودروبها
أعريت خيلك صيفها وخريفها * وشتاءها هذا أوان ركوبها
أو ما ترى الازهار ما من زهرة * الا وقد ركبت فقار قضيبها
والطير قد خفقت على أفنانها * تلقى فنون الشدو فى أسلوبها
تشدو وتهتز الغصون كأنما * حركاتها رقص على تطريبها

وله (منسرح)

كذا تصان السيوف فى الحلل * ويفخر الخط بالقنا الذبل
وتكرم الخيل فى مرابطها * برّ الفتاة العروب بالرجل
ويعطف النبع كالحواجب أو * أحنى وتمهى السهام كالمقل
ويوثر الشرة الكمىّ اذا * خير بين الدروع والحلل
فتح انارت له البلاد كما * أشرقت المقربات للنهل
هدت له الروم هدة ملأت * قلوب أبطالهم من الوجل
فما أطاقوا الولوج فى نفق * وما أطاقوا الصعود فى جبل
ألقوا بأيديهم ولا سبب * يفرق بين القناة والبطل
فجرى الاسد فى مرابضها * كمجرى الغانيات فى الكلل
وربما لم تقم مناصلها * مقام تلك اللواحظ النجل
تغامسوا فى الدروع زاخرة * كى يسلموا من حرارة الاسل
فما أفادتهم الدروع سوى السفلة من خفة الى ثقل
كأنهم والرماح تحفزهم * بوى فصال سلكن فى الوحل
سابغاتها سبقا مضاعفة * قد أخلصت بالحديد والعمل
مثل عيون الدبى فصيرها * دم وطعن كأعين الحجل
هنالك سل بالوزير من شهد الحرب وان كنت شاهدا فقل
ولا تخف ان حكيت مغربة * عنه مقام المكذب الخطل
فانه الاوحد الذى ترك الدهر بلا مشبه ولا مثل
حدث بما شئت عنه من حسن * وعظم الامر ثم لا تسل

ففضله يهر الاهلة في * سعودها والشموس في الحمل

وكتب الى أعزه الله مراجعا (طويل)

هوى مخود يلقى به الليل متهم * يصرح عنه الدمع وهو يجمجم
يبيت يداري أو يدا ويئ مابه * ويغلبه أمر الهوى فيسلم
لاجفانه من كل شئ مؤرق * ومن أين للمشتاق شئ ينوم
وليس الهوى ما الرأى عنه مزحزح * ولكنه ما الرأى فيه مقحم
وأعذر أهل الحب كل مدله * يرى ان من يهدى له النصح ألوم
واجلد أبناء الزمان مرزأ * يقاسي خطوب الدهر وهو متيم
ويصعب حمل الهم والهم مفرد * فكيف ترى في حمله وهو توأم
ولولا أبو نصر ولذات أنسه * تقضت حياتي كلها وهي علقم
فتى فتح الله المعارف باسمه * ومن دونها باب من الجهل مبهم
تأخر في لفظ الزمان وانه * بمعناه في أعيانه متقدم
أتوا بالمعاني وهي در منظم * وجاء بها من أفقها وهي أنجم
وما يستوي في الحكم راق وغائص * لقد نال أسنى الرتبة المتسنم
الملك أبا نصر بديهة خاطر * توالى عليه الشغل وهو مقسم
أجبت به للقول وهو لما به * قلبي ولم يسعده نطق ولا فم
وكم مصقع لا يرهب القول فعله * ثنته خطوب ما انثنت وهو مفحم
ولو لم يكن الا وداعك وحده * لاشفق منه يذبل ويلملم
فما يصنع الانسان وهو بفهمه * يحس باشتات الامور ويفهم
وقد كنت تشكيني من الدهر دائبا * فقد صرت أشكو منك ما أنت تعلم
عليك سلام تسحب الريح ذيله * فيعبق منه كل ما يتنسم
وان لم يكن الا الوداع وفرقة * فان فؤادي قبلك المتقدم

وله أيضا (طويل)

أرى بارقا بالابلق الفرد يومض * يذهب جلباب الدجا ويفضض
كأن سليمى من اعاليه أشرفت * تمد لنا كفا خضيبا وتقبض
اذا ما توالى ومضه نفض الدجا * له صبغه المسود أو كاد ينفض
أرقت له والقلب يهفو هفوه * على أنه منه أحد وأومض

وبت أدارى الشوق والشوق مقبل * علىّ وأدعو الصبر والصبر معرض
واستنجد الدمع الابىّ على الاسى * فتجدنى منه جداول فيض
وأعذل قلبا لايزال يروعه * سنا النار يستشرى أو البرق ينبض
تظنهما ثغر الحبيب وخده * فذ اضاحك منه وذا متعرض
اذا ملفت منك الخيالات ما أرى * فأنت لماذا بالشخوص معرض
الى أن تفرت عن سنا الصبح سدفة * كما انشق عن صفح من الماء عرمض
وندت الى الغرب النجوم مروعة * كما نفرت عير من السيل ركض
وأدركها من فجأة الصبح بهتة * فحسبها فيه عيونا تغرض
كأن الثريا والغروب يحثها * بلجام على رأس الدجو هو يركض
وما عترى فى الهقعة العين أنها * على عاتق الجوزاء قرط مفضض

ومنها فى صفة الحرب

سل الحرب عنه والسيوف جداول * تدفق والارماح رقط تنضنض
وبالارض من وقع الجياد تمدد * ولكنه فيما تروم تقبض
وبالافق للنقع المثار سحائب * مواخض لكن بالصواعق تمخض
وقد سكت تحت الحديد من الصدا * جسوم عاعلت من اسد ترحض
ومدت الى ورد الصدور عيونها * صدور العوالى والعيون تغمض
وأشرفت البيض الرقاق الى الطلى * لتكرع فيها والرؤس تخفض
فلست ترى الادماء مراقة * تخاض الى أكباد قوم تخضخض

وله (وافر)

نزاع ما أرى بك أم نزوع * لقد شغفت به منك الضلوع
يروعك أو يريعك كل داع * أكلّ مثوب داع سميع
جهلت وقد علاك الشيب أمرا * يقوم بعلمه الطفل الرضيع
ولولا ذاك ما قدرت أنى * أنوء بحمل ما لا أستطيع
فحسبك أو فحسبى منك دهر * يشت بصرفه الشمل الجميع
وشوق تقتضيه نوى شطون * فتقضى عنه واجبها الدموع
حملت الحب مؤتمنا عليه * فكيف يضيع ذلك أو يذيع
لقد جشمت نفسك متلفات * بكل ثنية منها صريع

وحال الصب تخضبه دموع * كحال القرن تخضبه نجيع
وقد تحمى الدروع من العوالى * ولا تحمى من الحدق الدروع
ورب فتى تراع الاسد منه * تقنص قلبه الرشأ المروع

(وكتب اليه) الوزير أبو محمد بن القاسم معزيا فى قريب مات له (وافر)

يشاطرك الصبابة والسهادا * ويمحضك المحبة والودادا
صديق لو كشفت الغيب عنه * وجدت هواك قد ملأ الفؤادا
يعز عليه رزء بت عنه * شفيق النفس تلهمها سدادا
انشفق للعباد ونحن منهم * من الرب الذى خلق العبادا
أراد بنا الفناء على سواء * ولا بد لنا مما أرادا
لئن قدمت علقا مستفادا * لقد أكرمت حظا مستعادا
ومثلك لا يضعضعه مصاب * ولا يعطى لنائبة قيادا
ومازلت الرشيد نهى وحاشى * لمثلك أن نعلمه الرشادا

(فراجعه) القاضى أبو الحسن بن زنباع (وافر)

لعالك من جواد قد أجادا * ونال الغاية القصوى وزادا
وبشر بالتى يسمو اليها * سواك فلا تبلغه مرادا
فانى قد رأيت الدهر طلقا * تنزل عن خلائقه وحادا
ومنذ بخست حظك وهو كبر * أحال على الورى سنة جمادا
ولن يرضى الزمان وأنت فيه * تدافع عن محلك أو تعادى
ومثلك وهو أنت ولا مزيد * شفى وكفى الملمات الشدادا
ومن وقذته بالنوب الليالى * فكيف يطيق عدوا واشتدادا
ولولا ما كلفت به فؤادى * من الحكم التى تسلى عمادى
ومن يطفى بنزر الماء نارا * فليس يزيدها الا اتقادا
جزاك الله خيرا من صديق * أفاد صديقه مما استفادا
ورد عليه صبرا ضل عنه * وأقسم لا يشال له قيادا
وأنجده على خطب عراه * وأدرك فيه ثارا فاستقادا

وله أيضا (كامل)

لهواك فى قلبى كريقك فى فى * غيرى يقول الحب مر المطعم

فأدر على بعقلتيك كؤسه * حتى يدب خماره فى أعظمى
ان التلذذ فى هواك تلذذ * لو كان أقتل من ذعاف الارقم
أحبب بحب لا يشير ملامة * ملئت بعوليسه عيون النوم
شغل النواظر والقلوب ولم يدع * من لم يسمه من الانام بميسم
ومن العجائب شغل شئ واحد * فى الحال أمكنة ولم يتقسم
وأقام أزمنة وليس بجوهر * وجرى وليس بمائع مجرى الدم
يا أيها القمر الذى انسانه * يرمى أناسا العيون بأسهم
لم أبد حبك غير أن جوانحى * فاضت به فيض الاناء المفعم
لاذنب لى علم الذى أسررته * نظرا ولم أرمز ولم أتكلم
وأمرت بالشكوى اليك وانما * يجنى الى الانسان ما لم يعلم
ولى عالم أشكى فأماتى * بأبى فذرنى تحت أمر مبهم
وتلافنى قبل التلاف فانتى * من حمير وستأخذونك فى دمى
الطاعنين بكل أسمر مدعس * والضاربين بكل أبيض مخذم
والواردين الصادرين اذا الوغى * لفحت بجمرتها وجوه الحوم
ولعلهم تسمو بهم هماتهم * ان يدركوا فى الظبى ثار الضيغم

(وزاره) نفر من اخوانه فقال فيهم مرتجلا (بسيط)

أهلا وسهلا وكم من سادة نجب * كالذبل السمر أو كالانجم الشهب
أجللتمو وتفضلتم بزورتكم * وليس ينكر فضل من ذوى حسب
اضاء منزلنا من نور أوجهكم * وطاب من عيشنا ما كان لم يطب

انتهى القسم الثالث من قلائد العقيان ومحاسن الاعيان والحمد لله حق حمده
والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيه وعبده

القسم الرابع من قلائد العقيان ومحاسن الاعيان
فى بدائع نبهاء الادباء وروائع فحول الشعراء

(الفقيه الاديب أبو اسحق بن خفاجه رحمة الله عليه)

مالك اعنة المحاسن وناهج طريقها العارف بترصيعها وتنميقها الناظم لعقودها

الرائق ابرودها المجيد لارحافها العالم بجلائها وزفافها تصرف فى فنون الابداع كيف شاء وابلغ دلوه من الاجادة الرشاء فشنع القول وروّقه ومدّ فى ميدان الاعجاز طلقه فجاء نظامه أرق من النسيم العليل وآنق من الروض البليل يكاد يمتزج بالروح ويرتاح اليه النفس كالغصن المروح ان شبب فغمزات الجفون الوطف أو اشارات البنان التى تكاد تعقد من اللطف وان وصف سراه والليل بهيم مافيه وضوح وخد الثريا بالندى منضوح فناهيك من غرض انفرد بمضماره وتجرد لجنى ذماره وان مدح فلا الاعشى للمحلق ولا حسان لاهل جلق وان تصرف فى فنون الاوصاف فهو فيها كفارس خصاف وكان فى شبيبته مخلوع الرسن فى ميدان مجونه كثير الوسن بين صفا الانام والاوجونه لايبالى عن التبس ولاأى نارا قتبس الا أنه قد نسك اليوم نسك ابن أذينة وغض عن ارسال نظره فى أعقاب الهوى عينه (وقد أثبت له) مايقف عليه للاراء وتصرف اليه الاهواء (أخبرنى) انه لما أقلع عن صبوته وطلع ثنية سلوته والكهولة قد حنكته وأسلكته من طرق الارعواء حيث أسلكته نام فرأى أنه مستيقظ وجعل يفكر فيما مضى من شبابه وفيمن ذهب من أحبابه ويبكى على أيام لهوه وأوان غفلته وسهوه ويتوجع لسالف ذلك الزمان ويتبع الذكر دمعا كواهى الجمان ثم استيقظ وهو يقول (وافر)

الا ساجل دموعى بالغمام * وطارحنى بشجوك يا حمام
فقد وفيتها ستين حولا * ونادتنى ورائى هل أمام
وكنت ومن لبانات لبينى * هناك ومن مراضعى المدام
يطالعنا الصباح ببطن حزوى * فينكرنا ويعرفنا الظلام
وكان لى البشام مراح أنس * فماذا بعدنا فعل البشام
فياشرخ الشباب ألا لقاء * يبل به على برح أوام
ويا ظل الشباب وكنت تندى * على أفياء سرحتك السلام

(وأخبرنى) انه لقى عبد الجليل الشاعر بين لورقة والمرية والعدو بلابط لا يريم يشرع تلك الربا ولا يزال يروع حتى مهب الصبا فباتا ليلتهما بلورقة يتعاطيان أحاديث حلوة المساق ويواليان أناشيد بديعة الاتساق الى أن طلع لهم الصباح أو كاد وخوفهم تلك الانكاد فقام الناس الى رحالهم فشدوها وافتقدوا

أسلمتهم فأعدوها وساروا يطيرون وجلا وان رأوا غير شئ ظنوه رجلا فال اليه عبد الجليل وفؤاده يطير وهو كالطائر في اليوم العاصف المطير فجعل يؤمنه فلا يسكن فرقه ويؤنسه فيتنفس الصعداء تثيرها حرقه فأخذ في أساليب من القريض يسليه باشغاله بها وايغاله في شعبها فأحيل على تذييل واجازة واختبل حتى لم يدر حقيقة النظم ولا مجازه الى ان مرا بمشهد بن عليهما رأسان باديان وكانهما بالتحذير لهما مناديان فقال أبو اسحق مرتجلا (طويل)

أيا رب رأس لا تزاور بينه * وبين أخيه والمزار قريب
أناف به صلد الصفا فهو منبر * وقام على أعلاه وهو خطيب

فقال عبد الجليل مسرعا (طويل)

يقول حذارا لاغترار فطالما * أناخ قتيل بي ومر سليب
وينشد كلا نا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب
فان لم يزره صاحب أو خليله * فقد زاره نسر هنا وذيب

فما تم قوله حتى لاح لها قتام كانه أغيام فانقشع عن سرية خيل كقطع الليل فما انجلت الا وعبد الجليل قتيل وابن خفاجة سليب وهذا من أغرب تفقول وأصدق تفقول وبلغه أني ذكرته في هذا الكتاب بقبيح وأثنيت في وصف أيام فتوته بتنديد وتلميح فكتب الى يعاتبني (كامل)

خذها ربت بها الجواد صهيلا * وتسيل ماء في الحسام صقيلا
بسامة تسبي الحليم وسامة * لولا المشيب لسمتها تقبيلا
حملتها شوقا اليك تحية * حملتها عتبا اليك ثقيلا
من كل بيت لو تدفق طبعه * ماء الغضى به القضاء مسيلا
ايه وما بين الجوانح غلة * لو كنت أنقع بالعتاب غليلا
ما للصديق وقيت تأكل لحمه * حيا وتجعل عرضه منديلا
أقبلته صدر الحسام وطالما * أضفيته درعا عليه طويلا
ماذا ثناك عن الثناء ونشره * بردا على الرسم الجميل جميلا
ارجاك كما عثر النسيم بروضة * رطبا كما نضح الغمام مقيلا
أعد الثقات واذكرنها خلة * لا تستقل به علاك مميلا
وأصخ الى سجع القريض فربما * ندب القريض من الوفاء هديلا

وعج المطى على الوداد وحيه * طللا على حكم الزمان محيلا
وابعث بطيفك واعتقدها زورة * وصل السلام على النوى تعليلا
ولئن سألت بك الغمامة وابلا * بسم الجديب لما سألت بخيلا
واذا دعيت ولا دعاية غيبة * فاغضض هنالك من العنان قليلا
واصحب وذكرك من هجير لافح * ذكرا كما سرت القبول بليلا
فلقد حللت مع الشباب بمنزل * يرتد طرف النجم عنه كليلا
وبدهت لا بزر المحاسن مجبلا * ومضيت لا اقصم الغرار فليلا
متدفقا أعيا العقول طريقة * فكأنما ركب المجرسبيلا
يستوقف العليا جلالا كلما * سعد البراع بكفه تقبيلا
لاتستنير بك السيادة غرة * حتى يسيل بك الندى تحجيلا
وسواى ينشد فى سوال الندامة * ياليتنى لم اتخذك خليلا

(وله) فى وصف ورد نثر عليه نوار نارنج (كامل مجزو)

وندى أنس هزنى * هز الشراب من الشباب
والليل وضاح الجبين قصير اذيال الثياب
فقنصت منه حمامة * بيضاء تنسخ من غراب
والنور مبتسم وخد الورد مخطوط النقاب
يندى بأخلاق الصبا * بـ هنالك لابندى السحاب
وكلاهما نثر كما * نثروا القوافى فى الخطاب
فكأن كاس سلافة * ضحكت الهم عن حباب

وله فى صفته أيضا (مجتث)

وصدر ناد نظمنا * له القوافى عقدا
فى منزل قد سحبنا * بظله العز بردا
تذكو به الشهب جمرا * ويعبق الليل ندا
وقد تأرج نور * غض يخالط وردا
كما تبسم ثغر * عذب يقبل خدا

(وكتب) الى معاتبا على مخاطبة لم برلها جوابا ولا اقرع لاتيانى بها بابا
فكتبت اليه معتذرا بطول اغترابى وتوالى اضطرابى وأنى ما استقررت يوما

ولا نقعت في منهل الثواء ظمأ ولا جوما (فكتب اليّ) يا سيدي الاعلى وعلق الاغلى حلي بك وطئك ولا خلا منك عطنك كتبت والود على أولاه والعهد بعلاه ترف زهرة ذكراه ويبج الرى ثراه منطويا على لذعة حرقة بل لوعة فرقة أبيت بها بليل لا يندى جناحه ولا يتنفس صباحه فها أنا كلما تناوحت الرياح أصيلا وتنفست نفساً عليلا أصانع البرحاء تنشقا وانتفس الصعداء تشوقا فهل تجد على الشمال نفحة كما أجد على الجنوب لفحة أم هل تحس لذلك الوهج ألما كما أجد الارج لما وأما وحقك قسما يشتمل على الايمان لزما ان في أدنى هذه اللواعج ما يقتضى انضاء هذه النواعج ويحمل على خرق جيب الخرق وجر ذيل برد الليل حتى أهبط أرض ذلك الفضل فاغتبط وارد مشرع ذلك النبل فأتبرد وعسى الله بلطفه أن ينظم هذا البدد ويعيد ذلك الود فيبرد الاحشاء كيف شاء بمنه وان كتابك الكريم وفاني تحية هزني اريحية هز المدامة تمنى والحمامة تغنى فلولا أن يقال صبا لالتزمت سطوره ولثمت مسطوره وما انطقتني صبوة استفزتني فهزتني ولكن فضله راح في كاس العلا تناولتها فكلما شربت طربت فلولا وقوع غمرات الشيب لابتدرت شق الجيب ثم صحت واطرباه وناديت واحر قلباه (وبعد) فاني وقفت من جملته على ما وقع موقع القطر وحسبك نجا وطلع طلوع هلال الفطر وكفى بك مبتهجا وما أعرب عنه من تفسير حالك وتفصيل حلك وترحالك ولا غرو أن تجذبك الرواحل وتتهاداك المراحل فالنجم أخيك من دار ولا في غير الشرف من مدار فقع أني شئت وارتع وطر حيث أحببت أوطر فما انتضتك يد المغارب الاماضي المضارب ولا تعاطتك أقطار البلاد الاطيب الميلاد فما ضار ان نعق ببينك غراب وخفق برحالك سراب اذلم يقض من فضلك اغتراب ولا أخل بنصلك ضراب لازالت نجحا بمنزلة مجد تجمع من اتساع في ارتفاع وامتاع في امتناع بين امرة بغدان ومنعة غمدان بحول الله تعالى وبركاته والسلام

(وله) في وصف شجرة نارنج (متقارب)

ألا أفصح الطير حتى خطب * وخف له الغصن حتى اضطرب
فقل طربا بين ظل هفا * وطيب وما عهنالك انتعب
وجل في الحديقة أخت المنى * ودن بالمدامة أم الطرب

وحاملة من بنات القنا * أماليد تحمل خضر العذب
تنوب مورقة عن عذار * وتفضل زاهرة عن شنب
وتندى بها في مهب الصبا * زبرجدة أثمرت بالذهب
فطورا تفاوح أنفاسها * وطورا تغازلها من كثب
فتبسم في حالة عن رضا * وتنظر آونة عن غضب

وله يتغزل (مجتث)

وأهيف قام يسقى * والسكر يعطف قده
وقد ترنح غصنا * واحمرت الكاس ورده
وألهب السكر خدا * أورى به الوجد زنده
فكاد يشرب نفسي * وكدت أشرب خده

وله في مثله (بسيط مخلع)

يا نزهة النفس يا مناها * يا قرة العين يا كراها
أما ترى لي رضاك أهلا * وهذه حالتي تراها
فاستدرك الفضل يا أباه * في رمق النفس يا أخاها
قسوت قلبا ولنت عطفا * وعشت من غرة نواها

(وقال) يندب معاهد الشباب ويتفجع لوفاة الاخوان والاحباب بعقب سيل أعاد الديار آثارا وقضى عليها وهيا وانتثارا (طويل)

ألا عرس الاخوان في ساحة البلا * وما رفعوا غير القبور قبابا
فدمع كما سح الغمام ولوعة * كما ضرمت ريح الشمال شهابا
اذا استوقفتني في الديار عشية * تلذذت فيها جيئة وذهابا
أكر بطرف في معاهد فتية * ثكلتهم بيض الوجوه شبابا
فطال وقوفي بين وجد وزفرة * أنادي رسوما لا تحير جوابا
وأمحو جميل الصبر طورا بعبرة * أخط بها في صفحتي كتابا
وقد درست أجسامهم وديارهم * فلم أر الا أعظما ويبابا
وحسبي شجوا أن أرى الدار بلقعا * خلاء وأشلاء الصديق ترابا

ولقد أحلني أحد الديار المندوبة وهي كعهدها في جودة مبناها وعودة سناها في ليلة تكحلت ظلامها اثمدا ومحونا بها من نفوسنا كمدا ولم يزل ذلك

الانس يبسطه والسرور ينشطه حتى نشرلى ماطواه وبث مكتوم لوعته وجواه واعلمني بلياليه فيها مع أترابه وماقني بها من أطرابه وكان هذا المنزل أشهى اليه من سواه وأخص بهواه لانه كان كالقابر به مسرفا في حبه وفيه يقول وقدمات باغمات (طويل)

أرقت أكف الدمع طورا واسفح * وأنضح خدي تارة ثم أمسح
وذو نك طماح من الماء مائح * يعب ومغبر من البيد أفيح
واني اذا ما الليل جاء بفحمة * لاورى زناد الهم فيها فأقدح
واتبع طيب الذكر انه موجع * فينفح هذا حيث هاتيك تلفح
وألقى بياض الصبح بسود وحشة * فأحسبني أمسى على حين أصبح
ويوحشني ناع من الليل ناعب * فازجر منه بارحا ليس يبرح
وأستقبل الدنيا بذكر محمد * فيقبح في عيني ماكان يملح
وأشفق من موت الصبا ثم انني * لآمل ان الله يعفو ويصفح
غلام كما استحسنت جانب هضبة * ولان على طش من الماء أبطح
أقول وقدوافى كتاب نعيه * يجمجم في ألفاظه فيصرح
أرام باغمات يسدد سهمه * فيرمى وقلب بالجزيرة يجرح
فيالغريب فاجأته منية * أتته على عهد الشباب تجلح
كان لهيبا بين جنبي واقدا * به ورد كابا بين جفني تمح
جلست أسوم الدهر فيه ملامة * وكنت كما قد دقت أثني وأمدح
غريقا ببحر الدمع والهم والدجا * ولو كان بحرا واحدا كنت أسبح
ففي ناظري لليل مربط أدهم * وفي وجنتي للصبح أشهب يجمح
اذا كان قصد الانس بالالف وحشة * فما أشتهي أني أسر فأفرح
فياعارضا يستقبل الليل والبلا * ويسرى فيطوى الاطولين ويمسح
تحمل الى قبر الغريب مزادة * من الدمع تندى حيث سرت وتنضح
وطيب سلام يعبر البحر دونه * فينبدى وازهار البطاح فتنفح
وعرج على قبر الحبيب بنظرة * تراه بها عيني هنالك وتلمح

(وله) في وردة طرأت في غير أوانها (كامل)

وغريبة هشت الى غريبة * فوددت لونسخ الضياء ظلاما

طرأت على مع المشيب تشوقنى * شيخا كما كانت تشوق غلاما
مقبولة أقبلتها عن لوعـــــة * نظرا يكون اذا اعتبرت كلاما
عـذرت وقد أجللتها عن نشوة * كبرا وأوسعت الزمان ملاما
عقبت وقد حن الربيع على النوى * كرما فأهداها الى سلاما

(وكانت) بضفة الجزيرة أيكة يانعة وكان هو ومن يهواه يقعدان لديها ويوسدان خدودهما أرديها فتربها ومحبوبه قد طواه الردى ولواه عن ذلك المنتدى فتذكر ذلك العهد وجماله وأنكر صبره لفقده واحتماله فقال (طويل)

الا ذكرتنى العهد بالانس أيكة * فأذكرتها نوح الحمام المطوق
وأبكيت أبكى بين وجد اناخ بى * حديث وعهد للشبيبة مخلق
وأنشق انفاس الرياح تعللا * فأعدم فيها طيب ذاك التنشق
ولما علت وجه النهار كآبة * ودارت به للشمس نظرة مشفق
عطفت على الاجداث أجهش تارة * وألثم طورا تربها من تشوق
وقلت لمغف لايهب من الكرى * وقد بت من وجد بليل المؤرق
لقد صدعت أيدى الحوادث شملنا * فهل من تلاق بعد هذا التفرق
* وان تك للغلمين ثم التقاءة * فياليت شعرى أين أو كيف نلتقى
فأعـزز علينا ان تباعد بيننا * فلم يدر ما ألقى ولم أدر ما لقى

(وله) يتوجع لفقد الشباب (طويل)

أما وشباب قد ترامت به النوى * فأرسلت فى أعقابه نظرة عبرى
لقد ركبت ظهر السرى بى نومة * فأصبحت فى أرض وقد بت فى أخرى
فها أنا لانفس تخف بها المنى * فتلهى ولا سمع تطور به بشرى
أقلب جفنا لايجف فكلما * تأوهت عن شكوى تأملت بى سكرى
وانى اذا ما شاقنى لحمامة * رنين وهزتنى لبارقة ذكرى
لأجمع بين الماء والنار لوعة * فمن مقلة ريا ومن كبد حرا
وقد خف خطب الشيب فى جانب الردى * فصارت به الصغرى التى كانت الكبرى
وللشعر عندى كلما ندب الصبا * فأبكى محل ألحق الشعر بالشعرى
فليت حديثا للحداثة لوجرى * فسلى وطيف للشبيبة لو أسرى

(وله) يستطيل الليل (مجتث)

يا ليل وجد بنجد * أما الطيف مسرى
وما لدمعى طليقا * وأنجم الجو أسرى
وقد طمى بحر ليل * لم يعقب المد جزرا
لا يعبر الطرف فيه * غير المجرة جسرا

وله فى الشقيق (كامل)

يا حبذا والبرق يزحف بكرة * جيشا رحيق دونه وحريق
حتى اذا ولى وأسلم عنوة * ما شئت من سهل وذروة نيق
أخذ الربيع عليه كل ثنية * فبكل مرقبة لواء شقيق

وله مما يتعلق بصفة نار (كامل)

ومعين ماء البشر أبرق هشه * فكرعت من صفحاته فى مشرب
متهلل يندى حياء وجهه * فتراه بين مفضض ومذهب
أنضى الحسام حسادة فغرنده * دمع ترقرق فوقه لم يسكب
خيمت منه بين طود شامخ * نال السماء وبين روض معشب
تهفو به نار القرى فكأنها * مهما عشا ضيف اليها تطرب
حمراء نازعت الظلام رداءه * وهنا وزاحمت السماء بمنكب
ضربت سماء من دخان فوقها * لم تدر فيها شعلة من كوكب
وتنفست عن كل لفحة جمرة * باتت لها زيح الشمال بمرقب
مشبوبة وكأنما هى زفرة * من محنق أو نظرة من مغضب
قد ألهبت فتذهبت فكأنها * لسكون شرر شرارها لم تلهب
تذكو وراء رمادها فكأنها * شقراء تمرح فى عجاج أكهب
والليل قد ولى يقلص برده * كبرا ويسحب ذيله فى المغرب
وكأنما نجم الثريا صرة * وكف تمسح من معاطف أشهب

(ووصلت شاطبة فى فطر سنة عشر وخمسمائة) والامير أبو اسحق ابراهيم بن يوسف بن تاشفين أيده الله معيد بها ومجدد ذاهب رتبها وكان عيدا كان عهد أهلها به بعيدة بل لم يعهد بالقطر شبيهه ولم يحضر مثله خامله ولا نبيهه وكان ابن خفاجة هذا حاضر الاستنجاز وعده بالتوقيع على صك يحذى نعاله من عنده فلما كان يوم العيد واحتفل جمعه واحتشد قام أبو اسحق وأنشد (طويل)

سمعت وقد غنى الحمام فرجعا * وما كنت لولا أن تغنى لاسجعا
وأندب عهدا بالمشقر سالفا * وظل غمام للصبا قد تقشعا
ولم أدر ما أبكى أرسم شبيبة * عفا أم مصيفا من سليمى ومربعا
وأوجع توديع الاحبة فرقة * شباب على رغم الاحبة ودعا
وما كان أشهى ذلك الليل مرقدا * وأندى محياذاك الصبح مطلعا
وأقصر ذاك العهد يوما وليلة * وأطيب ذاك العيش ظلا ومكرعا
زمان تقضى غير ذكر معاهد * يسوم حصاة القلب أن تتصدعا
تحولت عنه لا اختيارا ورعا * وجعت على طول التلذذ أخدعا
ومن لى ببرد الريح من أبرق الحمى * وريا الخزامى من أجارع لعلعا
وقد فات ذاك العهد الا تذكرا * لوانى على ظهر المطية توجعا
وكنت جليد القلب والشمل جامع * فالنفض حتى خان فارض أدمعا
وبلت نجادى عبرة مستهلة * أكفكف عهنا بالبنان تصنعا
وانى وعينى بالظلام كحيلة * لآبى لجنبى أن يلائم مضجعا
وابأى بنفسى ان أرى الصبح أبيضا * بعين ترى ربع الشبيبة بلقعا
كأنى لم أذهب مع اللهو ليلة * ولم أتعاط البابلى المشعشعا
ولم أتخايل بين ظل لسرحة * ومصبع لغرّيد وماء بأجرعا
ولم أرم آمالى بأزرق صائب * وأبيض بسام وأسمر أصلعا
وأبلق خوار العنان مطهم * طويل الشوى والشأو أقود أتلعا
جرى وجرى البرق اليمانى عشية * فأبطأ عنه البرق عجزا وأسرعا
كأن سحابا أسحما تحت لبده * تضاحك عن برق سرى فتصدعا
وحسب الاعادى منه أن يزجروا به * مغيرا عرابا صبح الحى أبقعا
كأن على عطفيه من خلع السرى * قميص ظلام بالصباح مرقعا
ركضت به بحرا تدفق مائجا * وأقبلت ام الرأل نكباء زعزعا
يؤلل من اذن فاذن تشوقا * الى صرخة من هاتف وتطلعا
كأن له من عامل الرمح هاديا * منيعا ومن ذلق الاسنة مسمعا
ولما انتهى ذكر الامير استخفه * فخفض من لحن الصهيل ورفعا
حنينا الى الملك الاعز مرددا * ونجوا على المسرى القصى مرجعا

فعن حب ابراهيم أعرب صاهلا * وفى نصر ابراهيم كبر تشبعا
امام يباهى الحمد وشيامذهبا * به وبرأس المجد تاجا مرصعا
عشيت به أندى من المزن راحة * وأطيب أفياء وأمرع مربعا
طمى الجود فى يمناه بحرا وربما * تدفق فى أرجائه فتدفعا
وغذى نداه الغيث فانهل واكفا * وحسبك من سقياه أن أصبح ممرعا
فرب حديث عن علاه سمعته * وماطار البشرى بأحسن مسمعا
فيا شائمى برق توضح موهنا * وقعقع ارعاد بنجد فأطمعا
اذا كف من قطريكما عارض الندى * وانكما برق البشاشة فاربعا
فان أبا اسحق أخصب تلعة * وأشهى مدى ظل وأعذب مربعا
وحسبكما أن قد تأسى به الحيا * فعاود من رجواه ما كان أقلعا
وعز الهدى منه بأوحد أمجد * طويل نجاد السيف أبلج أدرعا
أحمل به العود اليبيس سماحة * وأخدم مطرود الظبى لا توزعا
اذا دب أخفى من حبال مكيدة * يصوب أبرى من شهاب وأسرعا
وما السيف فى كف الكمى مجردا * بأسطى وراء النقع منه وأسطعا
دعاباسمه داعى الحفيظة والندى * فلبى على شرخ الشباب وأهطعا
وهب كما هب الحسام استقامة * وعب كما عب الخضم تبرعا
وجر به ذيل الخميس ابن غابه * تردى غلاما بالعلا وتلفعا
وداس العدى ركضا وأجرى الوغى دما * بأطوع من يمناه فعلا وأطبعا
ولما تدرى منهما النصل منطقا * سديدا فريدا أوحيدا مقطعا
فبيد فى ذات المكارم والنهى * ورد فى جنب الاله ورفعا
وخفض من صوت الابى وصيته * وزلزل من ذكر العصى وضعضعا
وألقت اليه بالمقادة قادة * تطامن من أعراقها ماترفعا
وذال من أخلاقه كل ريض * وأصحب خوار الشكيمة طيعا
فمن مبلغ الايام عنى أننى * تبوأت منه حيث شئت تمتعا
وطرت ثناه واطلعت ثنية * فأسرفت ايضاعا وأشرفت موضعا
وهل بقيت للنفس الاطلاعة * الى القلم الاعلى بحظ موقعا
فما القمر السارى بأجمل غرة * ولا الوابل الغادى بأكرم مصنعا

وهنّت عبدا قد تلقاك قادما * ولم يك لولا أن طلعت ليطلعا
وحسبك جدّ قد أظلك خادما * فما هو الا أن تقول فيسمعا
وحيّاك من فرع لأشرف دوحة * نسيم كأنفاس العذارى تضوّعا
يلاعب من خوط الأراك معاطفا * ويسح من مسرى الغمامة أدمعا

وله فى الاخذ بحظ من الجد والهزل والزهد والغزل (منسرح)

قل للقبيح الفعال يا حسنا * ملأت جفنى ظلمة وسنا
فاسمح لطرفك الشجى أملا * فاسم عيوق ذلك الوسنا
انى وان كنت هضبة جلدا * اهتز للحسن لوعة غصنا
قسوت بأساوانت مكرمة * لم ألتزم حالة ولا سننا
لست أحب الجود فى رجل * تحسبه من جوده وثنا
لم يكحل السهد جفنه كلفا * ولا طوى جسمه الغرام ضنى
عمن عصى داعى الهوى فقسا * وكان صلدا من الصفا خشنا
فلى فؤاد أرق من قطبة * يأبى الدنايا ويعشق الحسنا
طورا منيب وتارة غزل * يبكى الخطايا ويندب الدمنا
اذا اعترت خشية شكا فبكى * أو انتحت راحة دنا لجنا
كأنى غصن بانة خضل * تثنيه ريح الصبا هنا وهنا

* (الاديب أبو محمد عبد الجليل بن وهبون المرسى رحمه الله تعالى) *

أحد الفحول البرى من المطروق والمنحول تفتحت كمائم رويته عن زهر المعانى وأبدت قصائده غرض المدارى لها المعانى فما بين فى معناه اتصلال معاقد ولا تلين قناته لغمز ناقد مع أدب منساب تفرع من دوحتى روية واكتساب وكان بينه وبين ابن عمار ذمام تذكره لما أسهل وأعاد معه اذ ذاك الجهل فأعلقه بدولته وألحقه بجملته ونفقه بعد الكساد وطوقه من استخلاصه ما أغاظ به الحساد كان يعتقد تقدمه ويعقد بنواصى الشعراء قدمه الا انه مع تمييزه له بالاحظاء وتجويزه اياه عند الاقتضاء لم يوصله عند المعتمد الى حظ ولم ينله منه الاكرة لحظ فمن بديعه الحسن ومطبوعه المستحسن انه ركب باشبيلية زورقا فى النهر الذى لا تدانيه المسرات ولا يضاهيه الفرات فى ليلة تنقبت بظلمتها ولم يسد وضح فى دهمتها وبين أيديهم شمعتان قد انعكس شعاعهما فى اللجة وزاد فى تلك البهجة

فقال مرتجلا فى الحين (منسرح)

كأنما الشمعتان اذ سمتا * جيد غلام محسن الغيد
وفى حشى النهر من شعاعهما * طريق نار الهوى الى كبدى

وكان معه غلام البكرى معاطيا للراح وجاريا فى ميدان ذلك المراح فلما جاء عبد الجليل بما جاء وحلى للابداع الجوانب والارجاء حسده على ذلك الارتجال وقال بين البطء والاستعجال (كامل)

أعجب بمنظر ليلة ليلاء * تجنى بها اللذات فوق الماء
فى زورق يزهى بغرة أغيد * يختال مثل البانة الغيناء
قرنت يداه الشمعتين بوجهه * كالبدر بين النسر والجوزاء
والتاج تحت الماء ضوء جبينه * كالبرق يخفق فى غمام سماء

وساير الوزير الاستاذ أبا بكر بن القبطرنة وهو غلام يعار بمجتليه ويغار غصن البان من تثنيه وقد وضع عنانه فى شماله وتضوع عرف آماله والناس ينظرون هلال شوال فقال (خفيف)

يا هلال استتر بوجهك عنى * ان مولاك قابض بشمالى
هل تحكى سناه خدا بخد * ثم تجنى لقده بمثال

وله من قصيدة فريدة (بسيط)

بينى وبين الليالى همة جلل * لونالها البدر لاستخذى له زحل
سراب كل يباب عندها شنب * وهول كل ظلام عندها كحل
من أين أبخس لا فى ساعدى قصر * عن المعالى ولا فى مقولى خطل
ذنبى الى الدهر فلتكره سجيته * ذنب الحسام اذا ما أحجم البطل

ومن هذه القصيدة وهو بديع فى بابه

جيش فوارسه بيض كأنصله * وخيله كالقنا عسالة ذبل
أشباه ما اعتقلوه من ذوابلهم * فالحرب جاهلة من منهم الاسل
يمشى على الارض منهم كل ذى مرح * كأنما التيه فى أعطافه كسل

ودخل المرية وقد أحرج المعتمد على الله واضجره حتى أبعده وهجره فلما كان يوم العيد وحضر المعتصم شعراؤه واجتمع كتابه ووزراؤه بعث فى عبد الجليل فتأخر وزرى بالحال وسخر وقال أبعد المعتمد أحضر منتدى أو أسع طرجودا

أوندى وهل تروق الاعياد الا في فنائه أو تحسن الامداح الا في سنائه ثم قال (طويل)

دنا العيد لو تدنو الثناء كعبة المنى * وركن المعالى من ذؤابة يعرب
فوا أسفا الشعر ترمى جماره * ويا بعد ما بينى وبين المحصب

وكان كلفا بالغلمان مكتفيا بين الخوف والامان فان الانفراد بهم كان عليه محجورا وكان من أجلهم ممقوتا ومهجورا فانه اشتهر في حبهم أشد اشتهار واستظهر على كلفه بهم بالشغف والاقتدار فعلق بغلام باشبيلية علاقة لم تدع له مجالا ولم تبق له روية ولا ارتجالا فبيناهو يستدنى منه عطفة المساعد ويجتنى زهرات المنى بساحات المواعد سنحت له رحلة ما أمهلته ولا راعه منها الا كل روعة اذهلته فقال وما عطل من حلى الابداع ذلك المقال (كامل)

ان سرت عنك فان بديك قيادى * أو بنت عنك فان بين فؤادى
صيرت فكرى في بعادك مؤنسى * وجعلت حظى من بعادك زادى
وعلى أن أذرى دموعى ان أنا * أبصرت شبهك في سبيل بعادى
كم في طريقي من قضيب يانع * أبكى عليه ومن صباح باد
تلقاك في طي النسيم تحيتى * وبصوب في ديم الغمام ودادى

وله في غلام وسيم كان يشاربه فنام وتقلد سمطا من در العرق شاربه (بسيط)

وشادن قد كساه الروض حلته * يستوقف العين بين الغصن والكثب
مموه الحسن لم يعدم مقبله * في خده رونقا من ذلك الشنب
تدعو الى حبه لمياء كالمها * زبرجد النبت يجلو لؤلؤ الحبب

وعلق باشبيلية بأحد فتيانها وأنجد أعيانها وكان أجمل من جال في خلد واستطال على جلد وهام به هيام الاحوص بدعد والرعى بهند بنى سعد وكان الفتى ينافر وصله ويطرد في مباعدته أصله الى ان أطل شعر عارضه وذل لمعارضه فعاد الى مساعدته واستعاذ بدنوه من مباعدته فقال (بسيط)

يانوم عاود جفونا طالما سهرت * فان باعث وجدى رق لى ورثى
عانقته وهلال الافق مطلع * فعاد من حسدى حيران مكترثا
وكان للحسن سر فيه مكتتم * وشى به ناظرى من طول ما عبثا
لام يدل على بلبال مبصره * مازال يبعث وجدى كلما انبعثا

من آل مذحج في شخص كانت به * لم ينقض العهد من ودّى ولا نكثا

وله يتغزل (كامل)

أهوى سكيران اللواحظ مارنا * الا واسكر كل قلب صاح
أمل من الآمال أحور أهيف * خلعت عليه لطافة الارواح
متجند جعل الفؤاد وطيه * ولحاظه بدلا من الارماح
علمته سفك الدماء بمهجتى * وتركته يجنى بغير جناح

وله يصف بازيا (منسرح)

وصارم فى يديك منصلت * لو كان للسيف فى الوغى روح
يجتاب مما لبست ضافية * لها على معطفيه توشيح
متقد اللحظ من شهامته * فالجو من ناظريه مجروح
والريح تهفو كانما طلبت * سليلها فى يمينك الريح

وله يصف حرشفة (طويل)

وحرشفة ان كنت ذا قدرة على * تفوذ الى ذاك الجنى الحلو فانفذ
كانى قد توجت منها بيضة * وقد وضعت للصون فى جلد قنفذ

وله وقد اجتاز على قرن وبيده مرتبطة بيد أحد فتيان أهل اشبيلية يسمى ربيعا فقال له صف لنا هذا القرن فقال (خفيف)

رب قرن رأيته بتلقى * وربيع مخالطى وعقيدى
قال شبه فقلت صدر حسود * خالطته مكارم المحسود

وله يتغزل (طويل)

سقى فسقى الله الزمان من اجله * بكاسين من لميائه وعقاره
وحيا فحيا الله زهرا أتى به * بآسين من ريحانه وعذاره

* (الاديب أبو بكر الدانى المعروف بابن اللبانة رحمه الله تعالى) *

المديد الباع الفريد الانطباع الذى ملك للمحاسن مقادا وغدا له البديع منقادا أى مقال ينبئ عن معناه وفصله وأى ارتقال ينتهى الى مداه وخصله وقد شدا فما بشرك وبذفما يدرك رقى الى ما أحبه وقطع سنام كل معارض وجبه وتقلد التنظام حسا ما لاتنبو مضاربه ولا دغرضا الا يدانيه أحد ولا يقاربه فبدا سابقا وغدا لفظه لمعناه مطابقا (وقد أثبت) له ما تبصر له لمعا وشروفا وتبصر

غصنه ناعما وريقا كأن المعتمد على الله يعزه بالتقريب ويستعذب ما يأتي به من النادر الغريب ويوليه انعاما واحسانا ويريه الزمان كله أذارا ونيسانا فلما نبت صعاده وأعوزه من دهره اسعاده ورحل به الى المغرب وحل فيه محل النازح المغترب وغدرته الايام غدر أهل خراسان لقتيبة وفيه أبو بكر بالرسالة اليه وفاء الظعينة لعتيبة وتراسلا هنالك بأشعار شفي بها المعتمد نفسه واستوفى سلوه وانسه وشكر له ما ناله من صلاته وجدد عقد موالاته وصار له بذلك حق مشهور وفخر لا تبليه الدهور (وقد أوردنا) من ذلك في اخبار المعتمد أعدل شاهد ووصفنا تلك المحاضر والمشاهد ومن بديع قوله يتغزل (وافر)

تولى السرب خيفة من بليه * وأفلت من حبائل قانصيه
على شرف الحبيلة كأن حتى * توجس نبأة من خاتليه
فمر على مهب الريح يعدو * بأسرع من مدامع عاشقيه
تعاق آخر البطحاء هضبا * تأمل منه خيبة آمليه
وصادف عنده مرعى مريعا * فأصبح يشرئب ويرتعيه
توجه حيث لم تفق خطاه * بمسروب الى آل الوجيه
عباع الاديم يكاد يفنى * بنقبته لواحظ مبصريه

ودخل ميورقة في عهد ناصرها وسلامة مقاصرها وهي باهرة الجمال عاطرة الصبا والشمال تقيد الناظر ببهجتها وتنبه بندى ملكها على بلجتها فتلقاه ناصر الدولة بمعهود اجماله وصدق له ظنون آماله فقال يمدحه (كامل)

حنيت جوانحه على جمر الغضى * لما رأى برقا أضاء بذى الاضا
واشتم في ريح الصبا أرج الصبا * فقضي حقوق الشوق فيه بان قضى
والتف في حبراته فحسبتها * من فوق عطفيه رداء فضفضا
قالوا الخيال حبائه لو زاره * قلت الحقيقة قلتم لو غمضا
يهوى العقيق وساكنيه وان يكن * خبر العقيق وساكنيه قد انقضى
وبود عودته الى ما اعتاده * ولقلما عاد الشباب وقد مضى
ألف السرى فكأن نجما ثاقبا * صدع الدجا منه وبرقا مومضا
طلب الغنى من ليله ونهاره * فلدعلى القمرين مال يقتضى
مهما بدت شمس يكون مذهبا * واذا بدا بدر يكون مفضضا

هـذا أفاد وفاد غير مقصر * جهد المقل بان يموت مفوضا
ولربة ربة حانة نبهتها * والجو لؤلؤ هاله قد رضرضا
وقد انطفت نار القرى وبقي على * مسك الدجا مذرور كافور الفضا
والليل قد سدى وألحم ثوبه * والفجر يرسل فيه خيطا أبيضا
ومتى ركبت لها أعالي ايكة * نشرت جناحا للرياح معرضا
والبصر يسكن خيفة من ناصر * أرضى الرياسة بعد موت المرتضى
ملك سمت علياه حتى دوحت * وذكا ثرى نعماه حتى روضا
ماء الغمائم جرعة مما سقى * وسنا الاهلة خلعة مما انضا
خفقت عليه راية وذؤابة * فكأن صلا نحو صل نفنضا

وكان المرتضى رحمه الله هو الذى أورث ناصر الدولة الملك ونظم بابيته ذلك السلك فلم يكفر يده ولم ينثن عن مجازاة ماقلده ولم يزل يتعهد ساقته ويتفقدها ويبر من كان يوالى دولته ويعتقدها الى ان ماتت أخته فاحتفل فى جنازتها احتفالا شكر فيه فعله ومشى الى لحدها ومارکب الانعله وندب الشعراء الى رثائها وتأبينها وايضاح فضائلها وتبيينها فقام أبو بكر على قبرها وقال (طويل)

أبنت الهدى جددت منعا علا منعا * مضى المرتضى أصلا وأتبعته فرعا
جرى الموت جرى الريح فى منبتيكما * فأذواك ريحانا وكسره نبعا
على نسق جاء المصاب واغا * تقدم وترا ثم أتبعته شفعا

وقال يمدحه بقصيدة أولها (كامل)

هلا ثناك على قلب مشفق * فترى فراشا فى فراش يحرق
أنت المنية والمنى فيك استوى * ظل الغمامة والهجير المحرق
لك قد ذابلة الوشيج ولونها * لكن سنانك أكحل لا أزرق
ويقال انك أيكة حتى اذا * غنيت قيل هو الحمام الاورق
يامن رشقت الى السلو فردنى * سبقت جفونك كل سهم يرشق
لو فى يدى سحر وعندى أخذة * لحللت قلبك بعض حين يعشق
جسدى من الاعداء فيك لانه * لا يستبين لطرف طيف يرمق
لم يدر طيفك موضعى من مضجعى * فعذرته فى أنه لا يطرق
جفت لديك منابعى ومنابتى * فالدمع ينبع والصبابة تورق

وكأن اعلام الامير مبشر * نشرت على قلبي فاصبح يخفق
الخيزرانة تلتظي في كفه * والتاج فوق جبينه يتألق
وكأن صوب حيا وصعقة بارق * ماضم منه نديه والمارق
متباعد الطرفين جود غافل * عما يحل به وعزم مطرق
ماس كما جد الحديد وراءه * كرم يسيل كما يسيل الزيبق
لاتعجب الاملاك كثرة مالهم * النبع أصلب والاراك أورق
ضدان فيه لمعتد ولمعتف * السيف يجمع والعطاء يفرق

ومنها
وبنو الحروب على الجراجى التي * تردى كما تردى الجياد السبق
خاضت غدير الماء سابحة به * فكأنما هي في سراب أينق
ملأ الكماة ظهورها وبطونها * فأتت كما يأتي السحاب المغدق

وله (وافر)

رأت بك أوجه العلياء فاها * وعاد على لواحظها كراها
وجاءت فيك ألسنة المعالي * بآيات تشرف من تلاها
سواك يسير في أرض فأما * خطاك فبالمجرة لاسواها
كأن الشهب اذ تجرى لسعد * تخط لك الطريق على ذراها

وله أيضا (طويل)

بكت عند توديعي فما علم الركب * اذاك سقيط الدر أم لؤلؤ رطب
وتابعها سرب وانى لمخطئ * نجوم الدياجى لايقال لها سرب
لئن وقفت شمس النهار ليوشع * فقد وقفت شمس الهدى لى والشهب
عقيلة بيت المجد لم ترها النجا * ولا لمحتها الشمس وهى لها ترب
ظبي الهند مماذب عنها وانما * تلطف لى فيها بخدعته الحب
سرت وبروج النيرات قبابها * وقدامها من كل خاطفة قب
وما دخلت الا المجرة واديا * فليس لها الا باعطانها شرب
وبحر سوى بحر الهوى قد ركبته * لامر كلا البحرين مركبه صعب
غريب على جنبى غراب نهوضه * بقادمتي ورقاء مطلبها شعب
كأنى قذى في مقلة وهو ناظر * بها والمجاذيف التي حولها هدب
ولما رأت عيني جناب مبورق * أمنت وحسب المرء بغيته حسب

نزلت

نزلت بكافور وتبر وجوهر * يقال لها الحصباء والرمل والترب

وقلت المكان الرحب ابن فقيل لى * ذرا ناصر العلياء أجمعه رحب

وسعى به الى ناصر الدولة وبغى ونبذ حق نباهته والغى فقرع انقطاعه ولا جوزى احسانه ولا ابداعه وهجر هجر الجرب وأقام مقام الحائر المضطرب وكانت عادة ناصر الدولة فى غير طائر ولا ضيف النفى أو السيف فلم يقع مع أبى بكر فى أحدهما باب ولا أغبه جزع ولا ارتياب فكتب اليه يستمرحه (متقارب)

عسى رأفة فى سراح كريم * أبلّ ببرد نداه الغليلا

وعلى أراح من الطالبين * فاسكن للأمن ظلا ظليلا

ومن بله الغيث فى بطن واد * وبات فلا يأمن السيولا

لقد أوقدوا لى نيرانهم * فصير لى الله فيها الخليلا

أفز بنفسى وان أصبحت * ميورق مصر وجدوا النيلا

وقال يمدحه (كامل)

عرّج بمنعرجات واديهم عسى * تلقاهم نزلوا الكثيب الاوعسا

أطلبهم حيث الرياض تفتحت * والريح فاحت والصباح تنفسا

مثل وجوههم بدورا طلعا * وتخيل الخيلان شهبا كنسا

واذا أردت تنعما بقدودهم * فاهصر بنعمان الغصون الميسا

بأبى غزال منهم لم يتخذ * الا القنا من بعد قلبى مكنسا

لبس الحديد على لجين أديمه * فعجبت من صبح توشح حندسا

وأتى يجر ذوائبا وذوابلا * فرأيت روضا بالصلال تحرسا

لا ترهب السيف الصقيل بكفه * وارهب بعارضه العذار الا ماسا

رام العدا قتلى عليه فقتهم * والنجم ليس يمكن ان يلمسا

وفككت بغيهم وفزت وهكذا * فك الصحيفة خاص المتلمسا

كابد الى العز الهجير ولا تكن * فى الذل ما بين الظلال معرسا

واذا وصلت الى الامير مبشرا * فاجعل بساطك فى ذراه السندسا

نوع وجنس فى مناك فانه * ملك تنوع فى العلا وتجنسا

وكان بينه وبين وزيره أبى القاسم ذمام ائتلاف ومعاطاة سلاف وروحات والنهار بكر وراحات راح السرور عليها وابتكر ووداد أشبه عصر الشباب

وعهد أقفر من التعاهد حتى عاد كالقفر اليباب فلما وصل ميورقة تجدد دارسه وعادت آجاما مكانسه فكان أبو بكر يظن ان تلك الموات تنفقه وان كيده يخلصه وان حصل فى لهوات الاسد ولم يعلم ان لاجديد لمن تخلقه الايام قبله ولم يسمع وحدث الناس اخبر تقله فلما تغيرله ناصر الدولة وتنكر ورأى من قعود أبى القاسم عنه ما أنكر هب من غفلته واحتال فى نقلته فلاذ بالفرار وعاذ ببنى حماد بحكم الاضطرار وجعل يستنزله ويستعطفه ويداريه من هنالك ويستلطفه ليبتز باعادته وصرفه الى عادته بكل مقال يحل عاقد الاحقاد ولا تلين قناته لغمز الانتقاد فمن بديع ذلك قوله (متقارب)

نسيبك حسام لاينبرى * وطيفك حسام لايعترى
أعيذك من عرض ان يكون * وأنت الذى كنت من جوهر
أتذكر أيامنا بالحمى * وأيامنا بذوى الاعصر
الارأفة من وفى صفى * الاعطفة من سنى سرى
رمى زحل فى أظفاره * وحل بداعى المشترى
عطارد هل لك من عودة * فأرجع منك الى عنصرى
سيطلبنى الملك مهما أراد * لباس نسيج من المفخر
ولو ان كل حصاة تزين * لما جعل الفضل للجوهر

فلم يراجعه بحرف ولم يطالعه بنفس منه ولا عرف فكتب اليه (طويل)

أذكر من لم ينس عهدا ولا نسى * وأبسط فى اكناف ساحته النفسا
وأنشئها خلقا جديدا واغتدى * بظل علاء اغتدى معه الانسا
وألبس ريعان الشباب وطالما * لبست الخطوب السود ماذية ورسا
وانى واياه لمزن وروضة * يباكرنى سقيا وأزكوله غرسا
صفا بيننا من خالص الود جوهر * غلبناه فى نور جوهرها الشمسا
وما انا الا من علاه مكون * غدوت له نوعا وأصبح لى جنسا
مكارمه مرعى الى جنب معقل * أرود اذا أضحى وآوى اذا أمسى
وأورد خمسا كل يوم بمائه * وكم لى دهر قد مضى لم أرد خمسا
أبا القاسم اشرب قهوة العز وانتقل * ثناى ومن فضل الكؤس اسقنى كأسا
وخذ بيدى من عثرة قصرت يدى * وكنت أخا بأس فلم تبق لى بأسا

رميت لها فضفاضتي ومهندي * وخطيّي والنبل والقوس والترسا
ثغور المعالي قابلتك ضواحكا * فمل لثمها وامصص مراشفها اللعسا
وأجيادها مالت عليك نواعما * كما مالت الاغصان فانعم بها لمسا
ولا ذكر في الافواه حاشاك انما * صفاتك آيات ولعنا بها درسا
اليك بها درّا تلقب أحرفا * وقطعة ديباج بسمونها طرسا
وفضلك في الاعضاء عما بعثته * فليس يجيد الشعر من عدم الحسا

ولما نوى الانفصال خاف الانتهاب والاستئصال فأراد أن يكتم ذلك الفرار ويطوى اعلانه في الاسرار وخشي أن يفطن لخروجه ويطلع عليه من خلال فروجه فعزم على موادعة بعض الاخوان ومطالعة ما في ذلك الخوان فكتب اليهم (وافر)

أقول تحية وهي الوداع * خداعا لي ومايغني الخداع
أعلل بالمنى قلبا شجاعا * وان يُعلل القلب الشجاع
وأزل لجيرة جاروا وشدوا * أضاعوني وأي فتى أضاعوا
اذا لم يرع لي أدب وبأس * فلا اطال الحسام ولا اليراع
لقد باعتني الايام بخسا * وعهدي بالذخائر لا تباع
أجفتني فلم ينبت ربيع * وحطتني فلم يثبت يفاع
ومكنت العدا مني فعاثت * بلحمي ضعف ماعاثت السباع

ولما لم يراعلانه ونصر يحه ولم تلق اعصار ريحه أعلن بوداعه وفتن باحسانه وابداعه فقال يخاطب ناصر الدولة مودعا ومعاتبا (متقارب)

سلام على المجد يندى بليلا * كنشر الربا بكرة وأصيلا
سلام وكنت أقول الوداع * ولكن أدرج قلبي قليلا
أخاف عليه انصداع الصفاة * والا يكون زجاجا عليلا
جرحت لديك وكنت البرى * كما يجرح اللحظ خدّا أسيلا
ولولم أكن ماضي الشفرتين * لما فلني الدهر عضبا صقيلا
أتت ذلة منك مجبوبة * فلم أرض بالعز منها بديلا
تلقيت فيها سواد الخطوب * فأشبه عندي طرفا كحيلا

وله متغزلا في صاحب خيلان (كامل)

لحظ النجوم بمقلتيه فراعها * ما أبصرت من حسنه فتردت
فتساقطت في خده فنظرتها * عمدا بمقلة حاسد فاسودت

وله عند ما فارق المتوكل بطليوس (متقارب)

رضى المتوكل فارقته * فلم يرض بعده العالم
وكانت بطليوس لي جنة * فجئت بما جاءه آدم

وله يتغزل في صبي نساخ (كامل)

أبصرت أحمد ناسخا فرأيتما * أعيا وأعيا أن يحد ويوصفا
فكأنما منح السماء صحيفة * والليل حبرا والكواكب أحرفا

وله (سريع)

أبصرته قد صرف المشيه * لما بدت في خده النعبه
قد كتب الشعر على خده * أو كالذي مر على قريه

وله (متقارب)

غناء يلذ ولا أكؤس * تسكن من أنفس طائشه
وأعجب كيف شدا طائر * بروض منابته عاطشه

(الأديب الحكيم أبو الفضل بن شرف أعزه الله تعالى)

ناظم الناثر الكثير المعالي والمآثر الذى لايدرك شأوه ولا يترك اقتفاؤه واتباعه ان نثر رأيت بحرا يزخر وان نظم قلد الاجياد درا تتباهى به وتفخر وان تكلم في علوم الاوائل بهرج الاذهان والالباب وولج منها في كل باب وقد كان أول مانجم بالاندلس وظهر وتسمى بجودة القريض واشتهر تسدد اليه السهام وتنتقده الخواطر والاوهام فلا يصاب له غرض ولا يوجد في جوهر احسانه عرض وهو اليوم بدر هذه الآفاق وموقف الاختلاف والاتفاق مع جري في ميدان الطب الى منتهاه وتصرف بين سماكه وسهاه وتصانيف في الحكم ألف منها ما ألف وتقدم فيها وما تخلف فمنها كتابه المسمى بسر البر وربحونه الملقب بنجح النصح وسواها من تصانيف اشتمل عليها الاوان وحواها فمن حكمه قوله العالم مع العلم كالناظر للبحر يستعظم منه مايرى وماغاب عنه أكثر ومنها لولا التسويف لكثر العلم ومنها الفاضل في الزمن السوء كالمصباح في البراح قد كان يضيء لو تركته الرياح ومنها التمكن بالحال المتزائدة أغبط منك بالحال المتناهية فالقمر آخر

ابداره أول ادباره ومنها لتمكن بتملك أغبط منك بكثير غيرك فان الحي برجليه وهما اثنتان أقوى من الميت على أقدام الجلة وهي ثمان ومنها المتلبس بمال السلطان كالسفينة في البحران أدخلت بعضه في جوفها أدخل جميعها في جوفه ومنها التعليم فلاحة الاذهان وليست كل أرض منبتة ومنها الحازم من شك فروّى وأيقن فبادر ومنها قول الحق من كرم العنصر كالمرآة كلما كرم حديدها أرت دقائق الصفات ومنها رب سامح بالعطاء على باخل بالقبول ومنها ليس المحروم من سأل فلم يعط وانما المحروم من أعطى فلم يأخذ ومنها يا ابن آدم تذم أهل زمانك وأنت منهم كانك وحدك البريء وجميعهم الجريء كلا بل جنيت وجنى عليك فذكرت ما لديهم ونسيت ما لديك ومنها اعلم ان الفاضل الذكي لا يرتفع أمره أو يظهر قدره كالسراج لا تظهر أنواره أو يرفع مناره والناقص الدنيء لا يبلغ نفعه الا بوضعه كهوجل السفينة لا ينتفع بضبطه الا بعد الغاية في حطه (وله فصل من رسالة) توسل الهم أعزك الله كتوسل الذمم ورب راق بوسيلة ذي اشتياق واستباق الى فضيلة رصد فقصد واحتشد فتحرى الرشد ولما طالع بك المجد من معالمه واينع لك الحمد من كمائمه فلاح محيا الفخر زاهرا وفاحت سحايا النشر عاطرا وأنار بأفقك منار الانوار ودار على قطبك مدار الفخار وخف لديك بالقلوب ارتياحها وطار اليك بالنفوس جناحها فجوامع الجوانح لديك حضور ونواظر الخواطر اليك سور وقد تخيلتك نظرات الغيوب وعمتك خطرات القلوب فحنت اليك حنين الفن الى صباه واهتزت اهتزاز الغصن الى صباه ولا غرو أن رمت اليك القلوب بأرواحها وتلفتت العيون بالتماحها فقد يرقب الصباح ويلمح القمر اللياح وليس على عاشق الفضل جناح (وكتب الى وزير) أطال الله بقاء الوزير الامجد الاجل الاوحد وأعلى مرتقاه في رفعة العز ومنعة الحرز الوزير الامجد دام عزه كالمطر الجواد يملأ الحياض وينبت الرياض بل كالقمر يقذف بالنور ويذهب بالديجور وقد تحفني من سناه وسقاني من سقياه بما أنار فأضوى وجاد فأروى فلله أيادي الوزير ما أزكاها بكل فناء وأسمعها لكل نداء حين رعى قصدي وهو مجتني ووعى صوتي وهو مختفي فالآن أدام الله رفعة الوزير أضرب بحسام اعتنائه جرده وآوى الى ذمام علائه وكده والله بفضله يديم نعماءه

وبعلى ارتقاءه حتى أظهر فى سمائه وأشتهر بأرفع أسمائه (ومن بديع قوله) فى قصيدة أولها (بسيط)

قامت تجرّ ذيول العصب والحبر * ضعيفة الخطو والميثاق والنظر
تخطو فتولى الحصى من حليها بِدَدا * وتخلط العنبر الوردى بالعفر
فيرى الحلى بما تسدبه من قلق * فى الوشم أو غصص تخفيه فى الازر
لم أدر هل حنق الخلخال من غضب * عليه أم لعب الزنار من أشر
تلفتت من طلى وسنان وابتسمت * عن واضح مثل نور الروضة العطر
ان نلت ريا لم أطمع بطعمه * لان روض الصبا نور بلا ثمر
ما للذ العين نوم بعد ما ذكرت * ليلا عمرناه بين الضال والسمر
تساقط الطل من فوق الغصون به * تساقط الدر فى اللبات والثغر
ومفرق الليل قد شابت ذوائبه * فبت أدعوله بالطول فى العمر
والليل يعجب والظلماء جانحة * من ساهر يشتكى لليل بالقصر
فبت أجزع من ليل لو انحسرت * تدعوا وأبخل من روض على سحر
يا من جفا بجفانى الطيف هجر لى * بأى عذر فعذر الضيف فى السهر
ذكرت بالسفح شملا غير منصدع * بالنائبات ونظما غير منتثر
بكل بيضاء خود خانها جلدت * من السكينة أوذابت من الخفر

ومنها فى وصف السيف

ان قلت نارا أتندى النار ملهبة * أو قلت ماء أيرمى الماء بالشرر

ومنها فى وصف الدرع

من كل ماذية أنى فيا عجبا * كيف استهانت بوقع الصارم الذكر

وله من قصيدة أخرى أولها (بسيط)

ما الرسم من حاجة المهرية الرسم * ولا مرام المطايا عند ذى ارم
ردى شبا الخط تهدين الركاب فما * بالبيد للركب من هاد ولا علم
حتى المطى توشدى فى دوائرها * هذا أوان اقتضاء الشد من زيم
ريعت لنبأة سامى السوط فالتفتت * صعرى الخدود الى سواقة حطم
تبت على صهوات الناجيات وقد * أخفت مروج المطايا صولة اللجم
منوطة بقوافى البيض راحته * كأنما اختلطت بالصارم الخذم

بتنا نكاتم طرف العين عن سنة * والطيف يستأذن الاجفان فى الحلم
معترسين باغفال البطاح لنا * تحت الوشيج مبيت الاسد فى الاجم
قامت تغبطنى بالحرص سالكة * بين السبيلين لم تقعد ولم تقم
ظنت بى العجز وارتابت فخاصمها * جور الزمان فلم تعذر ولم تلم
انى وان غرنى نيل المنى لارى * حرص الفتى خلة زيدت الى العدم
فما عكفت بآمالى على وثن * ولا سجدت باشعارى الى صنم
أهل المناظر والالباب خالية * لا يعدمون من الدنيا سوى الفهم
نالوا الحظوظ فحازوها موافقة * كما تقاسمت الايسار بالزلم
لما رأيت الليالى قد طبعن على * جدب الاسود وخصب الشاء والنعم
رجعت أضحك والاعوال أجدر بى * من ميسر كان فيه الفوز للبرم
تقلدتنى الليالى وهى مدبرة * كأننى صارم فى كف منهزم
ذهبت بالنفس لا ألوى على نشب * وان دعيت به ابن المجد والكرم
فللمصارع اطراف اليراع يد * بنت لى المجد بين السيف والقلم

ومن مديحها

وان أحمد فى الدنيا وان عظمت * لواحد مفرد فى عالم أمم
تهدى الملوك به من بعد ما نكصت * كما تراجع فل الجيش للعلم
رحب الذراع طويل الباع متضح * كأن غرته نار على علم
من الملوك الاولى اعتادت أوائلهم * سحب البرود ومسح المسك باللمم
زادت مرور الليالى بينهم شرفا * كالسيف يزداد ارهافا على القدم
تسنموا نكبات الدهر واختلطوا * مع الخطوب اختلاط البرء بالسقم
معوّق السيل لا تنفك راحته * من كف معتلق أو ثغر مستلم
مكارم حكمت فى ذاته يدها * فكدت أرحمها من سطوة الكرم
أضنى فؤادى وأوهاه تحملها * حتى وضعت يدى منه على ألمى
كأننى اذ أوالى قبل راحته * عجزت عن شكره حتى سددت فمى

ومن أخرى أولها (طويل)

سروا ما امتطوا الا الظلام ركائبا * ولا اتخذوا الا النجوم صواحبا
وقد وخطت ارماحهم مفرق الدجا * فبات باطراف الاسنة شائبا

وليل كعلى المنح جبنا سواده * كأنا امتطينا من دجاه الذوائبا
خبطنا به الظلماء حتى كأنما * ضربنا بأيدي العيس ابلا غرائبا
وركب كأن البيض أمست ضرائبا * لهم وهم أمسوا لهن ضرائبا
اذا أوبوا صاروا شموسا منيرة * وان أدلجوا أمسوا نجوما ثواقبا
طوال طوال الباع والخيل والقنا * تخالهم فوق الجياد أهاضبا
فما يحملون السمر الا عواليا * ولا يركبون الخيل الا سلاهبا
اذا اعتقلوا للطعن سمراء عواليا * أو انتضوا للضرب بيضا قواضبا
وطال بليل الدارهم أبت له * نجوم الدياجي أن تعود غواربا
ومذ وطئت أبناء مروان ذروة * من الشرق آلت لاتحب المغاربا
ثوابت في جو السماء تخالها * به البني عبد العزيز مناقبا

وله من أخرى أولها (بسيط)

أرح خطاك فعلى النجم قد نهبا * وقد قضى الشرق من وصل الدجا أربا
أثار كبنا من الظلماء جانحة * كأننا من دجاه نمتطي نوبا
سل النجوم هل ارتابت بصحبتنا * لما أثرن اليهن القنا السلبا
اذا استمرت بمجرى النجم سالكة * خالت المجرة من آثارها ندبا
تهفو الركاب فتهدينا أسنتنا * كأنما عارضت أطرافها الشهبا
وباتت الخيل يقدحن الحصى حنقا * حتى تضرم ذيل الليل والتهبا
تلك الفوارس لا تثني أعنتها * عن وجهة أو ينال السيف ما طلبا
باتوا على نشوة ما هاجها طرب * وقد أداروا بطاسات السرى نغبا
اذا أثاروا القنا عن جنح مظلمة * شالوا النجوم على أطرافها ذنبا

وله (وافر)

خيال زارني عند الصباح * وثغر الشرق يبسم عن أقاح
وقد حشر الصباح له ونادى * فأصغى النجم منه الى الصباح
وفاض على الكواكب وهو طام * فطار النسر مبلول الجناح
وزائرة طردت لها منامي * وقد عقد الكرى راحا براحي
وأدناها الهوى حتى أحلت * وباتت بين ريحان وراح
تهز الغصن في حقف مهيل * وتفري الليل عن قرلياح

واضنانى

واضنانى الهوى فنمت نحولى * وهل ينفى النحول على الصفاح
وقد حملت عب الحب ضعفى * تحمل الخصر الكفل الرداح
أحن الى رضابك وفيه برئى * كما حن العليل الى الصباح
وقد أحللت حبك من فؤادى * محل المال من أيدى الشحاح
سأفزع فى هواك الحسن صبرى * كما فزع الجبان الى السلاح
واقتدح الرغيبة من ركاب * براهن السرى برى القداح
تعنف ان رأت شأوا بعيدا * ومن ينفى الجواد عن الجماح
سرى جبنا به الظلماء حتى * سبقنا البائتين الى الصباح
اذا ونت الكواكب عن مداها * حفزناها بأطراف الرماح
ومن كان الوزير له ظهيرا * يسم راعبه فى حى لقاح
بحيث الرعى فى أحوى أحم * وحيث الورد فى شبم قراح
من القوم العزيزين أهل العلا والطول والنسب الصراح
أقاموا المجد فى سمك علىّ * ومدوا العز فى أرض فياح
فأوى كل عاف من ذراهم * الى بيض اللمى خضر البطاح
وقد قام العلا عنهم خطيبا * وصاح الجود حى على الفلاح
بأبنية وأعمدة طوال * وراحات وساحات فساح
أبا بكر كتمت علاك حلما * فنم على الربا طيب الفواح
فكم تحيى الموالى بامتنان * وكم تردى المعادى باجتياح
يمين ملكت رق المساعى * وكف أعذبت ماء السماح
وفضل لا يثيب الى نصيح * وجود لا يصيخ لقول لاح
وحلم أوسع الدنيا وقارا * وقد خفقت له خفق الجناح
لاعمى الفكر عن عيب الموالى * أصم الجود عن قول اللواح
فتى تجد الامانى فى يديه * وجود الرى فى الماء القراح
يجلى حادث الدنيا بوجه * كأن جبينه فلق الصباح
أضاء بوجهه أفق الدياجى * وقام بكفه علم النجاح
طلعت على العلا من كل باب * وحزت المجد من كل النواحى
وجاء بك الزمان على اكتهال * فكنت الروض فاح مع الرواح

فكنت للسيادة ذات بسط • وطرف للمعالى ذو طماح
غضبت لكل حق مستباح • ولم تغضب لمال مستباح
فكيف نصرت كل حمى مدال • ولم تنصر حمى المال المباح
نوالك من ولائك ذو تدان • وقدرك عن عداك ذو انتزاح
تداركت انصداعا بانشعاب • وصيرت الفساد الى الصلاح
فقد بدلت كربا بانفراج • وقد عوضت ضيقا بانفساح
وداويت الليالى من رداها • وقد نادتك يا آسى الجراح
فقد أشفيتها من كل داء • وقد أسقيتها بعد التياح
دعوت المعتفين لخير مأوى • وأحللت الطريد أعز ساح
فما للفضل فيها من زوال • وما للمجد عنها من براح
لقد أنسى زمانك كل عيد • بعز ثابت وأبى مزاح
وذى الايام أعياد الايادى • فكيف تضيفهن الى الاضاحى

(وله فصل من رقعة) مثلى أعزك الله فى عناه بلا غناء كمن خض الماء يريد الزبد وعده الابد بل لا والله واستغفر الله ما استضأت بغير منار ولا اقتدحت بغير عفار * ولكن حرمت الدر والضرع حافل * (طويل)

ومايوجع الحرمان من كف حارم • كما يوجع الحرمان من كف رازق

ومافعلت أبا عبد الله تلك الابيات والرجاء الذى فى بطون الحاملات أأزعجته الارحام أم كره الزحام أم استقر به المقام فأقام وتلك النتيجة هل حان نفاسها أم خانها احتباسها أم ولدت ثم وئدت أم وضعت ليلا وأرضعت غيلا فهى لاتدب ولاتشب والنجم آفل والكفيل غافل ومهما يكن من أمرها ضاعت الا فى ضمانك ولاجاءت الا على خوانك هلا حلبت أبا عبد الله مادر وطب وطبعت والطين رطب فلا أمان من الزمان ومن ذا الذى يبقى على الحدثان (وكتب اليه) ابن اللبانة (كامل)

ياروضة أضحى النسيم لسانها • يصف الذى تهديه من أرجائها
ومن اغتدى ثم اهتدى لطريقة • ماضل من يسعى على منهاجها
طافت بكعبتك المعالى اذ رأت • ان النجوم الزهر من حجاجها
شغلت قضيتك النفوس فأصبحت • مرضى وفى كفيك سر علاجها

هلا كتبت الى الوزير برقعة * تصبو معاطفه الى ديباجها
تجد السبيل لهم ولاتك للمنى * ويثير سعيهم بنور سراجها
أنت السماء فما بهالك رفعة * طلعت عليه الشهب من ابراجها
وضحت مفارق كل فضل عنده * فاجعل قريضك درة فى تاجها

فراجعه أبو الفضل (كامل)

يا مصعدى والدهر يبعث حربه * شعثاء قد لبست رداء عجاجها
لله درك اذ بسطت الى الرضا * نفسا تعادى الدهر فى احراجها
وارقت ماء الود فى نار الاسى * كالراح يكسر حدها بمزاجها
فأتى تلك الغمام فبردت * من غلة كالنار فى انضاجها
فأويت تحت ظلالها ووجدت بر * د نسيمها وكرعت فى ثجاجها
حاولت منى ان اطار دحاجة * مرضت فأعيا الناس باب علاجها
قل كيف تبعص بعد طول عثارها * أم كيف تفتح بعد سد رتاجها
هيهات لاتثنى النفوس لوجهة * من بعد مارجعت على ادبارها
لازيد فى أمرى وضوحا بعد ما * قامت براهين على منهاجها
فأكون ان زدت الصباح أدلة * خرقاء تغشى فى الضحى بسراجها
دعنى أبرد بالقناعة غلة * يأس النفوس أحق فى اثلاجها
بكر بخلت على الانام بوجهها * ومنعتها من ليس من أزواجها
وصرفتها محجوبة بصوانها * مثل السلوك تصان فى ادراجها
كالنور فى أكمامها والبيض فى * أغمادها والغيد فى احداجها
فالنفس ان ثبتت على اخلاقها * أعيا على النصاح طول لجاجها

(وله) وقد استدعاه المتوكل فى يوم ماطر ونسيم روض عاطر فصحبته فى ممشاه اليه سحابة وبلت عليه ثيابه فلما دخل على المتوكل أدناه وأكرم مثواه وهزه الى القول فى ذلك فاهتز وأتى بما طبق مفصل الابداع وحز (سريع)

صاحبنا الغيث الى الغيث * لكنه غيث بلا عيث
سحابة تهمى حياها سرى * لاتخلط الاعجال بالريث
باليث غاب حسنه باهر * والحسن لايعرف اللّيث
أحلى قربك فى موضع * يجل عن أين وعن حيث

(الاستاذ الاديب أبو محمد بن سارة الشنتريني رحمه الله تعالى)

سابق اشأبة وعقد تلك الابة لا يشق غباره فى ميدان نظام ولا تنشق اخباره فى قلة ارتباط وانتظام أعان على نفسه الزمان واستجلب اليها الخمول والحرمان فلا يطير الاوقع ولا يرقع خرقا من حاله الاخرق مارقع وهو اليوم مكتتم فى كسر تواريه متقنع بفلذة تعنيه وثملة تواريه وكانت له أهاج سدد هانبالا وأورث بها خبالا الا أنه قد قوض اليوم عن فنائها ونفض يده من اقتنائها وله بدائع تستحسن وتستطاب كأنها الوسن فمن ذلك قوله (طويل)

متى تجتلى عيناى بدر مكارم * تودّ الثريا أنها من مواطئه
ولما أهل المدلجون بذكره * وفاح نسيم الترب مسكا لواطئه
عرفنا بحسن الذكر حسن صنيعه * كما عرف الوادى بخضرة شاطئه
أيا من محل المجد فى جنباته * منيف مدى الايام ليس بلاطئه
عليك بامراض ودع ما وراءها * فما صائبات النبل مثل خواطئه

وكقوله (كامل)

ومعذر رقت حواشى حسنه * فقلوبنا وجدا عليه رقاق
لم يكس عارضه السواد وانما * نفضت عليه صباغها الاحداق

وكقوله يتغزل (كامل)

يامن تعرض دونه شحط النوى * فاستشرفت لحديثه أسماعى
انى لمن يحظى بقربك حاسد * ونواظرى يحسدن فيك رقاعى
لم تطوك الايام عنى انما * نقلتك من عينى الى أضلاعى

وله (كامل)

أما الوراقة فهى أنكد حرفة * أغصانها وثمارها الحرمان
شبهت صاحبها بابرة خائط * تكسو العراة وجسمها عريان

وله (كامل)

ومهفهف يختال فى أبراده * مرح الغصون اللدن تحت البارح
أبصرت فى مرآة فكرى خده * فحكيت فعل جفونه بجوانحى
لاغرو ان جرح التوسم خده * فالسحر يفعل فى البعيد النازح

وله يصف فروالة (كامل)

أودت بذات يدى فريه أرزب * كفؤاد عروة فى الضنى والرقة
ان قلت باسم الله عند لباسها * قرأت على اذا السماء انشقت
يتجشم القراء فى ترقيعها * بعد المشقة فى قريب الشقة
لو أن ما أنفقت فى اصلاحها * يحصى لزاد على رمال الاسبلة

وله (كامل)

ساروا وللريح البليل صراصر * تلهى بسافرة القناع شموع
يستنبط المقدور ماء حياته * بوسيطها القرار من ينبوع
شقراء أشبهت الظلام بمارج * كالبرق مع سحابه بهموع
واذا النسيم طفا عليها بصبعت * بلسان أرقش كالزمام لسوع
وكأنما اشتملت عليه ضلوعها * والبين يقذف روعه فى روعى

وله (خفيف)

وصقيل مدارج النمل فيه * وهو مذ كان مادرجن عليه
أخلص التبن صقله فهو ماء * يلتظى السعير فى صفحتيه

وله (طويل)

تمنيت منه قبلة حين زارنى * فقبلته ثنتين فى الخد والخد
وقلت لمجد لى بثغر لثاثى * أقول بتفضيل الاقاح على الورد

وله (وافر)

بنو الدنيا بجهل عظموها * فجلت عندهم وهى الحقيره
يهارش بعضهم بعضا عليها * مهارشة الكلاب على عقيره

وله (متقارب)

وبشر بالصبح برد النسيم * وسكر النديم وضعف السراج

(وكتب) الى القاضى أبى أمية عدحه (كامل)

قدمت بين يدى مديحك هذه * والوبل يبدأ أولا برذاذه
والسهم يبدو فى ترنم قوسه * مقدار غلوته وكنه نفاذه
والطرف يعلم عتقه من طرفه * قبل امتحان الحضر فى أخاذه
وكذا المهند يستبان مضاؤه * فى صفحتيه ولم يقع بجذاذه
كم ذا يعذبنى الرجاء ولا أرى * للحظ اقبالا على اغذاذه

والذكر منك على لسان موثق * أحلى من البرنيّ أو آزاذه
في قلب ليل قطعته عزائمي * فبكت فراقده على افلاذه
أو في رداء ضحى تراه معصفرا * عند الاصيل بحمرة من ذاذه
وسراب كل ظهيرة مترقرق * يختال عطفي في ملاءة لاذه
والركب من كأس الكرى مترنح * كالشرب في المأخوذ من كاواذه
والشمس في كف الهواء منصل * يتوقد الهندي من فولاذه
ان قابلت مرآة رأيك أبصرت * منها شبيها في يدي انفاذه
لو أن عدلك يحتذيه زماننا * لم يلقنا بالجور في استحواذه
ولكان بالاسعاف يلقى ناظري * فيطوف منه بركنه وملاذه
أصبحت ليثا في مخالب ثعلب * من مطلبي في روغه ولواذه
استاذه الزمن الخبيث ولا فتى * شيم تلوح عليه من استاذه
للناس عيش درت الدنيا لهم * من دوننا بنعيمه ولذاذه
أخذوه موفورا كما شاؤوا ولم * يؤذن لنا فنكون من أخاذه
حضروا وغبنا شذذا ولربما * حرم الغني من كان من شذاذه
وأراهم هذوا وأبطأنا وقد * يدنو بعيد الخطو من هذاذه
ليست تؤد أنها اقتضاء نميلة * مستظهرا فيها بجفنة حاذه
فذا اذا زحف الزمان بجمعه * رفض الجميع وحل في افذاذه
يعمى الافق من السهام وربما * اغنى المريش على وفور قذاذه
والمرء قد يجني الرضا من سخطه * كالليث يفرس وهو في اسفاذه
وقذا الزمان جوانحي ووقذته * فانظر الى موقوذه ووقاذه
ان صدّ عن رمحي بثغرة نحره * فسنان رمحي واقع في كاذه
لما ذكرتك لاذ بي من صروفه * يبغي الصباة ولات حين لياذه
اني منيت من الزمان بصاحب * قاسي الفؤاد خبيثه لوّاذه
وافيت حرسية فوافق قائلا * بتصلف ماشاء ليست هذه
فتى أصول عليه يا بن عصامها * سباق ميدان العلا بذاذه
ومتى أرى سعيي بدهري هازلا * وعلا منه بجدّ في استنقاذه
ياويح قلبي كم يضيق وكمه * يسع الفجاج الفيح في انفاذه

زادت عوائق دهره فى برحه * اذحان منها عوذه بمعاذه
فاض تقابلنا حبى ابراده * بأبى هريرة فى التقى ومعاذه
ظمئت الى ماء الفرات جوانحى * وأنا مقيم فى ثرى بغداذه
ناديت بدر التم ان شئت السنا * من غير نقص فالقه أوحاذه
فلا لقين به الزمان وأهـــــله * فى تيه قيصره وزهو قباذه

(ومما) كتب اليه أيضا (وافر)

أدار تها يد اخود فتاة * يميل بقدها عطف القناة
وقام يعارض اللحظات منها * غـزال لحظه لحظ المهاة
تسوّل لى شياطين التصابى * بمقلتـه التصوّر فى الهناة
ولكنى أرد شبا غرامى * بشيب لاح منى فى الشواة
واستحيى لانى فى مكان * مكين من هدى قاضى القضاة

وكتب اليه يستهديه (طويل)

أشيع أيامى بعلّ وليتما * واشغل أوصافى بماو كائنما
وأزمع بأسانم أذكرانى * بحضرة أزكى الناس فرعا ومنتمى
فأرتقب العتبى وأشدو تعللا * عسى وطن يدنو بهم ولعلما
أفضـه علينا كوثريا أهله * يبرّدنا رانى الحشى من جهنما
وردّ جوابى وهى تنى صوامتا * كفاها لسان الحال أن تتكلما
فما جنت جالينوس مستشفيا به * ولا عاقنى حين المسيح بن مريما

(وقال) يمدح الفقيه القاضى أبا بكر بن العربى أدام الله بالطاعة عزه (خفيف)

أيها البدر لا عداك التمام * وسقانا من راحتيك الغمام
لح طليقا لنا بسيف صقيل * مثل ما رفرق الفرند الحسام
واجل ثغرا تشيم منه الامانى * بارقا للسماح فيه ابتسام
قد حططنا الرحال فى ظل دوح * أثمر البرّ فيـه والاكرام
ورأينا تواضعا من مهيب * بعمامته توّج الاعظام
قاعد والزمان بين يديه * قائم والصروف والايام
كلها سامع اليـه مطيع * ينفذ النقض فيه والابرام
من يطع ربه تطعه الليالى * وتجبه الورى وهم خدام

هو رضوان فى سكينة رضوى * رضى الله عنه والاسلام
يا كتابى بالله قبل يديه * بدلا من فى فيه احتشام
ثم بـ ين له بأن ثوائى * كان عاما والآن قد جاء عام
وليبد لم يشترط ابكاه * غير حول مضى وقال سلام
قل له قد أتته منك القوافى * كالازاهير شق عنها الكمام
جالبات من المديح اليه * مسك دارين فض عنه الختام
وأرتنا فرائد المدح بحرا * يغرق الدر فيه وهو تؤام
والامانى شبائب لم تفارق * غرة العيش والرجاء غلام
يتفسق من المديح بلحن * فهمته منه الايادى الجسام
رش وطوق فانما أنت دوح * رف بالمكرمات وهى حمام
حثنا الرحل عنك اضطرار * ولا زوا حثنا اليك مقام

(وقال) يمدح الامير أبا بكر بن ابراهيم وقد قدم حضرة غرناطة واليا أميرها فدخل فى جملة من الشعراء اليه وأنشدها بين يديه وهى (كامل)

اليوم أخمدت الضلالة نارها * واسترجعت دار الهدى عمارها
واستقبلت حدق الورى غرناطة * وهى الحديقة فوقت ازهارها
فكأن تشرينا بها نيسان اذ * يكسو رباها وردها وبهارها
فى غب سارية ترقرق أدمعا * يحكى الجمان صغارها وكبارها
ماشئت من نهر كصدر صقيلة * نقت أناملها عليه صدارها
أو جدول كالنصل فى يد ثائر * أمهى صفحته وهز غرارها
مابين أشجار تميد كأنها * شرّاب بريال يدير عقارها
مترنحون اذا لحاها عاذل * تركت سكون حلومها ووقارها
لله أروع من ذوائب حمير * راع العداة فما تقر قرارها
راقت به أرض الجزيرة عزمة * خلعت على حب الجنان عذارها
ماهاله بعد تعسفها ولا * لجج لجنح الليل خاض بحارها
فى فتية تسرى الى نصر الهدى * فتظنهم سدف الدجا أقمارها
خضبوا السواعد بالرقاق تفاؤلا * ان سوف تخضب بالنجيع شفارها
وتلثموا صونا لرقة أوجه * جعل السماح شعارها ودثارها

المتعمن

المنعمين على العفاة اذا وشوا * والناقضين على العدى أوتارها
غرسوا الايادى فى ثرى معروفهم * فجنوا بألسنة الثناء ثمارها
لم لا تراح شريعة التقوى بهم * وجفونهم امنهم ترى انصارها
ضربوا سرادق بأسهم من دونها * وقد اشرأب الكفر يهدم دارها
فرقوا بفرسان الرماح جنابها * وحموا بقضبان الصفاح ذمارها
ومسومات شزب ان أحضرت * نفضت على ثوب السماء غبارها
لبسوا القلوب على الدروع فدوخوا * أرض العدا واستأصلوا كفارها
شهب اذا أوفت على أفق الوغى * جعلت أبا يحيى الامير مدارها
متلثم بالصبح فوق أسرة * تهدى الى شمس الضحا أنوارها
أورت زناد المسلمين له يد * بالنجح تقدح مرخها وعفارها
حاشا لأزند شرعنا من كبوة * ويد ابن ابراهيم تورى نارها
أصفى مواردها أزاح سقامها * أرخى حرارتها أقال عثارها
أولى أئمة أحمد أيم حبتها * مذ صرمت من جور الحوادث جارها
جلبت لك الانعام ضرعا حافلا * ورنت على افنانها أطيارها
وأرى زناد الرأى منذ قدحتها * أوريت فى مقل النجوم شرارها
حط الرعية فى مريع جنابها * وارأب ثآها واصطنع أحرارها
وزد الاكابر من بنيها خولة * واردد كبارا بالحباء صغارها
واقذف ثغور المشركين بجحفل * يمحو معالم أرضها ومنارها
لجب تظن السابغات بموجه * زرقا ونقع السابحات بحارها
واحلل عرا تلك الجماجم انها * عقدت على بغض الهدى زنارها
وكأنى بك قد ثللت عروشهم * وسلبت بيضة ملكه جبارها
وقتلت من نجادها انجادها * وصرعت فى أغوارها أغوارها
لا ترض منهم بالنفوس تحوزها * سمر القنا حتى تحوز ديارها
وترى بهاعمنالك لسل ضلالها * ويد الهدى فيها تشق زرارها
صمتت سيوفك فى الغمود وجردت * يوم النزال فحدثت أخبارها
لما احتسبت خمر الهياج نصالها * أهدت الى هام الطغاة خمارها
زارتك فى قصر الامارة كاعب * زانت محاسن جيدها تقصارها

رضعت من الآداب محض لبانها * وتجنبت ممذوقها وسمارها
تثنى الليالى هائمات كلما * نفثت على بسحرها أسحارها
فاجمل جفون رضاك فى أعطافها * كرما وشرف بالقبول مزارها

(وله) فى الزهد (بسيط)

يا من يصيخ الى داعى الشقاء وقد * نادى به الناعيان الشيب والكبر
ان كنت لا تسمع الذكرى ففيم ثوى * فى رأسك الواعيان السمع والبصر
ليس الاصم ولا الاعمى سوى رجل * لم يهده الهاديان العين والاثر
لا الدهر يبقى ولا الدنيا ولا الفلك الاعلى ولا النيران الشمس والقمر
ليرحلن عن الدنيا وان كرها * فراقها الثاويان البدو والحضر

(وقال) أيضا من كلمة (بسيط)

تمنر الدهر حتى ما فرقت له * من قسورى الدجى فى فروة النمر
لابد أن يقع المطلوب فى شركى * ولو بنى داره فى دارة القمر
قاضى الجماعة فى دار الامارة لى * قاض على الدهر ان لم يقض لى وطرى
لولا ضلوع توارى نار فطنته * لاحرقت وجنات الشمس بالشرر

(وله) يصف نارا (خفيف)

لابنة الزند فى الكوانين جمر * كالدرارى فى دجى الظلماء
خبرونى عنها ولا تكذبونى * ألديها صناعة الكيمياء
سبكت فحمها صفائح تبر * رصعتها بالفضة البيضاء
كلما رفرف النسيم عليها * رقصت فى غلالة حمراء
لو ترانا من حولها قلت شرب * يتعاطون أكؤس الصهباء
سفرت فى عشائها فأرتنا * حاجب الشمس طالعا بالعشاء

(وله) فيها (كامل)

جاءتك فى تنورها المسجور * زهراء فى حلل من الديجور
لما تهلل فى الظلام جبينها * لبس الظلام بها غلالة نور
باحسنها وقد ارتمت جنباتها * شررا كمثل العسجد المنثور
والجمر فى حلل الرماد كأنه * ورد عليه ذريرة الكافور
فى ليلة خلنا دجاها اغتدا * ونجومها مرضى عيون الحور

(وله) فيها (بسيط)

باتت لنا النار دريافا وقد جعلت * عقارب البرد تحت الليل تلسعنا
زهراء قدت لنا من دفئها لحفا * لم يعلم البرد فيها اين موضعنا
لها حريق بكانون نطيف به * كمثل جام رحيق فيه مكرعنا
تبعنا قربها حينا وتبعدنا * كالام تفطمنا حينا وترضعنا

(وله) فيها (طويل)

دعو الامرئ القيس بن حجر طاوله * يظل عليها سافح العبرات
وموجوا يا قوتية ذهبية * يهيم بها المغرور في السبرات
اذا ما ارتعت من فحمها بشرارها * رأيت نجوم الليل منكدرات
حكى لى منها الجمر تحت رمادها * دما بدقيق الريط معتجرات
وقد عصفر التضميش بيض خدودها * فأبدت منها بانع الثمرات
عليها فدب ان لم تجدها كآية * ودع للسواقي برقة العبرات
وقل حين تمشى في الندى وطيبها * ينم على أذيالها العطرات
تضوع مسكا بطن نعمان ان مشت * به زينب في نسوة خطرات

(وله) فيها ايضا (سريع)

قد شابت النار بكانوننا * لما تناهى عمرها واكتهل
كانما الفاخر جمرها * مطيب الورد اذ ما ذبل

(وله) في النارنج (طويل)

أجر على الاغصان أبدى نضارة * به أم خدود أبرزتها الهوادج
وقضب تثنت أم قدود نواعم * أعالج من وجدى بها ما أعالج
أرى شجر النارنج أبدى لنا جنى * كقطر دموع ضرجتها اللواعج
جوامد لو ذابت لكانت مدامة * تصوغ البرى فيها الاكف النوارج
كرات عقيق في غصون زبرجد * بكف نسيم الريح منها صوالج
نقبلها طورا وطورا نشمها * فهن خدود بيننا ونوافج
نهى صبوتى أن لا تصيخ الى النهى * عروس من الدنيا عليها دمالج

(وله) ايضا فيه (بسيط)

يارب نارنجة يلهو النديم بها * كانها كرة من أحمر الذهب

أو جذوة حلتها كف قابسها * لكنها جذوة معدومة اللهب

(وقال) يمدح قاضي قضاة الشرق أبا أمية ابراهيم بن عصام رحمه الله تعالى (بسيط)

يا من عزائمه أمضى اذا انتضيت * عن حادث الدهر اذ يسطو بها القدر
ومن اذا ما بدا في أفق مكرمة * جبينه المسفر استخذى له القمر
عين الرجاء الى علياك شاخصة * في حاجة أنت فيها السمع والبصر
فاجر الصفوف الى استنزالها قدما * وصاحباك بها التأييد والظفر
حتى تلاقى من قاضي القضاة بها * نعما أثارت بها الاحكام والسير
في حبوتيه اذا استقبلته ملك * مقدس الروح الا أنه بشر
أضفى على الدين أبراد الشباب فقل * صديقه البر أو فاروقه عمر
من ادعى الشرك في أكرومة معه * فاغلظ عليه وقل للعاهر الحجر
وقل له ما ترى في روضة أنف * وافت ليسقيها من جودك المطر

(وقال) يمدحه أيضا (خفيف)

ها كها كالجنوب تزجي القطارا * صافح الورد نشرها والعرارا
في جبين من حالك الحبر يبدي * لك ليلا من طرسه ونهارا
رق ديباجه فراق زلالا * حيث دارت به النواسم دارا
تتلالى من المعاني شموس * فوق صفحيه تخطف الابصارا
خجل الصبح من شكاتي فأهدى * سوسن الخد منه جلنارا
ورآني بلا عقار فكادت * صفحة منه تستحيل عقارا
ورآني المصاب أصعب حالا * ذات عدم فذاب ماء ونارا
عثر الدهر بي وقد جئت سترا * ذا كي الاصل ينعش الاحرار
ان تكن عصمة فان عصاما * جده لم يزل يقيل العثارا
قاضي الشرق أشرقتني بريق * نائبات يطلبن عندي ثارا
لا لذنب الا لاني أديب * طاب عود منه فكان انضارا
أجتلي درا يرف حسنا وان كا * نت ضلوعي تهفو عليه سرارا
حاش لي ان أزفها ثيبات * عنسا بل كواعبا أبكارا
فجعت أضلعي بها فاستهلت * بين كفيك تنشد الاشعارا
طلعت في أهلة من ضلوع * لي فجلونها تهها اقمارا

أرضعتها درّ البلاغة منها * أمّهات لم تحتلب أظآرا
وأرتك الرياض منها كمام * جادها النيل وابلا مدرارا
ماء حلى بابل لو استقبلتها * فاجتنت من ثمارها الاسحارا
هكل خريدة ولم تسق خمرا * تلبس الحسن والدلال خمارا
تذر السامعين يثنون اعطا * فاسكارى وماهم بسكارى
لو تغلغلن فى مسامع رضوى * لانثنى راقصا وخلى الوقارا
ليس فى نسجة من العذر الا * من صبا خالعا اليها العذارا
وجهها أجزل المهور فلولا * أنت ما أدلجت بهن المهارا
أبصرتها النجوم أشرق منها * فسرت تخبط الظلام حيارى

(وله) فى فتى وسيم نزل مكانه اسود (طويل)

مضت جنة المأوى وجاءت جهنم * فها انا اشقى بعدما كنت أنعم
وماهى الا الشمس حان غروبها * فأعقبها قطع من الليل مظلم

(وله) فى غلام أزرق (كامل)

ومهفهف أبصرت فى أطواقه * قمرا بآفاق المحاسن يشرق
تقضى على المهجات منه صعدة * متألق فيها سنان أزرق

(وقال يرثى) (طويل)

أيا واقفا والترب بينى وبينه * ترحم على قبر الحبيب وسلم
وقل انه قبر تضمن أعظما * رمام مر بق فى الندى والتكرم
أتى يومه من دون شرخ شبابه * ولم يقض منه حاجة المتلوم

(وقال) فى ابنة ماتت له (وافر)

ألا ياموت كنت بنا رؤفا * فجددت الحياة لنا بزوره
حمادا لفعلك المشكور لما * كففت مؤنة وسترت عوره
فأنكحنا الضريح بلا صداق * وجهزنا الفتاة بغير شوره

(وله) يصف نجما جرى فى السماء وترك وراءه مستطيل ضياء (بسيط)

وكوكب أبصر العفريت مسترقا * للسمع فانقض يذكى اثره لهبه
كفارس حل احضار عمامته * فجرها كلها من خلفه عذبه

(وله) (طويل)

وليل كأن الدهر أفنى بعمره * جميعاً اليه فانتهى فى ابتدائه
يحدث بعض القوم بعضاً بطوله * ولم يمض منه غير وقت عشائه
تكاثف ظل الغيم فيه فلم يكن * به العين تدرى أرضه من سمائه
اذا افترّ فى استبعاده برق دجنة * حكى حبشياً ضاحكاً من بكائه
ضربت بسيف العزم عنق ظلامه * وضرّجت بردى نجره من دمائه
ولم أر لابن الهمّ أشفى من السرى * اذا مات ذو العزم مات بدائه
وانى لالقى كل وجه بمثله * ولا عجب والماء لون انائه

(وله) (كامل)

ان كنت تستشفى بأنفاس الصبا * فالمسك من أنفاسها يتنسم
وأفدلك عاطرة النسيم كأنها * رسل الحبيب أتتك عنه تسلم
وابنو يلبس للغمام مطارفاً * منها على عطفيه برد أسحم
أومى الى روض الثرى بتحية * وبكى فأقبل نورها يتبسم
واستعجلته الارض صنعة بردها * فيد يحوك لثيها وأخرى ترقم

(وله) (كامل)

النهر قد رقت غلالة صبغه * فعليه من صبغ الاصيل طراز
تترقرق الامواج فيه كأنه * عكن الخصور تهزها الاعجاز

(وله) (بسيط)

ما فى السفر حل شئ يستطار به * ولا تكن منه مطوياً على وجل
انى نظرت الى تصحيف أحرفه * فأنفك منهن لى تب تفرج لى
ولم أقل سفر حل البلا به * أوحل منه وقوع الحادث الجلل

(وله) (كامل)

عابوا الجهالة وازدروا بحقوقها * وتهافتوا بحديثها فى المجلس
وهى التى ينقاد فى يدها الغنى * وتجيئها الدنيا برغم المعطس
ان الجهالة للغنى جذابة * جذب الحديد حجارة المغنطس

(وله يمدح الامير أبا بكر بن ابراهيم) فى نوروز سنة ٤٩٩ (سريع)

طاف بأكواس مسراته * ما بين ريحان مسراته
وراح فى ابراد ايناسه * ثانى عطفى أريحياته

قل لابى يحيى امام الهدى * محيى الندى جامع اشتاته
رعاه من فى الارض سلطانه * ودونه يجب سمواته
ياملكا أيامه لم تزل * تجرى على وفق اراداته
ومن يكنى عزمه صارم * يخاف صرف الدهر هناته
أصلته التوفيق فى كفه * فابتهج الدين لاصلاته
واقبل الفتح له رائدا * والنصر معقودا براياته
واتصل الانس بآصاله * واقترن الروح بروحاته
وانما الدهر له خادم * منتقد لمح اشاراته
قد صارت الشمس الى جريها * واستقبل اليوم بآدابه
وأشرف النيروز فاستشرفت * لى الامانى نحو عاداته
فى شارق ابرز مشبوبة * أشرقت منها الليل مشتاته
يريك خد الورد كانونها * معصفرا فى غير أوقاته
روض اذا الريح هفت نفضت * مذهبة ألسن حياته
عقارب الشترة مقبولة * بالشمس منها حول حافاته
لما بدت فى ابنوسيها * ونورها عسجد ياقوته
منمنما فى صفح كافورها * واوات همزاز ولاماته
علمت أن الحسن منها نوى * يبدى لنا معجز آياته
كأنما النارنج أبدى لنا * وجنته عند محازاته
أوهى شدت عقد أزراره * حتى التظى خامد حياته
فى مجلس يختال عطف المنى * فى رفرف من عبقرياته
زبرجد النبت على ساقه * ولؤلؤ الطل بلباته
والثلج كالهدب فى كرسف * تحلجه أيدى غماماته
أو زهر من دوحه ساقط * قد هامت الريح بهاماته
سقوط جدواك على آمل * همت بتكثير عطياته
فصاد يغشى طرف حساده * بياض نعمان بساحاته
رددت فى جسم الندى روحه * حتى غدا مل ملاآته
وزار بالغيث الى أن تنا * بعث سحاب صوب ملماته

في بلد منذ تبوّأته * جرّ سرابيل مسرّاته
وكفّ عنا كفّه حادثا * آلمنا مس ملماته
لاحظه الله بعين الرضا * فانفتحت أبواب جناته
وأصبح الجامد من صخره * والروح يجرى في جماداته
بوّأ الله بفردوسه * رضوانه خازن جناته
لا زلت معضودا بتأييده * ظلا على أرض بريّاته

(وله) يمدح أبا العلاء بن زهر (كامل)

للرزق أسباب ومن أسبابه * اعمال ناجية وشد حزام
حرف كأنى فوق عوج ضلوعها * ألف أقيمت فوق عطفة لام
وكأن زورتها ربابة ياسر * لزت بأربعة من الازلام
لم يبق منها نصفها الاسفل * كالريح تمسكه يدى بزمام
* من نام عن حاجاته لم يلقها * الا بواسطة من الاحلام
شيئان في الاسفار يكتنفانها * كسب الخطير وصحة الاجسام
لا أمّ لى ان لم أيمم مسلكا * يهدى الحياة الى فيه حمامى
فالعذب بأجن طعمه مالم يكن * ينساب بين أباطح وآكام
والعضب يدركه الصدا مالم يجل * فى كل معركة بضرب الهام
خيمت من حمق بأرض مضيعة * والرأى خلفى والهوى قدامى
حتى رأيت العجز أودى بى كما * أودى الغرام بعروة بن حزام
أكل الخمول بها بنات خواطرى * أكل الوصى ذخائر الايتام
يادهر دعوة من يؤمل أن يرى * بعلائه منتصفا من الايام
فأثيل مجدك نلته عن آدم * وسموّ قدرك حزته عن سام

وله أيضا (كامل)

يامن رمى غرضى بعقلة أخرس * وقد امتلا صلقا على وريده
لا تعجبنّ بحسن وجهك انه * وال بعزلته يحث بريده
كم قد رأت عيناى مثلك واليا * للحسن تنهب القلوب جنوده
الدهر طوع يديه والدنيا له * أمة وأحرار الانام عبيده
زحف العذار اليه في جيش له * ملأت أساوده الملا وأسوده

فرأيت رونق وجهه وجماله * بيد الشحوب طريفه وتليده

وله أيضا (كامل)

يا شادنا ترك الاراك بمعزل * ورعى سويداء القلوب أراكا
حبولك عن بصري فصرت برغمهم * بسجنجل الفكر الصقيل أراكا
قمر جعلت سواد قلبي برجه * وحنيت اضلاعي له افلاكا

وله يصف بركة (بسيط)

لله مسجورة في شكل ناظرة * من الازاهر أهداب لها وطف
فيها ـ لاحف ألهاني تقامصها * في مائها ولها من عرمض لحف
تنافر الشط الاحين يحضرها * برد الشتاء فتستدني وتنصرف
كانها حين يبديها تصرفها * جيش النصارى على اكتافها الحجف

* (الاديب أبو جعفر الاعمى التطيلي رحمه الله تعالى) *

له ذهن يكشف الغامض الذي يخفى ويعرف رسم المشكل وان كان قد عفا أبصر الخفيات بفهمه وقصر ادراكها على خاطره ووهمه فجاء بالنادر الذي أعجز وعطل التطويل بالمقتضب الموجز ونظم أخبار الامم المفترقة في لبة القريض واسمعها أطرب من نغم معبد والغريض وكان بالاندلس سرا للاحسان ومزريا على زياد وحسان الا انه اختصر حين احتضر واعتبط عندما استبشر به واغتبط فلم يطل زمانه ولم يمطل دراكا عنانه وأغفل الاوان من وسمه وأشكل لفقدانه اسمه فاصبحت نواظر الآداب بعده رمدة ونفوسها متوجعة كمدة وقد أثبت له ما يبهر سامعه ويثني اليه الاحسان مسامعه فمن ذلك قوله (بسيط)

ملت حمص وملتني ولو نطقت * كما نطقت تلاحينا على قدر
وسوّلت لي نفسي ان أفارقها * والماء في المزن أصفى منه في الغدر
أما اشتفت مني الايام في وطني * حتى تضايق فيما عز من وطري
ولاقضت من سواد العين حاجتها * حتى تكر على ما كان في الشعر

وله من قصيدة (وافر)

سطا أسدا وأشرق بدر تم * ودارت بالحتوف رحى زبون
وأحدقت الرماح به فأعيا * على أ هالة هي أم عرين

وله يتغزل (بسيط)

هو الهوى وقديما كنت أحذره * السقم مورده والموت مصدره
يا لوعة وجلا من نظرة أمل * الآن أعرف رشدا كنت أنكره
جد من الشوق كان الهزل أوله * أقل شيء اذا فكرت أكثره
ولي حبيب دنا لولا تمنعه * وقد أقول نأى لولا تذكره

واعتبل فتى من فتيان اشبيلية عليلا وجرت الايام اليه حربا وويلا فأصبح قتيلا قد تفنى نحبه ومضى وما ودع صحبه وكان معروفا بوجود موصوفا بكرم وجود يبارى بهما وابل القطر مع كونه عينا من أعيان القطر وكان لابي جعفر هذا كثير الافتقاد جميل الرأى فيه والاعتقاد يبذله في كل وقت ويزيله عن مواقف كل خزى ومقت فقال يرثيه (طويل)

خذا حدثانى عن فل وفلان * لعلى أرى باق على الحدثان
وعن دول جسن الديار وأهلها * فنين وصرف الدهر ليس بفان
وعن هرمى مصر الغداة أمتعا * بشرخ شباب أم هما هرمان
وعن نخلتى حلوان كيف تناءتا * ولم تطويا كشحا على شنآن
وطال ثواء الفرقدين بغبطة * أما علما أن سوف يفترقان
وزايل بين الشعريين تصرف * من الدهر لا وان ولا متوان
فان تذهب الشعرى العبور لشأنها * فان الغميصا فى بقية شان
وجن سهيل بالثريا جنونه * ولكن سلاه كيف يلتقيان
وهيهات من جور الزمان وعدله * شآمية ألوت بذين يمان
فأجمع عنها آخر الدهر سلوة * على طمع خلاه للدبران
وأعلن صرف الدهر لابنى نويرة * بيوم تناء غال كل تدان
وكانا كندمانى جذيمة حقبة * من الدهر لو لم تنصرم لأوان
وهان دم بين الدكادك فاللوى * وما كان فى أمثالها بمهان
فضاعت دموع بات يبعثها الاسى * يهيجه قبر بكل مكان
ومال على عبس وذبيان ميلة * فأودى بجعفى عليه وبيان
فعوجا على جفر الهباءة فاعجبا * لضيعة أعلاق هناك ثمان
دماء جرت منها التلاع بمثلها * ولا دخل الان جرى فرسان
وأيام حرب لا ينادى وليدها * أهاب بها فى الحى يوم رهان

فآب ربيع والكلاب تهزه * ولا مثل مود من وراء عمان
وأضحى على ابنى وائل فتناصرا * غصون الردى من كثرة ولدان
تعاطى كليب فاستقر بطعنة * أقامت لها الابطال سوق طعان
وبات عدى بالذنائب يصطلى * بنار وغى ليست بذات دخان
فذلت رقاب من رجال أعزة * اليهم تناهى عز كل زمان
وهبوا يلاقون الصوارم والقنا * بكل جبين واضح وبنان
فلا خد الا فيه حد مهند * ولا صدر الا فيه صدر سنان
وصال على الجونين بالشعب فانثنى * بأسلاب مطلول وربقة عان
وأمضى على أبناء قيلة حكمه * على شرس أدلوا به وليان
ولو شاء عدوان الزمان ولو يشأ * لكان عذير الحى من عدوان
وأى قبيل لم يصدع جميعهم * ببكر من الارزاء أو بعوان
خليلى أبصرت الردى وسمعته * فان كنتما فى مرية فسلانى
خذا من فنى هلا وسوف فاننى * أرى بهما غير الذى تريان
ولا تعدانى أن أعيش الى غد * لعل المنايا دون ما تعدانى
ونبهنى ناع من الصبح كلما * تشاغلت عنه عزلى وعنانى
أغمض أجفانى كأنى نائم * وقد لجت الاحشاء فى الخفقان
أبا حسن أما أخوك فقد مضى * فواطول لهفى ما التقى اخوان
أبا حسن احدى يديك رزيتها * فهل لك بالصبر الجميل يدان
أبا حسن أغر المذاكى شرتفا * تجز الى الهيجاء كل عنان
أبا حسن ألق السلاح فانها * منايا وان قال الجهول أمانى
أبا حسن هل يدفع المرء حينه * بأيد شجاع أو بكيد جبان
أبا حسن ان المنايا وقيتها * اذا أتلفت لم تتبع بضمان
أقول كأنى لست أحفل وانبرت * دموعى فأبدت ما يجن جنانى
أبا حسن ان كان أودى محمد * وهيهات عدوى فيك من رهقان
أبعدك لم تشهده اذ أحدقوا به * ونادى بأعلى الصوت يال فلان
توقوه شيأ ثم كروا وجمعوا * بأروع فضفاض الرداء هجان
أخى عزمات لا يزال يحثها * بحزم معن أو بعزم معان

رأى كل ما يستعظم الناس دونه * فولى غنيا عنه أو متغانى
فتى كان يعروري الفيافي والدجى * ذوات جناح أو ذوات حران
تداعت له أبيات بكر بن وائل * ولم ترجعنه لا ظفرت بنان
بنفسي وأهلي أي بدر دجنة * لست خلت من دهره وثمان
وأي أبي لا تقوم له الربا * ثنى عزمه دون القرارة ثان
وأي فتى لو جاءكم في سلاحه * متى صلحت كف بغير بنان
يقولون لا يبعد وقد بعدت به * وقد حيل بين العير والنزوان
ويأبون الا ليته ولعله * ومن أين للمقصوص بالطيران
رويد الاماني ان رزء محمد * عدا الفلك الاعلى عن الدوران
وحسب المنايا أن تفوز بمثله * كفاك ولو اخطأته لكفاني
سقاك كدمعي أو كجودك وابل * من المزن بين السح والهملان
شآبيب غيث لا تزال ملثة * بقبرك حتى يلتقي الشريان
أبا حسن وفي اعترافك حقه * فقد كنتما أرضعتما بلبان
تماسك قليلا لست أول مبتلى * ببين حبيب أو بغدر زمان
أنا كلنا والثواكل جمة * لو انكما بالناس تأتسيان
أذيلا وصونا واجزعا وتجلدا * ولا تأخذا الا بما تدعان
وعودا على الباقي المخلف فيكما * بفضل حنو منكما وحنان
غذاء فضماه الى كنفيكما * فانهما للمجد مكتنفان
سدى ليس يدري ما السرور وما الاسى * محيل على ضعفي يد ولسان
لعلكما أن تستقلا بظله * غداة ان هذا الدهر ذو ضربان
لنعرف كما السلوان ان محمدا * مجاور حور في الجنان حسان

وقال يمدح القاضي أبا الحسن علي بن القاسم بن عشيرة بقصيدة منها (بسيط)

كم مقلة ذهبت في الغي مذهبها * بنظرة هي شان أوله شان
رهن باضغاث أحلام اذا هجعت * وربما حلمت والمرء يقظان
فانظر بعقلك ان العين كاذبة * واسمع بحسك ان السمع خوان
ولا تقل كل ذي عين له نظر * ان الرعاة ترى ما لا ترى الضان
دع الغنى لرجال ينصبون له * ان الغنى لفضول الهم ميدان

واخلع

واخلع لبوسك من شح ومن أمل * لا يقطع السيف الا وهو عريان
وصاحب لم أزل منه على خطر * كأننى علم غيب وهو حسبان
أغراه حظ توخاه وأخطأنى * أما درى ان بعض الرزق حرمان
وغره ان رآه قد تقدم فى * كما تقدم بسم الله عنوان

ومن مديحها

انى استجرت على ريب الزمان فتى * الا يكن ليث غاب فهو انسان
حسبى بعلياء على معقلا أشبا * زمان سرّى به فى الامن أزمان
صعب المراقى ولكن ربما سهلت * على المنى منه أوطار وأوطان
الواهب الخيل مقبانا مسومة * لو سومت قبلها فى الجو عقبان
من كل ساع امام الريح يقدمها * منه مهاة وان شاءت فسرحان
دجنة تصف الانوار غرتها * ونبعة يدعى أعطافها البان
عصا بجذعة الا ما أتيح لها * من أمر موسى فجاءت وهى ثعبان

ومنها فى صفة السيف

حسيم رواء لوان الماء صافحها * لزال أوزل عنها وهو ظمآن
يكاد يعلق مهراق الدماء بها * فلا تقل هى أنصاب وأوثان
موتى فان خلعت أكفانها علمت * أن الدروع على الابطال أكفان
نفسى فداؤك لا كفوا ولا ثمنا * ولو غدا المشترى منها وكيوان
والتبر قد وزنوه بالحديد فما * ساوى ولكن مقادير وأوزان

وله يتغزل (كامل)

بحياة عصيانى عليك عواذلى * ان كانت القربات عندك تنفع
هل تذكرين لياليا بتنابها * لا أنت باخلة ولا أنا أقنع

وله يرثى (كامل)

سل دمعى المبذول هل من حيلة * لى أو له فى نوى الممنوع
وحنينى الموصول كيف تعرضت * شبهاته لرجائى المقطوع
لا تركنن الى الزمان وصرفه * فتك الزمان بآمن ومروع
ودع الاحبة والدنو أو النوى * ما أشبه التسليم بالتوديع
يا واثبا بأسى على ما فاته * ان الونى طرف من التضييع

ومدا جمياً تخذ الخديعة جنة * الا انثنت لرأيك المخدوع
دافع بعزماتك أو بجهدك انها * عزمات حكم ليس بالمدفوع
وانظر بعينك أو بقلبك هل ترى * الا صريعاً أو مثال صريع
ابني عبيد الله أين سراتكم * من عاثر بعنانه المخلوع
دهر كان صروفه قد جمعت * من نثر منتظم وشت جميع
يهنى البقيع وليته لم يهنه * قبر غدا شرفاً بكل بقيع
يحيا له وسع المكارم والعلا * ودعا له الداعون بالتوسيع
واذا عجبت من الزمان لحادث * فتتابع يبكي على متبوع
واذا اعتبرت العمر فهو ظلامة * والموت منها موضع التوقيع

وله في المعنى (بسيط)

اليوم حين اقتفت الجد في كفن * نفسي الفداء لمن أن لات حين فدا
ياحسرة نشأت بين الضلوع جوى * ما ضر لاعجها أن لا يكون ردا
في ذمة الله قبر ما مررت به * الا اختبلت أسى ان لم أمت كمدا
أردى الزمان وكيف اسطاعه بفتى * قد طال ماراح في ابتاعه وغدا
ملء القلوب جلالاً والعيون سنا * والحرب بأساً وأكناف الندى ندى
من لا يقدم في غير العلا قدما * ولا يمد لغير المكرمات يدا
كأنه كان ثاراً بات يطلبه * حتى رآه فلم يعدل به أحدا
يا يوم منعى عبيد الله أي أسى * بين الجوانح يأبى ان يجيب ندا
وأي غرب مصاب لا يكفكفه * دمع الهتون ولا أنفاس الصعدا
ولا البلابل من مثنى وواحدة * بات تسل سيوفاً أو تسن مدى
ولا الهموم وقد أعيت طوارقها * كأنما بتن لي أو للدجا رصدا
قل للدجا وقد التفت غياهبها * فلو تصوب فيها الماء ما اطردا
ان الشهاب الذي كنا نجوب به * أحوازها قد خبا في الترب أو خمدا
لهفي ولهف المعالي جاري وبها * صرف الردى وأرانا أية قصدا
يا صاحبي ولا تجد كما ظمأ * طال الحيام وهذي أدمعي فردا
أجدى حياً قد عداها بعد أو بنه * عن أن تهيم بذكراه أو نجدا
وحدثاني عن العليا وقد رزئت * مسنونها اللدن أو مصقولها الفردا

آه لهاوزنه ثم قد علمت * أن لا تنال به عقلا ولا قودا
هل نافعي والاماني كلها خدع * قولي له اليوم لا تبعد وقد بعدا
وهل تذم هذا الرزء من قلق * قام المصاب به أضعاف ما قعدا
أما ويوم عبيد الله وهو أسى * لقد تغير هذا الموت وانتقدا
ياماجدا أنجز العلياء موعده * اليوم أنجز فيك الموت ما وعدا
ان الفؤاد الذي مازلت تعمره * قد ريع بعدك حتى صار مفتأدا
سل المنايا على علم وتجربة * في أي شئ بغى الانسان أوحسدا
تنافس الناس في الدنيا وقد علموا * ان سوف تقتلهم لذاتها بددا
تبادروها وقد آذتهم فشلا * وكاثروها وقد أحصتهم عددا
قل للمحدث عن لقمان أولبد * لم يترك الموت لقمانا ولا لبدا
ولا الذي همه البنيان يرفعه * ان الردى لم يغادر في الثرى أسدا
مالابن آدم لا تفنى مطالبه * يرجو غدا وعسى أن لا يعيش غدا

(الاديب أبو بكر يحيى بن تقي أبقاه الله تعالى)

رافع راية القريض وصاحب آية التصريح فيه والتعريض أقام شرائعه وأظهر روائعه وصار ءصيه طائعه اذا نظم أزرى بنظم العقود وأتى بأحسن من رقم البرود ضفا عليه حرمانه وماصفا له زمانه فصار قعيد صهوات وقاطع فلوات مع توهم لا يظفر بأمان وتقلب ذهن كما هي الجمان وقد أثبت من قوله مايستحلى ويتزين به الزمان ويتحلى فمن ذلك قوله (بسيط)

عندي حشاشة نفس في سبيل ردى * ان جئتها اليوم لم أحظ بها لغد
وكيف أقوى على السلوان عنك وقد * ربيت حبك حتى شاب في خلدي
خذها وهات ولا تمزج فتفسدها * الماء في النار أصل غير مطرد

وله (طويل)

وقالوا ألا تبكي فتلك حطيهم * على الشهب يحملن الخرائد كالدمى
لئن بعدت مني الدموع تعاشروا * وقالوا سلا أولم يكن قبل مغرما
فهلا أقاموا كالبكاء تهتدي * اذا مابكى القمري قالوا ترنما

وله (كامل)

عاطيته والليل يسحب ذيله * صهباء كالمسك الفتيق لناشق

حتى اذا مالت به سنة الكرى * زحزحته شيأً وكان معانقي
أبعدته عن أضلع تشتاقه * كيلا ينام على وساد خافق

وله (طويل)

الى الله أشكوها نوى أجنبية * لها من أبيها الدهر شيمة ظالم
اذا جاش صدر الارض بي كنت منجدا * وان لم يجش بي كنت بين التهائم
أكلّ بني الآداب مثلي ضائع * فأجعل ظني اسوة في المظالم
ستبكي قوافي الشعر ملء جفونها * على عربيّ ضاع بين أعاجم

وله من قصيدة (طويل)

هو الشعر أجري في ميادين سبقه * وأفرج من أبوابه كلّ مبهم
وسل أهله عني هل امتزت منهم * بطبعي وهل غادرت من متردم
سلكت أساليب البديع فأصبحت * بأقوالي الركبان في البيد ترتمي
وربتما غنى به كل ساجع * يردده في شجوه والترنم
وضيعني قومي لاني لسانهم * اذا أفحم الاقوام عند التكلم
وطالبني دهري لاني زنته * واني فيه غرة فوق أدهم

وله من قصيدة أخرى (بسيط)

صحت بكل حريم في قلورية * بغارة أنت فيها الفارس النجد
بئس الصباح صباح المنذرين بها * ونعم غزو وأمير أمره رشد
لها الصقايا مع المرباع من نفل * في طيه سيد الكفار والبلد
قالوا العلى ظباء أقبلت سنحا * الى خمائل ترعاهن أو ترد
تلك الظباء عراب الخيل دونكم * نهد وورد وذيال ومنجرد
من كل سابحة طارت بفارسها * كأنها لبوة في عطفها أسد
تسبيهم الجيش ما امتدت أعنته * كالنار توسع حرقا كلما تجد
فكانت الخيل تطاهم دراهمها * والمشرفية تلقاهم فتنتقد
تخلي الرقاب من الاعلاج ان غلبوا * على الحريم وتسبيها المهى الخرد
اذا رأى ابنته الغيران قد سبيت * مضى يقول ألا لله من ينشد
لما رأوك وبحر الموت ملتطم * ومن حميم المذاكي فوقه زبد
صلوا الى سيفك المسلول وانحرفوا * عن الصليب الذي تلقاه سجدوا

وكان موعدهم والحين أنجزه * لكي تراق دماء ماالها قود
يوما من القيظ بسود السلام به * كأن كل كلام فيه مقتأد
وقاس سيفك نهرا في ظهيرته * فأقبلت نحوه الارواح تبترد

وله من أخرى (بسيط)

اماترى الليل قد ألهبته شمعا * مثل الكواكب كانت حوله حرسا
من كل ناشرة فرعاله شعب * عند القيام واسبال اذا نكسا

وله من أخرى (بسيط)

وفتية لبسوا الادراع تحسبها * سيل الاراقم الا أنها رسب
اذا الغدير كساأعطافهم حلقا * طفا من البيض في هاماتهم حبب

وله من قصيدة (بسيط)

يا أقتل الناس ألحاظا وأطيبهم * ريقا متى كان فيك الصاب والعسل
في صحن خدك وهو الشمس طالعة * ورد يزيدك فيه الراح والخجل
ايمان حبك في قلبي تجدده * من خدك الكتب أو من لحظك الرسل
ان كنت تجهل أني عبد مملكة * مرني بماشئت آتيه وأمتثل
لو اطلعت على قلبي وجدت به * من فعل عينيك جرحا ليس يندمل

وله يستجدي الوزير أبا محمد بن سعد رحمه الله (كامل)

قل للوزير أبي محمد الرضا * وفعاله وقف على العلياء
رعدت سماء ولك ساحتي بسحابها * فأنا أشيم بوارق الانواء
واذا مطلت مضت بشاشة منطق * وذوى قضيب الروضة الغناء

وله في غلام مغن قام يرقص (كامل)

بأبي قضيب البان ثنيه الصبا * عوض الصبا في الروضة الغناء
نادمته سحرا فأمتع مسمعي * بترنم كترنم الورقاء
وكأنما أكمامه في رقصه * تتعلم الخفقان من أحشائي
ويريك ملتقط الزجاج بذيله * مر النسيم على حباب الماء

(وله) مضيا على أهل المغرب وقد ذم عندهم مثواه وصفرت من نائلهم يداه (بسيط)

أقمت فيكم على الاقتار والعدم * لو كنت حرا أبي النفس لم أقم

وظلت أبكي لكم عذرا لعلكم * تستيقظون وقد غمّ عن الكرم
فلا حديقتكم يجني بها ثمر * ولا سما فكم تنهل بالديم
لا رزق عندكم لكن سأطلبه * في الارض ان كانت الارزاق بالقسم
أنا امرؤ ان نبت بي أرض أندلس * جئت العراق فقامت لي على قدم
أين الرجا والعلا من حازم يقظ * يغزوا أعاديه في الاشهر الحرم
ان كان سهما فلا تنمى رميته * أو كان سيفا فسلول على البهم
ما العيش بالعلم الا حيلة ضعفت * وحرفة وكلت بالقعدد البرم
لا يكسر الله متن الرمح انّ به * نيل العلا وأتاح الكسر للقلم
ولا أراق دما من باسل بطل * ومات كل أديب عبطة بدم
أو غلت في المغرب الاقصى وأعجزني * نيل الرغائب حتى أبت بالندم

ومنها

وساقط نال من عرضي فقلت له * اليك عني فليس السب من شيمي
أعرضت عنه ولو أني عرضت له * سقيته حمة الافعى من الكلم

وله من أخرى (وافر)

ولي همم ستقذف بي بلادا * نأت اما العراق أو الشآما
وألحق بالاعاريب اعتلاء * بهم وأجيد مدحهم اهتماما
لكيما تحمل الركبان شعري * بوادي الطلح أو وادي الخزامى
وكيما تعلم الفصحاء أني * خطيب علم السجع الحماما
وقد أطلعن بكل أرض * بدورا لا يفارقن التماما
فلم أعدم واياها حسودا * كما لا تعدم الحسناء ذاما

وله من أخرى (طويل)

أخلاي والآداب تجمع بيننا * وبعض طباع لست أقضي على كل
ذوي أملي عند اهتزاز غصونه * وأرخصني الدهر الذي كان بي يغلي
مني النفس في حمص وحمص لذي الحجا * قرولا لامرء تاصد عن البعل
نبت بي كما ينبو الجبان بنصله * ويحملني ما يأتيه ذنبا على النصل
وآيسني من كل خير رجونه * كثير وما شاهدت في المكثر والقل
أناس كما شاء الزمان ولا كما * تشاء المعالي عقدهم بيد الحل

أزورهم لاللودا د وقد دروا * فيلقونني بين التودد والغل
وأمدحهم يا حسبي الله كاذبا * فيجزونني بالمنع شكلا الى شكل
وما نقموا مني سوى بعد همتي * وأني أخيرا جئت أخلف من قبلي

وله من قصيدة يمدح بها أبا العباس بن على رحمه الله تعالى (بسيط)

ونوبة من صهيل الخيل يسمعها * بالرمل أطيب ألحانا من الرمل
لا ينفذ العزم الا أن ينفذه * والسيف يكهم الا في يد البطل
يا من كوكبا يغرق العافون في دفع * منه وتحترق الاعداء في شعل
تهويمة في بساط البيد يهجعها * أشهى اليه من التهويم في الكلل
لا يدرك الناس لو راموا ولو جهدوا * بالريث بعض الذى أدركت بالعجل

* (الاديب أبو العلاء بن صهيب رحمة الله عليه) *

نبيل المنازع جميل المنازع كريم العهد ذو خلائق كالشهد كثير الافتنان جار في ميدان الذكاء بغير عنان (طويل)

وكالسيف ان لاينته لان متنه * وحداه ان خاشنته خشنان

مع نظر متأصل وفهم الى كل غامض متوصل شرق بأبي أمية أوانا ولقي كل من صاحبه خزيا وهوانا ثم انتضا بقلوب دغلة وضمائر نغلة واخلاق متنافرة ونفوس بعضها ببعض كافرة وله فيه أهاج مقذعة وأقوال مستبشعة أضربت عن ذكرها وصنت كتابي عن نكرها وقد أثبت من بدائعه نكتا يباهي بغرائبها وتنتظم في لبات الايام وترائبها فمن ذلك قوله يمدح أبا أمية رحمه الله (طويل)

ذكرت وقد نم الرياض بعرفه * فأبدى جمان الطل في الزهر النضر
حديثا وحرأى للسعيد بروقني * كما راق نور الشمس في صفحة الدهر
سريت وثوب الليل أسود حالك * فشق بذاك السير عن غرة البدر
فلا أفق الا من جبينك نوره * ولا نفس الا في أنا ملك العشر
حنانيك في بر النفوس لعلها * تردبأنم الكف عارفة البر
وعندى حديث من علاك علقته * يسير كما سار النسيم على الزهر
فيبلغ أقصى الارض وهي عريضة * ويهدى جنى نور من الروضة الشعر
ففي كل أفق من حديثك عاطر * يسير به لفظي ويطلعه فكرى

ودونك مني قطعة الروض قطعة * تحييك عن ودي وتنفح عن شكري

ولقيني في أحد أسفاري الى ذلك الافق وأنا في جملة من حملة البيان ولمة من نبهاء الاعيان فأومأ الى الترجل فنعته وأقطعني من البر منزل ما أقطعته فقال (طويل)

سلام كفاح العبير الناسم * عليك أبا نصر خلال النواسم

أحيي به ذات الجلال وانما * أحيي به شخص العلا والمكارم

(وله الى ذي الوزارتين الكاتب أبي بكر بن القصيرة) وكانت بينهما مودة مما أكدا ومع بلي الايام متجددة على نأي دارهما وبعد قطبهما من مدارهما وكثيرة ما كان يرفعه عن المعونة بعنايته و ينزله الرتبة المصونة من حمايته عملا على شاكلة الجلال واتصافا لمشاكلة الخلال (طويل)

كتبت على رسمي فتى أبطالب * رضا لك وطولا من نهالك بأحرف

أباهي بها عبد الحميد براعة * وأجلها أجل الغريب المصنف

وله اليه (كامل)

نافس فديتك في ذمام المنتمي * وكن العلاء وجه ذلك الموسم

فالدهر يخدم ان وصلت بجده * والجد يدفع من خطير أعظم

أهدى على نأي المزار عناية * رفعت بذكرى فوق زهر الانجم

فوصلت من عز الذمام أمانيا * وركضت في نيل المراد بمقدم

فعلي في شكر الملاذ أليه * وقفت على شكر الملاذ تيمي

ولما طوى أبا بكر مقدور حمامه وثوى نجم اهتباله به واهتمامه عاد الى المغرم فقال قول الضجر المبرم (متقارب)

فمن كان ينقص أغلاله * فان المعونة لا تنقص

تكسر بعا بلاوية * وكل طريد بها يقنص

(الاديب أبو القاسم بن العطار رحمه الله تعالى)

أحد أدباء أشبيلية ونحاتها العامرين لارجاء المعارف وساحاتها لولا مواصلة راحاته وتعطيل بكره وروحاته وموالاته للفرج ومغالاته في عرف لانس أو أرج لايعرج الاعلى ضفة نهر ولايلهج الا بقطعة زهر ولايحفل بملام ولا ينتقل عن المدام الا في طاعة غلام ناهيك من رجل مخلوع العنان في ميدان

الصبابة مغرم بالمحاسن غرام يزيد بجبابة لا تراه الا فى ذمة انهماك ولا تلقاه الا فى ملة انتهاك رافع الرايات الهوى قارع الثنيات الجوى لا يقفر فؤاده من كلف ولا يبيت الا رهن تلف أكثر خلق الله علاقة وأحضرهم لمشهد خلاقة مع جزالة تحرك السكون وتضحك الطير فى الوكون وقد أثبت له ما يرتجله فى أوقات أنسه وساعاته وينفث به أثناء زفراته ولوعاته فمن ذلك ما قاله فى يوم ركب فيه النهر على عادة انكشافه وارتضاعه لثغور اللذات وارتشافه (طويل)

ركبنا على اسم الله نهرا كأنه * حباب على عطفيه وشى حباب

والاحسام جال فيه فرنده * له من مديد الظل أى قراب

وله فى ذلك اليوم (طويل)

عبرنا سماء النهر والجو مشرق * وليس لنا الا الحباب نجوم

وقد ألبسته الايك برد ظلالها * وللشمس فى تلك البرود رقوم

وله فيه (كامل)

لله بهجة منزه ضربت به * فوق الغدير رواقها الانسام

فع الاصيل النهر درع سابغ * ومع الضحا يلتاح فيه حسام

وله فيه (طويل)

مررنا بشاطى النهر بين حدائق * بها حدق الازهار ترنو فى الحدق

وقد نسجت كف النسيم مفاضة * عليه وما غير الحباب لها حلق

وله فيه (خفيف)

هبت الريح بالعشى فحاكت * زردا للغدير ناهيك جنه

وانجلى البدر بعد هدء فصاغت * كفه للقتال منه أسنه

وله فيه (كامل)

مالى على سطوات الدهر من جلد * ألقيت نحو تباريح الهوى بيدى

جليت عن منهل السلوان فى رشا * بجيده حلية من صنعة الغيد

مذ قادنى طرفه للحين أعلمنى * ان العيون لها قتلى بلا قود

وله يخاطبنى وقد رحلنا الى قرطبة (وافر)

كتبت اليك يارب الكتابه * حروفا خطها قلم الكآبه

وبين جوانحى للشوق نار * تجول بين أجفانى سحابه

لئن تاهت بك الدنيا بهاء * لقد هامت بك العليا صبابه
ولو رفعت عيون المجد بندا * تلق منها راياتها عرابه
بقرطبة البيان تعب عبا * وليس يحمصنا منه صبابه
عبرت الى المكارم بحر بيد * على وجناء سار به صحابه
وأما حمص منذ رحلت عنها * فيأبى وجهها الا كآبه

وله يصف عشية انس (كامل)

ما كالعشية في رواء جمالها * وبلوغ نفسي منتهى آمالها
ماشئت شمس الارض مشرقة السنا * والشمس قد شدت مطي رحالها
في حيث تنساب المياه أراقما * وتعير الافياء برد ظلالها

وله متغزلا (كامل)

هب النسيم مع العشي فشاقني * اذ كان من جهة الحبيب هبوبه
وكأنه اذهب من تلقائه * عرف القرنفل والعبير يشوبه
قد كنت ودعت الصبا وادعه * وأخو الصبابة لا تفيق ندوبه
فدعا الهوى لي دعوة لم أعصها * والصب راحة قلبه تعذيبه
لولم أجب داعي الهوى وعصيته * لغدت جفوني بالدموع تجيبه

وله أيضا (كامل)

لله حسن حديقة بسطت لنا * منها النفوس سوالف ومعاطف
تختال في حلل الربيع وحليه * ومن الربيع قلائد ومطارف

(وله) مشتكيا من وجده وغرامه متبركا بطلبائه وآرامه على عادته في بوحه وحنينه في عويله ونوحه (بسيط)

لابد للدمع بعد الجري أن يقفا * وحبه سال فؤادي عنده أسفا
ولي غزال اذا ما دقت غرته * جنيت من وجنتيه روضة أنفا
كالبدر حسنا لا كالظبي ملتفتا * كالروض مبتسما كالغصن منعطفا
ماهمت فيه ولا هام الانام به * حتى غدا الدهر مشغوفا به كلفا
أيرتضي الفضل أن أطوى على حرق * وفي مراشفه اللعس الشفاء شفا
ماصافح الروض كف المزن تزرقه * الا أرتنا به من خطه صحفا

وله في مثله (طويل)

الا

ألايا نسيم الريح بلغ تحيتي * فمالى الى الفى سواك رسول
وقل لعليل الطرف عنى بأننى * صحيح التصابى والفؤاد عليل
أينشر ما بينى وبينك فى الهوى * وسرك فى طى الضلوع قتيل

وله فى مثله (كامل)

بأبى غزال ساحر الاحداق * مثل الغزالة فى سنا الاشراق
شمس لها فوق الجيوب مشارق * ومغارب بجوانح العشاق
نثر العقيق ونظم در رائق * فى مرشفيه وثغره البراق
عقد من السحر الحلال بلفظه * وبها تحل معاقد الميثاق
هلا وقد مدت اليه ضراعتى * يدها تصافحها يد الاشفاق
ديم الغمام برعدها وبرقها * كاثرتها بسحائب الاشواق
ما أدمعى تنهل سفحا انما * هى مهجتى سالت على الآماق

وله (بسيط)

الحب تسبح فى أمواجه المهج * لومد كفا الى الغرقى به الفرج
بحر الهوى غرقت فيه سواحله * فهل سمعتم ببحر كله لجج
بين الهوى والردى فى لحظه نسب * هذى القلوب وهذى الاعين الدعج
دين الهوى شرعه عقل بلا كتب * حكما من الله ليست لها حجج
لا العذل يدخل فى سمع المشوق ولا * شخص السلو على باب الهوى يلج
كأن عينى وقد سالت مدامعها * بحر يفيض ومن آماقها خلج
جار الزمان على أبنائه فغدت * تغتال أعمارنا الآصال والدلج
بين الورى وصروف الدهر ملحمة * وانما الشيب فى هاماتهم رهج

وله يتغزل (كامل)

رقت محاسنه وراق نعيمها * فكأنما ماء الحياة أديمها
رشأ اذا أهدى السلام بمقلة * ولى بلب سليمها تسليمها
سكرى ولكن من مدامة لحظه * فاغضض جفونك فالمنون نديمها

(وله فى الوزير الاجل أبى حفص الهوزنى) رحمه الله وقد مات بنهر طلبيرة عند افتتاحها قصيدة طويلة منها (طويل)

وفى كفه من مائع الهند جدول * عليه لارواح العداة تحوم

بحيث الصدى بين الجوانح يلتظى * ونار الوغى بين الاسنة تضرم
وما من قليب غير قلب مدجج * ولا شطن الا الوشيج المقوم
ووجه الضحا من ساطع النقع كاسف * بيوم له زرق الاسنة أنجم
ولما رأوا أن لا مفر لسيفه * سوى هامهم لاذوا بأجرامهم
فكان من النهر المعين معينهم * ومن ثلم السد الحسام المثلم
فهلا ثنى عنه الردى فى زلاله * رداء برقراق الفقاقيع معلم
فيا عجبا للبحر غالته نطفة * وللاسد الضرغام أرداه أرقم

وله يتغزل أيضا (كامل)

ليل يعارضه الزمان بطوله * مالى به الا الاسى من مسعد
نظمت لؤلؤ أدمعى فى جيده * فكانما فيه النجوم الاسعد

وله أيضا (منسرح)

وسنان ما ان يزال عارضه * يعطف قلبى بعطفة اللام
أسلمنى للهوى فواحزنا * ان بزنى عفتى واسلامى
لحاظه اسهم وحاجبه * قوس وانسان عينه رامى

* (الاديب الحاج أبو عامر بن عيشون) *

رجل حل المشيدات والبلاقع وحكى النسرين الطائر والواقع واستدر خلفى البؤس والنعيم وقعد مقعد البائس والزعيم فآونة فى سماط وأخرى بين درانك وأنماط ويوما فى ناموس وآخر فى مجلس مأنوس رحل الى المشرق فلم يحمد رحلته ولم يعلق بأمل نحلته فارتد على عقبه ورد من حبالة الفوت الى منتظره ومرتقبه ومع هذا فله تحقق بالادب وتدفق طبع اذا مدح أو نسب وقد أثبت له ماتعلم به حقيقة نفاذه وترى سرعة وخده فى طرق الاحسان واغذاذه

(فمن ذلك) ما كتب به الى يستدعينى بفاس (طويل)

أيا موضع الشكوى أراح نجيها * غوارب آمالى على شواردا
وروضة آداب تعهدها النهى * فأزهارها تجنى تؤاما فرادا
تهيم بعلياك النفوس جلالة * فقصد من حب علاك الحواسدا
تناهبت الافكار أنسى ولا يد * اذودبها فكرا عن الانس ذائدا
يطارحنى الوسواس حتى كانما * اساوره منها كل حين أساودا

سوى أن قربامنك ان سمحت به * ليال ضنينات وسمن مجاودا
فأبهلو بمرآك البهى نواظرا * تبيت برغم المجد رمدا سواهدا
هلم الى ورد من الانس سائغ * تظله الآداب هدلا موائدا
يرق جناها حكمة وبلاغة * فتنتظم مقطوعاتها والقصائدا
اذا انتدبت كانت قناً وقنابلا * وان غزلت كانت طلا وقلائدا
تنير على الايام حربا لعالها * تقيد لنا يوما الى البين قائدا
تتوج بالكاسات منك أناملا * يظل لها تاج ابن ساسان ساجدا
وان أنا واقعت الجفاء فغرم * قد أورده حب المعالى الموارد

(وأخبرنى) أنه دخل مصر وهو سارفى ظلم البوس عار من كل لبوس قد خلا من النقد كيسه وتخلى عنه الاتقدير وتنكيسه فنزل بأحد شوارعها لا يفترش الا تكده ولا يتوسد الا عضده وبات بليلة ابن عبدل تهب عليه صرصرلا ينفح منها عنبر ولا صندل فلما كان من السحر دخل عليه ابن الطوقان فأشفق لحاله وفرط انحاله وأعلمه أن الافضل استدعاه ولوارتاد جوده بقطعة يغنيه اذ لاخصب مرعاه فصنف له فى حينه (بسيط)

قل للملوك وان كانت لهم همم * تأوى اليها الامانى غير متئد
اذا وصلت بشاهنشاه لى سببا * فلن أبالى بمن منهم نفضت يدى
من واجه الشمس لم يعدل بها قمرا * يعشو الى ضوئه لو كان ذا رمد

فلما كان من الغدوا فاه فدفع اليه خمسين مثقالا مصرية وكسوة وأعلمه أنه غناه وجود الاظهار للفظه ومعناه وكرره حتى أثبته فى سمعه وقرره فساله عن قائله فأعلمه بقائله وكلمه فى رفع خلته فأمر له بذلك وكتب الى بستحق (طويل)

كتبت ولو وفيت برك حقه * لما اقتصرت كفى على رقم قرطاس
ونابت عن الخط الخطا وتبادرت * فطورا على عينى وطورا على راسى
سل الكاس عنى هل أديرت فلم أصغ * مديحك ألحانا يسوغ بها كاسى
وهل نافح الآس الندامى فلم أدع * ثناءك أذكى من منافحة الآس

وله (طويل)

قصدت على أن الزيارة سنة * يؤكدها فرض من الود واجب
فألفيت بابا سهل الله قصده * ولكن عليه من عبوسك حاجب

مرضت ومرضت الكلام تثاقلا * الى ان خلت انك عاتب
فلا تتكلف للعبوس مشقة * سأرضيك بالهجران اذ أنت غاضب
فما الارض تدمير ولا انت أهلها * ولا الرزق ان أعرضت عنى حاجب
(ورأى على غفارة) وخاتما كلاهما مستغرب فوجه الى فى الغفارة فبعثها اليه فكتب الى (طويل)

نشقنا من المجد المؤثل نفحة * تزيد على الند المثلث والمسك
وماذا الان سألت تجادلى * أبو نصر الاعلى بعز نسبه المسكى
ينظم فى جيد المعالى قلائدا * هى الدر للجدوى وعلياء للسلك
اذا ختمت عيناه منى عاطلا * خلعت على اليسرى به خاتم الملك
وان حكمت أيدى اللئام بشكرها * حكمت فلم أجمل بلافى ولا حكى

* (الاديب أبو الحسن غلام البكرى رحمه الله تعالى) *

ذو الخاطر الجائش البارى لنبل المحاسن الرائش الذى اخترع وولد وقلد الاوان من احسانه ما قلد طلع فى سماء الدولة العبادية نجما وصار لمسترقى سمعها رجما وكان له فيها مقام محمود ووقدم بعزم مخود ثم استوفى ماله ولبس العمر حتى أخلقه صحب الدولة المرابطية برهة من الزمان لا بأوته ليد غيرها الى وجمان (وقد أثبت) له ما تستغربه وشيرك به مشرقه ومغربه فمن ذلك قوله من قصيدة أولها (طويل)

ألاحت وللظلماء من دونها سدل * عقيقة برق مثل ما انتضى النصل
أطارت سناها فى دجاها كأنه * تبلج خد تحته فاحم جثل
لدى ليلة رومية حبشية * تغازلنا من شهبها أعين شهل
تود عيون الغانيات لو أنها * اذا مرضت عند الصباح لها كحل
بدت فى حلاها فالتقتنا نجومها * بانجم راح فى الشفاه لها أفل
الى ان بدا للصبح فى طرة الدجا * دبيب كما استقرت مداريها النمل
نعيم أرى الايام تثنى عنانه * علينا اذا التى ثنيته الحسل
أفى لهوات الليث ربع أبيه * ولو عاقنى فيها مجاحته الصل
نكرت الدنا والارض فيها ليس لى * بها عقوة آوى اليها ولا أهل
وأفردنى صرف الزمان كأننى * طرير من الهندى أخلصه الصقل

فياليت شعرى هل مقامى لنية * نعم بصراها المطية والرجل
وسير بخل المرء منه قريبه * فريدا كما خل تريكته الرأل
فكم من حبيب كان روضة خاطرى * يرف ويندى بين افنانها الوصل
تحاظله اذ كورت لى شمسه * فشخص نعيمى لا يقوم له ظل
غبرت وبادوا غير ان المبتغى * وراءهم عيش يلذ له القتل
اذا كان عيش المرء أدهى من الردى * ففائدة الايام داهية تختل
اذا قنع المضطر كانت بكفه * مفاتيح لم يبهم لها أبدا قفل
ومن راد لم يعدم من الله نجعة * ففى كل محل من غمامته وبل

ولى (متقارب)

أعز البرية فى نفسه * فتى خاشع الطرف من غير ذل
ومن يزن القول وزن النضار * فلا يفتح القول او يعتدل
ترى كل ألوث من قوله * يضاحك حكمته بالخطل
ويحكى الاقاويل جهلا بها * كما حكت الصوت بنت الجبل
بكاثر نوع الاذى فى الورى * فلست ترى غيرهم أذل
وقل أولو الفضل ان حصلوا * وهل يحصل نور المقل
نخالط أناسا وزايلهم * ولكن فيهم ظلك المنتقل
لقاؤهم يستدر الدموع * ويذكى الضلوع كواهى الطلل
وفيهم تشابه ما فى الفلاة * خداع السراب وجور السبل
وبين خلوى ما بينها * وينهض فى الحادث المعضل
وفى راحتى مرائى الهدى * تريك التعاشى قبل الزلل
وطعن قواف لها شكة * مجن وقاح ونصل عجل
عوت ويحيابها من علا * وليست تعوج على من سفل
حديقة فكر سقاها الحجى * فأثمرت الكلم المنتصل
تمر على اذن المستعيد * مرور الحيا بالجديب المحل
يسربها المحسن وصف الحسود * ويصغى لها الوذقلب الدغل

وله أيضا (بسيط مخلع)

أرقنى بعدك البعاد * فناظرى كحله سهاد

ياغائبا وهو فى فؤادى * ان كان لى بعده فؤاد

الله يدرى وأنت تدرى * ان اعتقادى لك اعتقاد

تذكر والجياد ثات بلد * ليس لها ألسن حداد

ونحن فى مكتب المعالى * يصبغ أفواهنا المداد

يبدل ستر الصبا علينا * والامن من تحتنا مهاد

لا نهتدى لما خلقنا * نجهل ما الكون والفساد

تكاؤنا من حفاظ بكر * لو اخطط ما لها رقاد

وهمة ناصت الثريا * تقود صعبا ولا تقاد

أذمة بيننا لعمرى * يحفظها السيد الجواد

ياغرر المجد فى جباه * لم يبد أشكالها الجياد

آثاركم فى العلا قديما * دانت لها جرهم وعاد

سبحان من خصكم بأيد * بهن تستعبد العباد

اذا استهلت لها سماء * أورق من تحتها الجماد

والآن تبلى ورب جود * حل على ناره الرماد

وأنت فى ألسن البرايا * معنى بألفاظها معاد

حسب العدا منك ما رأوه * لا وريت للعدا زناد

لم يعلم الصائدون منهم * أنك عنقاء لا تصاد

وان فى راحتيك سعدا * تندق من دونه الصعاد

والليث شبعان لا يبالى * اذا نزت حوله النقاد

(الاديب أبو عبد الله بن الفخار المالقى رحمه الله تعالى)

صاحب لسن وراكب هواه من قبح وحسن لا يصد اذا سمم ولا يرد عما يهم حمى الانف لا يضام قوى الشكيمة لا يرام وقف للمطالبة والاسنة قد أشرعت وثبت والاطواد قد تضعضعت حتى أقعد عدوه وصفا رواحه وغدوه وقد أثبت له ما يستطاب ويسرى فى النفس كما يسرى فى البلح الارطاب (فمن ذلك) قوله (طويل)

بأى حسام أم بأى سنان * أنازل ذا القرن حين دعانى

لئن عرى اليوم الجواد لعلة * فبالامس شد واسرجه لطعان

وان عطل السهم الذى كنت رائشا * ففيه دم الاعداء أحمر قانى
ألا ان درعى نثرة تبعية * وسيفى صدق ان هززت يمانى
وماقصبات السبق الالادهمى * اذا الخيل جالت فى مجال رهان
فتى اقتفى من حالت وثافه * وأعطى غداة المزدلة عان
وقد علم الاقوام من صح وده * ومن كان منا دائم الشنآن
ومايزدهينى قول كل عدوه * وليس له بالمعضلات يدان
ويزعم أنى فى البيان مقصر * ويأبى بنانى واقتدار لسانى
وانى لنهاض بكل عظيمة * يضيق عليها ذرع كل جنان
نهضت بها وحدى وغيرى مدع * يشارك أهل القول شرك عنان
أينسى مقامى اذ أكافح دونه * وقد طار قلب الدهر بالخفقان
ويذكر يوما قت فيه بخطبة * كأثار عقد الماء بالسيلان
فقرى جمارى ان دونك فارسا * يميلك بالاخلاف والوليان
وما هو الا المرء يقطع رأسه * وان دهنوه حيلة بدهان
تهاون بالانصاف حتى أحله * وقد كان ذا عز بدار هوان
ولو كان يعطى الزائرين حقوقهم * لما تركوه فى يد الحدثان

وله (طويل)

الى كم يجد المرء والدهر يلعب * ويبعد عنه الامن والخوف يقرب
وهل نافعى ان كنت سيفا مصمما * اذا لم يكن يلق لحدى مضرب
أبيتهم والليل كالنقس أسود * واصحبهم والصبح كالطرس أشهب
فلا أنا عما رمت من ذاك مقصر * ولا خيل عزمى للمقادير تغلب
أبا حسن سائل لمن شهد الوغى * لئن كنت لم أصبح أهش وأطرب
وأعتنق الابطال حتى كانما * يعانقنى منهم من البيض ربرب
أخاتلهم كالذيب وحدى وتارة * يصول بهم منى المزعفر يقضب
وفى كل باب قد ولجت لكيدهم * ولكن أمور ليس تقضى فتصعب
فوا أسفا كم ذا أبيت بذلة * وسيفى ضجيعى والجواد مقرب

وله أيضا (طويل)

أمستنكر شيب المفارق فى الصبا * وهل ينكر النور المفتح فى غصن

اطرق طلاب المجد شيب مفرق * وان كنت فى احدى وعشرين من سنى
(وكتب الى أبى عبدالله بن أبى زنقى) رحمه الله عند ولايته سجلماسة والشعر طويل
أثبت بعضه (طويل)

بمن حل فى سرغ فؤادك هائم * وهيهات منك اليوم من حل فى سرغ
وتكلف بالداعى هلم الى الوغى * طماعا بأن تدنو من ابن أبى زنقى
وكتابه نبغى قضاء لبانة * ولو أنه يبقى لقضى الذى نبغى
سلام عليه عذب النفس بعده * عقارب هم لا تفيق من اللدغ
وشوقا اليه أصبح القلب عنده * ولم تثنه خود معقربة الصدغ

وله أيضا (متقارب)

أقل عتابك ان الكريم * يجازى على حبه بالقلا
وخل اجتنابك ان الزمان * يمر بتكديره ما حلا
وواصل أخاك بعلاته * فقد يلبس الثوب بعد البلا
وقل كالذى قاله الشاعر * نبيل وحقك أن تنبلا
اذا ما خليل أسى مرة * وقد كان فيما مضى مجملا
ذكرت المقدم من فعله * فلم يفسد الآخر الاولا
أبا حسن ان أتى حادث * يجرد لى سيفك المصقلا
فودى جديدك لم أبله * يروقك فى حليه والحلا
أرى الملامة عنك الزمان * واصحبك الاكرم الافضلا
أقول وأنت لسان المقال * وعين الكمال ورأس العلا
لئن جار فيك على الزمان * فقد كان لى حكما أعدلا
ليالى كنت صحيح الاخا * صريح الوفاء بما أملا
تدافع عنى خطوب الزمان * بضرب الرقاب وطعن الكلى
ولكن أطعت غواة الرجال * وبعت صديقك لا بالغلا
سأصبر للخطب حتى يزول * وأدعو له رأيك الاجملا
ودونكها كالعروس الكعاب * عليها من الحلى ما فصلا
فكاز بدا بالدهن فى لينها * وتخزى بشدتها الجندلا
اذا صيد الشعر طير بغاث * رأيت لها الطائر الاجدلا

ولم ألف جدك جد الذى * أكف به النازل المعضلا

(الاديب أبو عامر بن المرابط رحمه الله تعالى)

مديد الباع شديد الانطباع سلك مسالك المرققين وترك سبيل المتشدقين وأتى من الابداع بما أراد وسابق الافذاذ والافراد الا أن هلاله لم يدرك الاقمار وطواف عمره لم يبلغ الاعتمار فاحتضر صغيرا وأغار على المعانى حتى كر الدهر عليه مغيرا وكانت له همة لم تعلق يده بعمل ولم تطلق له عنان أمل فأغرى بالخمول ورئى من منازل المأمول حتى حواه ملحده وطواه دهره وهو أوحده وقد أثبت له ما تعرف به نبله وترى الى أى غرض كان يرمى نبله (فن ذلك) قوله يتغزل (رمل مجزوء)

سران اسطعت فانى * لست أسطيع مسارا
ذلك البدر الذى قا * بلت لا يلتى السرارا
قلدوا مبسمه الدر * وجفنيه الشفارا
كلما أومأ باللحـ * ـظ يمينا أو يسارا
لا ترى عيناك الا الـ * ـقوم قتلى أو أسارى
لا تزع يا شادن الاجـ * ـراع كم تهوى النفارا
لك هذا القلب زعا * ما أراكا وعرارا

وله أيضا فى المعنى (بسيط مخلع)

هنالك الرى من دموعى * يا ظبى والظل من ضلوعى
فرد معينا ورد ظليلا * غير مذود ولا مروع

وله فى غير ذلك (طويل)

يشرد أنسى موعد بعداوة * ويبسط نفسى مقبل بوداد
لقلوا اذا والوا فغير أصاحب * وهانوا اذا ولوا فغير أعادى
وقول له وقع الاسنة لم أزل * أكف عنانا عنه يوم طراد
تهاوى قلوب فيه بين أسنة * وتأوى جنوب منه فوق قتاد
وحال تثير البيض والسمر مثل ما * أسام العلا فى مسرح ومراد
لبست اليها الصبر برد مفاضة * وأمطيت فيها العزم ظهر جواد

وله (مديد)

من رأى ذاك الغزال غدا * يتثنى في اجارعه
بغضيض الاجفان عن سنة * أشربتها في مضاجعه
نظرات الظبي روعه * قانص أدنى مراتعه
بشر أو منه قمر * سن قتلي في شرائعه

وله (طويل)

تركت الليالي لا أذم صروفها * ولا أحمد الايام ايان تقبل
ونبهت عزمي لسرى فأجابني * وكالعزم ما استنجدت من ليس يخذل
ويبعدني ان ينقلني الشوق فتية * اذا ركبوا ما المجد والمجد منزل
تجافوا عن الاوطان عزة أنفس * قصرن خطا الاعمار والضيم منهل
بعصر عيون ان رأى قريرة * وعني أوطان ببغداد تسأل

وله من قصيدة (طويل)

أعيدوا على الربع الانيق تحية * أخفف منها والركاب ربوع
دموعي والاطلال أبكي فان يكن * ضلالا فاني للضلال تبوع

وله من أخرى (كامل)

فتناوحت فيه الرياح مع الضحا * حتى تبدل ترابه المزن
ويسيل أبطحه وأجرعه معا * ويرق ذلك السهل والحزن

وله (وافر)

تقول مطيتي لما رأتني * وبينك لا تواد عني فراقا
وقد أخذ السرى مني ومنها * ما أخذ لانطيق لها مساقا
لقد عبثت بنا النكبات حتى * لودت كل نائبة فراقا

وله أيضا (طويل)

سل الركب عن نجد فان تحية * لساكن نجد قد تحملها الركب
والافبال المطي على الدجا * خفاقا وما للريح جرجفها رطب

وله أيضا (رمل مجزوء)

راقنا النهر صفاه * بعد تكدير صفائه
كان مثل السيف مدمى * جلوه عن دمائه
أو كمثل الورد غضا * فهو اليوم كمائه

(الاديب أبو الحسن باقي بن أحمد رحمه الله تعالى)

شيخ الانقباض وسهم المعاني والاغراض لم يكن له ظهور ولا يوم في الحظوة مشهور مع أدبه الباهر ومذهبه الطاهر ونفسه الزكية ومنازعه الذكية فاقتصر على القبائي أبي أمية يندب بربعه اندداب غيلان باطلال مية واقتنع بوشله فاضطلع بعبء تكاليفه على ضعفه وفشله لم ينتجع سواه ولم يسترجع الامن ضيق محله لديه ومثواه وقد أثبت له ما تستعذبه وتستطيبه وتعلم به انه امام الاحسان وخطيبه فمن ذلك ما كتب به اليه (بسيط)

الدهر لولاك ما رقت سجاياه * والمجد لولاك ما عرفنا معناه
كان العلا والنهى سرا تضمنه * صدر الزمان فما الحت أفشاه
آيات فضلك نتلوها ونكتبها * في صفحة البدر ما أبدى محياه
فأنت عضب وكف الدهر ضاربة * تنبو الخطوب ولا تنبو غراراه

(وله) الى أبي العباس الغرباني وقدوا في مرسية فعزم على زوره وقطف أزهاره ونوره فانه من ابداع المجالسة وامتاع المؤانسة في حد يستنبل وكانه شهاب يقتبل (كامل مجزوء)

يا ماجدا في قربه * من كل هم لي فرج
ومملكا بقباله * وفعاله رق المهج
هل طن اذنك اللقا * فأن عيني تختلج

(وصحب أبا أمية الى العدوة) فمروا بفاس وفيها الوزير أبو محمد بن القاسم وزير ملكها وبدر فلكها وكان من سمو الهمة بحيث يجلو الظلام العاكر ويخجل الوسمي الباكر فكتب اليه (متقارب)

نسيم الصبا بذمام العلا * تمش على الروض مشي الكسير
وسر عبق النشر حتى تحل * محل السيادة ربع الوزير
فطأمن حشاها ودون الضلوع * حذار مهابته أن يطير
وقبل أنامله انها * تنم اثر في فيضها للبحور
وذكر بحاجة ضيفه له * فؤاد يقيم وجسم يسير
له أمل قبل وشك الرحيل * طويل المدى ومداه قصير
وقل ان لقيا الوزير الاجل * يقرب كل بعيد عسير

(الاديب أبو جعفر بن النبي رحمه الله تعالى)

مطبوع النظم نبيله واضح نهجه في الاجادة وسبيله ويضرب في علم الطب بنصيب وسهم يخطئ أكثر مما يصيب وكان ألف غلمان وحليف كفر لا ايمان مانطق متشرعا ولا رمق متورعا ولا اعتقد حشرا ولا صدق بعثا ولا نشرا وربما تنسك مجونا وفتكا وتمسك باسم التقى وقد هتكه هتكا لا يبالي كيف ذهب ولا بما تمذهب وكانت له اهاج جرع فيها صابا ودرع منها أوصابا وقد أثبت له ما ترشف ريقا ويلتحف به الاوان شروقا فمن ذلك قوله يتغزل (كامل)

من لي بغرة فاتر يختال في * حلل الجمال اذا مشى وحليه
لوشب في وضح النهار شعاعها * ما عاد جنح الليل بعد مضيه
شرقت بماء الحسن حتى خاصت * ذهبية في الخد من فضيه
في صفحتيه من الحياء أزاهر * غذيت بوسمى الصبا ووليه
سلت محاسنه لقتل محبه * من سحر عينيه حسام سميه

وله (رمل مجزوء)

كيف لا يزداد قلبي * من جوى الشوق خبالا
واذا قلت علي * بهر الناس جمالا
هو كالغصن وكالبد * ر قواما واعتدالا
أشرق البدر سرورا * وانثنى الغصن اختيالا
ان من رام سلوى * عنه قد رام محالا
لست أسلو عن هواه * كان رشدا أو ضلالا
قل لمن قصر فيه * عذل نفسي أو أطالا
دون أن تدرك هذا * يسلب الافق الهلالا

(وكنت بميورقة) قد دخلها متسما بالعبادة وهو أسرى الى الفجور من خيال أبي عبادة قد لبس اسمالا وأنس الناس منه أقوالا لا اعمالا وسجوده هجود واقراره بالله جحود وكانت له بها احداث رابطة كان يلوزهما مرتبطا ولكأنها مغتبطا معاهدا بالعقيق وسمى فتى كان يتعشقه بالجى وكان لا يتصرف الا في صفاته ولا يقف الا في عرفاته ولا يورقه الا في جواه ولا يشوقه الا هواه فدخلت عليه يوما لازوره وأرى زوره فاذا أنا بأحد دعاة محبوبه ورواة تشبيبه

فقال

فقال له كنت البارحة مع فلان بحماه وذكر له خبرا ورّى عنه وعماه فقال مرتجلا (وافر)

تنفس بالحمى مطلول روض * فأودع نشره ريحا شمالا
فهبّت بالعقيق الى كلى * تجرّ ذيله اردانا خضالا
أقول وقد شممت الترب مسكا * بنفحتها يمينا أو شمالا
نسيم بات يجلب منك طيبا * ويشكو من محبتك اعتلالا
ينمّ الى من زاهرات روض * حنوت جوانحي منه ذبالا

ولما تقرر عند ناصر الدولة من أمره ما تقرر وتردد على سمعه انتهاكه وتكرر أخرجه ونفاه وطمس رسم فسوقه وعفاه فأقلع الى المشرق وهو جار فلما صار من ميورقة على ثلاثة مجار نشأت له ريح صرفته عن وجهته وردته الى قصد مهجته فلما لحق بميورقة أراد ناصر الدولة اباحته واراقة الدين منه واراحته ثم آثر صفحه وأخمد لهيب ذلك الحنق ولفحه وأقام أياما ينتظر ريحا تزجيه ويستهديها لتخلصه وتنجيه وفي أثناء تلويه لم يتجاسر أحد من اخوانه على اتيانه وجهلوا أثره كعيانه فقال يخاطبهم (وافر)

أحبتنا الاولى عتبوا علينا * فأقصرنا وقد أزف الوداع
لقد كنتم لنا جذلا وأنسا * فهل في العيش بعدكم انتفاع
أقول وقد صدرنا بعد يوم * أشوق بالسفينة أم نزاع
اذا طارت بنا حامت عليكم * كأن قلوبنا فيها شراع

وله (وافر)

بني العرب الصميم ألا رعيتم * ما آثركم بآثار السماح
رفعتم ناركم فعشا اليها * عشاء فارس الحي اللقاح

وله في القاضي عبد الحق بن الملجوم (بسيط)

وسائل كيف حالي اذ مررت به * ومن لواحظه كل الذي أجد
ولي يد اذ توافقنا أشدّ بها * على فؤادي وفي يمنى يديه يد
والجمر في خدّه الوضاح رونقه * يندى وفي قلبي الملهوف يتقد

وله فيه أيضا (بسيط)

يا من يعذبني لما تملكني * ماذا تريد بتعذيبي واضراري

تروق حسنا وفيك الموت أجمعه * كالصقل فى السيف أو كالنور فى النار

وله يذم بنى هود ويمدح القاضى أبا الوليد هشاما وأخاه عليا (بسيط)

مافى بنى يوسف مباع لمكرمة * سواك أو صنوك العالى أبى الحسن

كرمتما واعتدى باللوم غيركما * والشوك والورد موجودان فى غصن

وله (كامل)

وكأنما رشأ الحى لما بدا * لك فى صناعة الحديد المعلم

نصب الحمام قسيه فأعارها * من حسن معطفه قوام الاسهم

وله (طويل)

وذى وجنة وقادة الصقل قاسمت * حسامى فبات صقلها بجراحى

نظرت اليه فانقالى عقله * ترد على نحرى صدور رماح

حميت الجفون النوم يارشأ الحمى * وأظلمت أيامى وأنت صباحى

وله (طويل)

غربت الثريا فى البعاد مكانها * وأودعت فى عينى صادق نورها

وفى كل حال لم تزالى بخيلة * فكيف أعرت الشمس حلة نورها

وله فى غزل (بسيط)

قالوا اتصيب طيور الجو أسهمه * اذا رماها فقلنا عندها الخبر

تعلمت قوسه من قوس حاجبه * وأيد السهم من ألحاظه الحور

يلوح فى بردة كالنقس حالكة * كما أضاء بجنح الليلة القمر

ورعا رافى خضراء مورقة * كما تفتح فى أوراقه الزهر

(الاديب الوزير أبو بكر بن الصائغ)

هو رمد جفن الدين وكمد نفوس المهتدين اشتهر سخفا وجنونا وهجر مفروضا ومسنونا فما يتشرع ولا يأخذ فى غير الاضاليل ولا يشرع ناهيك من رجل ماتطهر من جنابة ولا أظهر مخيلة انابة ولا استنجى من حدث ولا أشجى فؤاده بتوار فى جدث ولا أقر ببارئه ومصوره ولا فر عن تباريه فى ميدان تهوره الاساءة اليه اجدى من الاحسان والبهيمة عنده أهدى من الانسان نظر فى تلك التعاليم وفكر فى اجرام الافلاك وحدود الاقاليم ورفض كتاب الله الحكيم العليم ونبذه وراء ظهره ثانى عطفه وأراد ابطال مالا يأتيه الباطل من بين يديه

ولا

ولا من خلفه واقتصر على الهيئة وأنكر أن تكون له الى الله تعالى فيئة وحكم
لفكره كذب بالتدبير واجترم على الله اللطيف الخبير واجترأ عند سماع النبي
والايعاد واستهزأ بقوله تعالى ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد فهو
يعتقد ان الزمان دور وان الانسان نبات له نور حمامه تمامه واختطافه
اقتطافه قد محى الايمان من قلبه فما له فيه رسم ونسى الرحمن لسانه فما يزله عليه
اسم وانثنت نفسه الى الضلال وانتسبت ونفت يوما تجزى فيه كل نفس
بما كسبت فقصر عمره على طرب ولهو واستشعر كل كبر وزهو وأقام سوق
الموسيقا وهام بحادى القطار وسيقا فهو يعكف على سماع التلاحين ويقف
عليها كل حين ويعلن بذلك الاعتقاد ولا يؤمن بشئ قاد نا الى الله فى أسلس
مقاد مع منشأ وخيم ولؤم أصل بخيم وصورة شوهها الله وقبحها وطلعة
اذا أبصرها الكلب نبحها وقذارة يؤذى البلاد نفسها ووضارة يحكى الحداد
دنسها وقد لا يعمر الا كنفه ولذ لا يقوم الا الصعاد جنفه وله نظم أجاد فيه
بعض اجادة وشارف الاحسان أو كاده فمن ذلك ما قاله فى عبد حبشى كان يهواه
فاشتمل عليه اسر سعر جواه ونقله الى حيث لم يعلم مثواه فقال (بسيط)

يا شائقى حيث لا أستطيع أدركه * ولا أقول غدا أغدو فألقاه
أما النهار فليلى ضم شملته * على الصباح فأولاه كأخراه
أغرتنى بآمال مزخرفة * منها لقاؤك والايام تأباه

وله فيه حين بلغه موته وتحقق عنده فوته (وافر)

الا يا رزق والاقدار تجرى * بما شاءت تشاء ولا تشاء
هل أنت مطارحى شكوى فتدرى * وأدرى كيف يحتمل القضاء
يقولون الامور تكون دورا * وهذا فقده فتى اللقاء

وومض له برق من ناحية برشلونة حيث أسر فأنس به وسر فقال (خفيف)

ايه يا برق قل حديثك عن نجـ * ـد فيا الاله عصى نجدا
تل وان كان ما تحدثه زو * را فقد تبرد الاسى والوجدا

(وله) فى الامير أبى بكر بن ابراهيم قدس الله تربته وآنس غربته مدائح انتظمت
بلبات الاوان ونظمت كل شتيت من الاحسان (فمن ذلك) قوله فيه (وافر)

توضح فى الدجا طرف نمير * سنا بلوى الصريمة يستطير

فواباني ولم أبذل يسيرا * وان لم يكفهم ذاك الكثير
بريق لا تقل هو ثغر سلمى * فتأثم انه حوب وزور
فكيف وما أضاء الليل منه * ولا عبقت بساحته الخدور
تراءى بالسدير فزاد قلبي * من البرحاء ما شاء السدير
فلولا ان يوم الحشر يقضي * على حكم اذا استولى يجور
دعوت على المشقر أن يجازى * بما تجزى به الدار الغرور
فيا سعد السعود ولست أدرى * أتدري ان قلبك لا يجور
وقبلك ما ادعته ظنون قوم * فلم يك عندهم قلب صبور
ولكن سر فزارقه خطارا * وقد يتجشم الامر الخطير
وناد بأين العلمين رصبلا * يهم به على الرمل العبير
بآية ما يلوح الصبح فيها * فتغرقه بوفرتها الشعور
ويبرد بينها نفس النعامى * فتحرقه بزفرتها الصدور
وقل يا ظالمين وليس ذنب * وقل يا عاذلين ولا نكير
أحقا تمنعون الجار عهدا * وينقضه غزالكم الغرير
لقد وسع الزمان عليه عدوا * وضر بشبله الليث الهصور
وقلبنا الزمان فلا بطون * تضمنت الوفاء ولا ظهور
سوى ذكر أطارحه فلولا الامير لقد عفا لولا الامير
همام جوده يصف الدوارى * وسطوته يعبرها الهجير
يقول عداه كيف وفي يديه * سعير ترتمي فيها بحور
وقلنا نحن كيف وراحتاه * بحور يلتظي فيها سعير
فهل فيما سمعت به خصام * يكون الخصم فيه هو العذير

(وكان) الامير أبو بكر يعتقد له هذه المبانة ويراها ويجود أبدا ثراها فلما ولي الثغر والشرق لم يغفلها من رعى ولم يكلها الى شفاعة وسعي وحمله على ما كان يعتقده فيه من المقت واستعمله على ما يقتضيه خلق الوقت من اقامة كل وغد وتسويغه كل نعيم رغد وتغليب حجة داحضة وانهاض عثرة غير ناهضة فنقاد وزارته ودولته تزهى منه بأندى من الوسمي المبتكر وأهدى من النجم في الليل المعتكر وألويته تميس به زهو اميس القناة ورعيته تبتهج علكه ابتهاج جابر بعهد البرياة

ومذاهبه

ومذاهبه يبسطها الفضل وينشرها وكتائبه لا يكاد العدو يعثرها فجاش اليهم وانبرى وراش فى تنكيلهم وبرى وأقطعهم ماشاء من مقابحته وأسمعهم مايصم بين خمه ومفاتحته فوغرت صدورهم السليمة واعتلت صحة نسما رهم بنفوسهم الالمية ولم يزل يأخذ فى الاضرار ولا يدع ويعلن به ويصدع حتى تفرق ذلك الجمع وألقاه بين بصر الشتات والسمع وأفرد الدولة من ولاتها وجرّدها من حماتها فاستهل العدو بذلك واستشرى وزأر منه على سرقسطة ليث شرى ولما رأى النمر قد ثار قتامه وبدا من ليله اعتامه ارتحل واحتمل وقال لا ناقة لى فيها ولا جمل وأقام ببلنسية يشفى نفسه ويستوفى أنسه ونجوم سعدها كل يوم غائرة والعدو يتربص بها أسوأ دائرة ويروم منازلتها ثم يدع الاقحام ويريد التقدم اليها فيؤثر الاحجام تهيبا لذلك الملك السرى والليث الجرى وفى خلال هذه المحاولة وأثناء تلك المطاولة عاج للامير أبى بكر حمامه واستمر فيها اعتامه فأجنه الثرى وحازمنه بدر دجنة وليث شرى فعطلت الدنيا من علاء وجود وأطلت عليها بفقده حوادث أجدبت تهائمها والنجود وفيه يقول يرثيه بما يسيل الفؤاد نجيعا ويبيت به الاسى لسامعه ضجيعا (خفيف)

أيها الملك قد لعمرى نعى المجـ ـد نواعيك يوم قمن فقمنا
كم تقارعت والخطوب الى أن * غادرتك الخطوب فى الترب رهنا
غير أنى اذا ذكرتك والدهـ ـر اخال اليقين فى ذاك ظنا
وسألنا متى اللقاء فقالوا الـ ـحشر قلنا صبرا اليه وحزنا

وكثيرا ما يغير هذا الرجل على معانى الشعراء وينبذ الاحتشام من ذلك بالعراء ويأخذها من أربابها أخذ غاصب ويعوضهم منها كل هم ناصب وهذا مما أطال به كد أبى العلاء وغمه فانه أخذه من قوله يرثى أمه (وافر)

فيا ركب المنون الا رسول * يبلغ روحها أرج السلام
سألت متى اللقاء فقيل حتى * يقوم الهامدون من الرجام

ومما تخلص فيه واخترع كثيرا من معانيه قوله يندبه ويرثيه (منسرح)

يا نازحا لم تحط أرحله * ولا جرى بالاياب سانحه
وهاجد الوجيب داعيه * أيقظ بالصهيل سابحه
وان من لا تحصى فضائله * حرباً ن لا تحصى مدائحه

ولما أمكنت العدو عورته الفرصة وارتفعت عنه الغصة وزالت التقية
واشتاق لتلك البقية سرى الى سرقسطة سرى قيس لأهل الهباءة وأسرع
نحوها اسراع الحلم الى المتأني من سر الاباءة وأقام عليها يجهز رونقها ولا يألو
استنزالا بارمقها حتى أعادها كالمعاصم الواهي النير ويوبقهن بما كسبوا
ويعفو عن كثير ومازال يورث أهلها كلهم كلا ويجدد كل كام من دخيل
ويغمر جنات من أعناب وزرع ونخيل حتى أصبحت كالصريم وراح الفساد
فيها لا يريم فطاع له أهلها بحكم القسر ورأوا الذلة أجدى من القتل والاسر
ذلك منها بدعة لا يوهم العقول ويوهن وقع الصارم المصقول وحين استباحها
وأدجى فجرها وصباحها بحث عن قبر الامير أبي بكر فعمي عليه موضعه وحمى
منه بالانكار مضجعه فدل عليه أحد المرتسمين بخدمته المتسمين بنعمته وأثار
منه طود مجد وبحر ندى وأعراه من ثراه بعدما التحف باحسانه وارتدى (طويل)
ووضع الندى في موضع السيف بالعلى * مضر كوضع السيف في موضع الندى
فأخرجه من مدفنه وأبرزه من كفنه وعاث في تلك الاشلا ومزقتها
ما قصرت عنه يد البلى سيرة من أقبح السير تنكرها نفوس البشر وفي ذلك يقول
(خفيف مجزو)

خل عيني كمودها * أبكاها وسهدها
ان بالثغر رمة * سكنت غير لحدها
أبرزتها أيدي رجا * ل غدوا عن مجدها
سكنوا ظل أمنها * وامتروا در رفدها

وله في ذلك (مديد)

يا صدى بالثغر جاوره * رمم بوركت من رمم
صبحتك الخيل عادية * وأثارتك فلم ترم
قد طوى ذا الدهر غرته * عنك فالبس حلة الكرم

ولابن خفاجة في مثل ذلك (مديد)

يا صدى بالثغر مرتهنا * لمر الريح والديم
لا أرى الأخا كمد * بالكم منك أنا كرم
كم بصدري فيك من حرق * وبكفي لك من نعم

ولما

ولما فاتت سرقسطة من يد الاسلام وباتت نفوس المسلمين فرقا منها في يد الاستسلام ارتاب بقبح أفعاله ورأى من احتدامه بتلك الآراء وانتعاله وأخافه ذنبه وتباعد عن مضجع الامن جنبه فكر الى المغرب يتوارى في نواحيه ولا يتراءى لعين لائمه ولاحيه فلما وصل شاطبة حضرة الامير الاجل أبي اسحق ابراهيم بن يوسف بن تاشفين وجد باب انتقاده وهو مبهم وعاقه عنده شجن مدلول عليه مادام ناجيا من مهلك مرئ وليث جرئ تبتهج العلياء بسجاياه وتتأرج الدنيا بعبق مجده ورياه فاعتقله اعتقال الاشقى الدين من الامه وشهد له بعقيدة اسلامه وفي ذلك يقول وهو معتقل يصرح بمذهبه الفاسد وغرضه المتقاعد (كامل)

خفض عليك فالزمان وريبه * شئ يدوم ولا الحياة تدوم
واذهب بنفس لم تضع اتعابها * حيث احتملت بها وأنت مليم
يا صاحبي لفظا ومعنى خلته * من قبل حتى بين التقسيم
دع عنك من معنى الاخاء تشبها * وانبذ بذاك العبء وهو ذميم
واسمع وطارحني الحديث فانه * ليل كاحداث الزمان بهيم
خذني الى أثر الزمان فقد مضى * بؤس على أبنائه ونعيم
فعسى أرى ذاك النعيم وربه * مرح ورب البؤس وهو عقيم
هيهات ساوت بينهم أجداثهم * وتشابه المحسود والمرحوم

ولما خلص من تلك الحبالة ونجا وأنار من سلامته ما كان دجا اعتال في اعفاء ماله واستيفاء أماله فأظهر الوفاء للامير أبي بكر بالرثاء والتأبين ودعيه في ذلك وانتحى مستبين فانه وصل بهذه النزعة من الحمايه الى حرم وحصل في ذمة ذلك المكرم واشتمل بالرعي وأمن من كل سعي فاقتنى قينات واقتفى الاعاريض من القريض وركب عليها الحانا أشجى من النوح واطف بها الى اشادة الاعلان بالوعة والبوح فسلك بها أبدع مسالك وأطلعها نيرات مالها غير القلوب من فلك فمن ذلك قوله (منسرح)

* ان غدر الدهر بينهم * جاوبه بالثنية الصرد *
صار وافيها أنت بعدهم جسد * قد فارق الروح ذلك الجسد
واكنفوا صحبة بينهم * بئس والله ما الذي اعتمدوا

وكقوله (طويل)

سلام وإلمام ووسمي مزنة * على الجدث النائي الذي لا أزوره
أحقاً أبو بكر تقضى فلا يرى * ترد جماهير الوفود ستوره
لئن أنست تلك القبور بلحده * لقد أوحشت أقطاره وقصوره

ومن قوله يعتذر عن وزارته انا في مدة وزارته سفر بين الامير أبي بكر وبين عماد الدولة بن هود بعد سعايات عليه أسلفها وذخائر كانت له على يديه أتلفها فوافاه أوغر ما كان عليه صدره وأصغر ما كان عنده قدره فأمر بذلك الانتقال الى الاعتقال فأقام فيه شهورا يغازله الحمام بمقلة شوهاء وتتنازله الاوهام بفطرته الورهاء وفي ذلك يقول يخاطب ذا الوزارتين أبا جعفر يزيد بن مجاهد (وافر)

لعلك يا يزيد علمت حالي * فتعلم أي خطب قد لقيت
وإني إن بقيت بمثل حالي * أني تحب الليالي أن بقيت
يقول الشامتون شقا بخت * لعمر الشامتين لقد شقيت
أعندهم الأمان من الليالي * وسالمهم بها الزمن المقيت
وما يدرون أنهم سيسقوا * على كره بكأس قد سقيت

(وعزم) عماد الدولة يوما على قتله وألزم المرقبين به التحيل في قتله فبلغه ذلك الامر الوعر وارتقى به في لجج البأس والذعر فقال (طويل)

أقول لنفسي حين قابلها الردى * فراغت فرارا منه يسرى الى يمنى
ترى تحملي بعض الذي تكرهينه * فقد طالما اعتدت الفرار الى الأهنى

ثم قضى له قدر قضى بانقطاعه وما أقضى من أباحته ما كان رهين انتظاره وعجل المكافأة حكمة من الله وعلما وإنما نملي لهم ليزدادوا إثما

تم القسم الرابع من قلائد العقيان ومحاسن الأعيان وبتمامه تم جميع الديوان والحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا محمد رسوله وعبده

سبحان من منح الفتح بن خاقان قلائد العقيان مشكاة البلغاء منارا للفصحاء تقلد كل منهم بقلادة من قلائده وتوشح كل بوشاح من عقيان خرائده خروا لسحر ألفاظه سجدا وقاموا لفهم معانيه تهجدا سجعت بالمغرب حمائم دوحه فأعجب من بالمشرق ونشرت من روحه فكان حريا بحسن الطبع جديرا

ولائق

بلطف الوضع خصوصا بالمطبعة الخديوية ببولاق مصر المعزية في أيام ابتسم ثغرها عن العدل وأفاضت على الأنام جزيل الفضل في ظل من سارت الركبان بذكره في كل ناد ونطقت الالسنة بمدحه في كل واد عزيز مصر ووحيد العصر سعادة أفندينا المحروس بعناية ربه العلي اسمعيل بن ابراهيم بن محمد علي لازال جيد الدهر حاليا بعقود مواكبه وفم الافق ناطقا بسعود كواكبه حفظ الله ذواته كما حفظ رعيته وأدام مجده وخلد حمده وحرس أشباله الكرام وجعلهم غرة في جبين الايام ملحوظة دار الطباعة المذكورة بنظر ناظرها المشمر عن ساعد الجد والاجتهاد في تدبير انضارها من لا تزال عليه أخلاقه بالالطاف تثنى حضرة حسين بك حسنى ثم ان الملتزم لهذا الطبع الظريف والوضع اللطيف الآخذ من العلم بحظه الافخم حضرة الشيخ محمد صالح أكرم والتصحيح بعد التنقيح بمعرفة الفقير الى الله سبحانه محمد الصباغ أسبغ الله عليه النعم أتم اسباغ ونضوع عرف ختامه وتم سلك نظامه في العشر الاول من صفر الخير من سنة ١٢٨٣ ثلاثة من هجرة من زال به كل غم وضير عليه الصلاة والسلام وعلى آله وصحابته الفخام

م